

كتاب الأمازيغ

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الثالث والعشرون

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

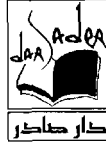
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر.



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AĠĤĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[497] - أخبار صخر الغي ونسبه¹

[نسبه]

هو صخرُ بن عبد الله الخيثميّ ، أحد بني خيثم بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل . هذا أكثر ما وجدته من نسبه ، ولقب بصخر الغي لخلاصته ، وشدة بأسه ، وكثرة شره . فمن روى هذه القصيدة له ، ذكر أنّ السبب فيها أن جاراً لبني خناعة بن سعد بن هذيل من بني الرمضاء كان جاورهم رجل من بني مُزينة ، وقيل : إنه كان جاراً لأبي المثلّم الشاعر ، وهو أخوهم ، فقتله صخر الغي فمشى أبو المثلّم إلى قومه ، وبعثهم على مطالبته بدم جارهم المزنيّ والإدراك بثأره ، فبلغ ذلك صخرًا فقال هذه القصيدة يذكر أبا المثلّم وما فعله ، فأولها البيتان اللذان فيهما الغناء وفيها يقول :

ولستُ عبداً للموعدينَ ولا أقبُلُ ضيماً أتى به أحدُ
جاءت كبيرٌ كيما أخفَّرها والقوم صيِّدٌ كأنهم رمدوا
في المزنيّ الذي حششتُ به مالَ ضريكِ تِلادُهُ نَكِدُ²
إن أمتسِكهُ فبالفداء وإن أقتل بسيفي فإنّه قودُ

ولصخرُ وأبي المثلّم في هذا مناقضات وقصائدُ قالها ، وأجاب كلُّ واحد منهما صاحبه ، يطول ذكرها وليس من جنس هذا الكتاب .

[الأعلم العداء]

وحكى الأثرم عن أبي عبيدة أنّه حدّث عن عبد الله بن إبراهيم الجمحيّ قال : كان الأعلم أخو صخر الغي أحدَ صعاليك هذيل ، وكان يعدو على رجليه عدوًّا لا يُلحق ، واسمه حبيب بن عبد الله ، فخرج هو وأخواه صخر وصُخَيْر ، حتى أصبحوا تحت جبل يقال له السُّطاع³ ، في يوم من أيّام الصيف شديد الحرِّ ، وهو متأبّط قربة لهم فيها ماء ،

1 انظر أخباره في : الإصابة : 3 : 259 .

2 ضريك : الفقير السيء الحال .

3 سِطاع : جبل بينه وبين مكّة مرحلة ونصف من جهة اليمن .

فَأَيْسَتْهَا السَّمُومُ ، وَعَطِشُوا حَتَّى لَمْ يَكَادُوا أَنْ يَبْصُرُوا مِنْ الْعَطَشِ ، فَقَالَ الْأَعْلَمُ لَصَاحِبِيهِ : أَشْرَبَ مِنَ الْقَرِيَةِ لَعَلِّي أَنْ أُرِدَ الْمَاءَ فَأُرَوِي مِنْهُ وَانْتَظِرَانِي مَكَانَكُمَا ، وَكَانَتْ بَنُو عَدِيِّ بْنِ الدَّيْلِ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ وَهُوَ مَاءُ الْأَطْوَاءِ ، يَتَفَيَّؤُونَ بِنَخْلٍ مَتَّخِرٍ عَنِ الْمَاءِ قَدْرَ رَمِيَةِ سَهْمٍ . فَأَقْبَلَ يَمْشِي مُتَلَثِّمًا ، وَقَدْ وَضَعَ سَيْفَهُ وَقَوْسَهُ وَنَبْلَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِهِ ، فَلَمَّا بَرَزَ لِلْقَوْمِ مَشَى رُويْدًا مُشْتَمَلًا ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : مَنْ تَرَوْنَ الرَّجُلَ ؟ فَقَالُوا : نَرَاهُ بَعْضَ بَنِي مُدَلِّجِ بْنِ مَرَّةٍ .

ثُمَّ قَالُوا لِبَعْضِهِمْ : الْقَوَّ الْفَتَى ، فَاعْرِفْهُ ، فَقَالَ لَهُمْ : مَا تَرِيدُونَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ ؟ هُوَ آتِيكُمْ إِذَا شَرِبَ ، فَدَعُوهُ فَلَيْسَ بِمَفِيئَتِنَا ، فَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى رَمَى بِرَأْسِهِ فِي الْحَوْضِ مُدْبِرًا عَنْهُمْ بِوَجْهِهِ ، فَلَمَّا رَوَى أَفْرَغَ عَلَى رَأْسِهِ مِنَ الْمَاءِ ، ثُمَّ أَعَادَ نِقَابَهُ ، وَرَجَعَ فِي طَرِيقِهِ رُويْدًا ؟ فَصَاحَ الْقَوْمُ بَعْدَ لَهُمْ كَانَ عَلَى الْمَاءِ : هَلْ عَرَفْتَ الرَّجُلَ الَّذِي صَدَرَ ؟ قَالَ : لَا ، فَقَالُوا : فَهَلْ رَأَيْتَ وَجْهَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، هُوَ مُشَقَّقُ الشَّفَةِ ، فَقَالُوا : هَذَا الْأَعْلَمُ ، وَقَدْ صَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ مَقْدَارُ رَمِيَةِ سَهْمٍ آخَرَ ، فَعَدَّوْا فِي أَثَرِهِ ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : جُدَيْمَةُ لَيْسَ فِي الْقَوْمِ مِثْلُهُ عَدُوًّا ، فَأَغْرَوْهُ بِهِ ، وَطَرَدُوهُ فَأَعْجَزَهُمْ ، وَمَرَّ عَلَى سَيْفِهِ وَقَوْسِهِ وَنَبْلِهِ ، فَأَخَذَهُ ، ثُمَّ مَرَّ بِصَاحِبِيهِ فَصَاحَ بِهِمَا فَضْبِرًا¹ مَعَهُ ، فَأَعْجَزُوهُمْ ، فَقَالَ الْأَعْلَمُ فِي ذَلِكَ : [مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ]

لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ بَالًا	حَلْيَاءُ دُونَ قَدَى الْمَنَاصِبِ ²
وَفَرَيْتُ مِنْ فِزَعٍ فَلَا	أُرْمِي وَلَا وَدَعْتُ صَاحِبَ ³
يُغْرُونَ صَاحِبَهُمْ بِنَا	جَهْدًا وَأُغْرِي غَيْرَ كَاذِبِ
أُغْرِي أَخِي صَخْرًا لِيُعِدَّ	حِزْمَهُ وَمَدُّوهُ بِالْحَلَاثِبِ ⁴
وَخَشَيْتُ وَقَعَ ضَرْبِي	قَدْ جُرِّبْتُ كُلَّ التَّجَارِبِ ⁵
فَأَكُونُ صَيْدَهُمْ بِهَا	لِلذِّيبِ وَالضَّبْعِ السَّوَاغِبِ

1 ضبرا معه : عدوا معه .

2 قدى : قدر . المناصب : الأغراض والمرامي .

3 فريت : تحيرت ودهشت .

4 أخي صخرًا في الديوان : «أبا وهب» . الحلائب : الجماعات جمع حلبة .

5 ضربة : سيف .

جَزْرًا وللطير المُرَبَّ - والذئابِ وللتعالب¹

وهي قصيدة طويلة .

صوت

[صخر يرثي أخاه أبا عمرو]

وقالوا جميعاً : خرج صخرُ الغيِّ وأخوه أبو عمرو في غزاةٍ لهما ، فباتا في أرض
رَملة ، فنهشت أخاه أبا عمرو حيَّة ، فمات ، فقال يرثيه : [من الطويل]

لعمرُ أبي عمرو لقد ساقه المنا إلى جدثٍ يُوزَى له بالأهاضبِ
لحيَّةٍ جُحرٍ في وجارٍ مقيمةٍ تنمى بها سوقُ المنا والجوالبِ²
أخي لا أخوا لي بعده سبقتُ به منيتهُ جمعَ الرُقَى والطبائبِ
وذلك ممَّا يُحدث الدهرُ إنَّه له كلَّ مطلوبٍ حيثُ وطالبِ

يوزى له : يمني له . والإزاء : مهراق الدلو . والأهاضب : الجبال .

وقال الأثرمُ عن أبي عبيدة . خرج صخرُ الغيِّ في طائفةٍ من قومه يقدمها خوفاً من أبي
المنثلم ، فأغار على بني المصطلق من خزاعة ، فانتظر بقية أصحابه ، ونذرت به بنو المصطلق ،
فأحاطوا به فقال : [من الرجز]

لو أن أصحابي بنو معاوية أهلُ جنوبِ النخلة الشامية³
ورهُطُ دُهْمَانٍ ورهُطُ عاديةٍ ما تركوني للذئابِ العاويةِ

وجعل يرميهم ويرتجز ويقول : [من الرجز]

لو أن أصحابي بنو خناعةٍ أهلُ الندى والمجدِ والبراعةِ
تحتَ جلودِ البقرِ القراعةِ لمنعوا من هذه البراعة⁴

وقال أيضاً وهو يقاتلهم : [من الرجز]

1 المرية : المقيمة الملازمة .

2 الوجار : كل حجر يسكن فيه حنش من أحناش الأرض . تنمى : ارتفع .

3 جنوب : جمع جنب بمعنى ناحية .

4 القراعة : الصلبة . البراعة : الضعيف ، وفي الديوان : «المراعة» .

لو أنّ حولي من قريم رجلاً بيضَ الوجوه يحملون النبالاً¹
لمنعوني نجدة ورسلاً سفع الوجوه لم يكونوا عزلاً

[مقتل صخر ورتاؤه]

يقول : منعوني بنجدة وشدة وعلى رسلهم بأهون سعي . قال : فلم يزل يُقاتلهم حتى
قتلوه .

[رتاء أبي المثلّم له]

[من البسيط] وبلغ ذلك أبا المثلّم ، فقال يرثيه :

لو كان للدهر مالٌ عند مُتلهه لكان للدهرِ صخرٌ مالٌ قنيانٍ
أبي الهزيمة آتٍ بالعظيمة متـ لافُ الكريمة لا سيقطُ ولا واني
حامي الحقيقة نسألُ الوديقة مع تناقُ الوسيقة جلدٌ غيرِ ثنيانٍ²
رقاء مرقبة ، مناعٌ مغلبة ركابُ سلهبة ، قطاعُ أقرانٍ³
هباطُ أوديةٍ شهادُ أندية حمالُ ألويةٍ سرحانُ فتيانٍ

السرحان : الأسد في لغة هذيل وفي كلام غيرهم الذئب .

يحمي الصحابَ إذا جدَّ الضرابُ ويكُ في القائلين إذا ما كُبلَ العاني
فيترك القرنَ مصفراً أنامله كأنَّ في ريطتيه نضخَ إرقانٍ
الإرقان : اليرقان ، يعني صفرتَه .

يعطيك ما لا تكاد النفسُ تسلّمه من التلادِ وهوبٌ غيرُ منانٍ⁴

1 قريم : حي من هذيل .

2 نسأل : مسرع . الوديقة : شدة الحر . الوسيقة : الطريدة .

3 رقاء في ل والديوان : «رَبَاء» بمعنى علا وارتفع . سلهبة : جسيمة طويلة . أقران : جمع قرن ، وهو الحبل .

4 تسلّمه في الديوان : ترسله .

[498] - نسب عمرو ذي الكلب وأخباره

[نسبه]

هو عمرو بن العجلان بن عامر بن بُرد بن مُنبه ، أحد بني كاهل بن لحيان بن هذيل .
قال السكريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ : إنّما سُمِّيَ ذا الكلب لأنّه كان له
كلبٌ لا يفارقه .

وعن الأثرم عن أبي عبيدة أنّه قال : لم يكن له كلبٌ لا يفارقه ، إنّما خرج غازياً ومعه
كلبٌ يصطاد به ، فقال له أصحابه : يا ذا الكلب ، فثبتت عليه .

قال : ومن الناس من يقول له عمرو الكلب ، ولا يقول فيه : «ذو» .

قال : وكان يغزو بني فهّم غزواً متصلاً ، فنام ليلة في بعض غزواته ، فوثب عليه نمران
فأكلاه فادّعت فهّم قتله ، هكذا في هذه الرواية .

[عمرو ذر الكلب وأمّ جليحة]

وقد أخبرني عليّ بن سليمان الأنخفش ، قال : حدّثنا أبو سعيد السكريّ ، عن محمد بن
حبيب عن ابن الأعرابيّ وأبي عبيدة عن ابن الأعرابيّ عن المفضل وغيرهم من الرواة قالوا :
كان من حديث عمرو ذي الكلب الهذليّ ، وكان من رجالهم ، أنّه كان قد علق امرأة من فهّم
يقال لها : أمّ جليحة ، فأحبّها وأحبّته ، وكان أهلها قد وجدوا عليها وعليه ، وطلبوا دمه ، إلى
أن جاءها عاماً من ذلك ، فنذرُوا به ، فخرجوا في أثره ، وخرج هارباً منهم فتنعوه يومهم
ذلك ، وهم على أثره ، حتى أمسى ، وهاجت عليه ريحٌ شديدة في ليلة ظلماء ، فبينما هو يسيرُ
على ظهر الطريق إذ رأى ناراً عن يمينه ، فقال : أخطأتُ والله الطريق وإنّ النار لعلی الطريق ،
فحار وشكّ ، وقصد للنار ، حتى أتاها ، وقد كان يصيحُ ، فإذا رجل قد أوقد ناراً ليس معه
أحدٌ ، فقال له عمرو ذو الكلب : من أنت ؟ قال : أنا رجل من عدوان ، قال ، فما اسم هذا
المكان ؟ قال السدُّ ، فعلم أنّه قد هلك وأخطأ ، والسدُّ شيء لا يجاوز ، قال : ويملك ! فلم
أوقدت ، فوالله ما تشتوي ، ولا تصطلي ، وما أوقدت إلاّ لمنية عمرو الشقيّ ، هل عندك شيء
تطعمني ؟ قال : نعم ، فأخرج له ثمرات قد نقّأها في يده ، فلمّا رآها قال : ثمرات ، تتبعها

عبرات من نساء خَفَرَات ، ثم قال : اسقيني ، قال : ماذا ؟ ألبناً ؟ قال : لا ، ولكن اسقيني ماء قَرَاخاً ، فَإِنِّي مَقْتُولٌ صَبَاحاً ، ثم انطلق ، فَأَسَدٌ فِي السَّدِّ ، ورَأَى القوم الذين جاءوا في طلبه أثره ، حيث أَخْطَأَ ، فاتبعوه ، حتى وجدوه فدخل غاراً في السَّدِّ ، فلَمَّا ظهروا للسَّدِّ عَلِمُوا أَنَّهُ فِي الغار فنادوه ، فقالوا : يا عمرو ، قال : ما تشاءون ؟ قالوا : اخرج ، قال : فليَمَ دخلت إذن ؟ قالوا : بلى ، فاخرجُ ، قال : لا أُخْرَجُ ، قالوا : فأنشيدنا قولك : [من الوافر]

وَمَقْعِدِ كُرْبِيَّةٍ قَدْ كُنْتُ مِنْهَا مَكَانَ الإصْبَعِينَ مِنَ القِبَالِ¹

قال : ها هي ذه أنا فيها . قال : وعنَّ له رجل من القوم ، فرماه عمرو فقتله ، فقالوا : أقتلته يا عدوَّ الله ؟ فقال : أَجَلٌ ، ولقد بقيتُ معي أربعةَ أسهم كأنها أنيابُ أمِّ جُلَيْحَةَ لا تصلون إليَّ أو أُقْتَلَ بكلِّ سَهْمٍ مِنْهَا رجلاً منكم ، فقالوا لعبدهم : يا أبا نِجَاد ، ادخُلْ عليه ، وأنت حرٌّ ، فتهيأُ للدخول أبو نِجَاد عليه ، فقال له عمرو : وبيك ! يا أبا نِجَاد ، ما ينفعك أن تكون حرّاً إذا قتلتك ؟ فنكصَ عنه ، فلَمَّا رأوا ذلك صعَدوا ، فنقبوا عليه ، ثم رمَوْه حتى قتله ، وأخذوا سَلْبَهُ ، فرجعوا به إلى أمِّ جُلَيْحَةَ وهي تَتَشَوَّفُ ، فلَمَّا رأوها قالوا لها : يا أمِّ جُلَيْحَةَ ، ما رأيك في عمرو ، قالت : رأيتُ والله أنكم طلبتموه سريعاً ، ووجدتموه مَنيعاً ، ووضعتموه صَريعاً ؟ فقالوا : والله لقد قتلناه ، فقالت : والله ما أراكم فعلتُم ، ولكن كنتم فعلتُم ، لربِّ نَدِي منكم قد افترشه ، وضَبُّ قد احترشه² ، فطرحوا إليها ثِيَابَهُ ، فأخذتها ، فشمَّتْها ، فقالت : ريحُ عِطْرٍ وثوبُ عمرو ، أما والله ما وجدتموه ذا حُجْزَةٍ³ جافية ، ولا عانة وافية ، ولا ضالَّةً⁴ كافية .

[أخيه ترضيه]

وقالت رِيظَةُ أختُ عمرو ذي الكلب ترضيه : [من البسيط]

كُلُّ أَمْرِيءِ لِحَالِ الدَّهْرِ مَكْرُوبٌ وَكُلُّ مَنْ غَالِبَ الأَيَّامِ مَغْلُوبٌ⁵

1 القبال : الزمام في النعل بين الإصبع الوسطى والتي تليها .

2 احترشه : صاده .

3 الحجزة : موضع التكة من الإزار .

4 الضلة : المراد بها السلاح .

5 محال : قوة .

وكلُّ حيٍّ وإن عزوا وإن سلّموا
 أبلغ هديلاً وأبلغ مَنْ يُبلِّغها
 بأنَّ ذا الكلبِ عمراً خيراً نسباً
 الطاعنُ الطعنةَ النجلاءَ يتبّعها
 والتاركُ القرنَ مصفراً أنامله
 تمشي النسورُ إليه وهي لاهيةٌ
 والمخرجُ العاتقَ العذراءَ مُدعنةٌ
 يوماً طريقهم في الشرِّ دُعبوب¹
 عني رسولاً وبعضُ القولِ تكذيب²
 بطن شريان يعوي حولَه الذيب³
 مُثعنجرٌ من نجيع الجوفِ أسكوب⁴
 كأنه من نقيع الورس مخضوب⁵
 مَشِيَ العذارى عليهنَّ الجلابيبُ
 في السبي ينفحُ من أردانها الطيبُ

صوت

[من البسيط]

يا دارَ عمرةٍ من مُحثلها الجرعا
 أرى بعيني إذا مالت حمولتُهم
 طوراً أراهم وطوراً لا أبينهم
 إذا ترَفَع حِدَجُ ساعةٍ لمعا
 هاجتُ لي الهمَّ والأحزانَ والوجعا⁶
 بطن السلوطح لا ينظرن من تبعاً⁷
 الشعر للقيط الإيادي يُنذر قومَه قصدَ كِسرى لهم ، والغناء لكردم بن معبد هزج بالنصر

من روايتي حبش والهشامي .

1 دُعبوب : الطريق الموطوءة .

2 القول في ل : الغي .

3 بطن شريان : موضع أو واد باليمن يُقال إن به قبر عمرو .

4 مثنعجر : سائل . أسكوب : منسكب أو مسكوب .

5 نقيع في ل : نجيع .

6 الجرع : الرملة لا تنبت شيئاً ، وهي موضع هنا .

7 السلوطح : موضع بالجزيرة قريب من البشر .

[499] - خبر لقيط ونسبه¹

والسبب في قوله الشعر

[نسبه]

هو لقيطُ بنِ يعمر² . شاعر جاهليّ قديمٌ مُقلِّ ، ليس يُعرف له شعرٌ غيرَ هذه القصيدة وقطعٍ من الشعرٍ لطافٍ متفرقة .

[غزو كسرى لإياد]

أخبرني بخبر هذا الشعر عمي قال : حدّثني القاسم بن محمد الأنباري قال : حدّثني أحمد بن عبيد قال : حدّثني الكلبيّ عن الشرقي بن القطاميّ قال : كان سبب غزو كسرى إياداً أنّ بلادهم أُجذبت ، فارتحلوا حتى نزلوا بسنداد³ ونواحيها ، فأقاموا بها دهرأ حتى أخصبوا وكثروا ، وكانوا يعبدون صنماً يقال له : ذو الكعبين ، وعبدته بكرٌ بنُ وائل من بعدهم ، فانتشروا ما بين سنداد إلى كاظمة وإلى بارق⁴ والخورنق ، واستطالوا على الفُرات ، حتى خالطوا أرضَ الجزيرة ، ولم يزالوا يُغيرون على ما يليهم من أرض السواد ، ويغزون ملوك آل نصر ، حتى أصابوا امرأة من أشرف العجم كانت عروساً قد هُديت⁵ إلى زوجها ، فولّيَ ذلك منها سفهاؤهم وأحدأتهم ، فسار إليهم من كان يليهم من الأعاجم ، فانحازت إيادٌ إلى العراق وجعلوا يعبرون إليهم في القراقير⁶ ويقطعون بها الفُرات وجعل راجزهم يقول :

[من الرجز]

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1/199 ، 201 والاشتقاق لابن دريد 104 والمؤتلف 175 .

2 في الشعر والشعراء : ابن معمر وأورد محمود محمد شاكر أنّ مختارات ابن الشجريّ وجمهرة اللغة لابن دريد أوردته «يعمر» كما في الأغاني وكذلك في ديوانه في حين ورد في مصادر أخرى «معيد» .

3 سنداد : منازل لإياد ، أسفل الكوفة .

4 بارق : ماء بالعراق ، وهو الحد بين القادسية والبصرة .

5 هديت : زفت إلى بعلها .

6 القراقير : جمع قرقور : السفينة الطويلة أو العظيمة .

بس مناخ الحلقات الذهم في ساحة القرقور وسط اليم¹
وعبروا الفرات ، وتبعهم الأعاجم ، فقالت كاهنة من إباد تسجع لهم : [من الرجز]
إن يقتلوا منكم غلاماً سلماً أو يأخذوا ذلك شيخاً همماً²
تخصبوا نخورهم دمماً وترووا منهم سيوفاً ظمماً
فخرج غلام منهم يقال له ثواب بن محجن يابل لأبيه فلقبته الأعاجم ، فقتلوه ، وأخذوا
الإبل ولقيتهم إباداً في آخر النهار ، فهزمت الأعاجم .

قال : وحدتني بعض أهل العلم أن إباداً بيتت ذلك الجمع حين عبروا شط الفرات
الغربي ، فلم يفلت منهم إلا القليل ، وجمعوا به جماجمهم وأجسادهم ، فكانت كالتل
العظيم ، وكان إلى جانبهم دير ، فسمي دير الجماجم ، وبلغ كسرى الخير ، فبعث
مالك بن حارثة : أحد بني كعب بن زهير بن جشم في آثارهم ، ووجه معه أربعة آلاف
من الأساورة . فكتب إليهم لقيط : [من البسيط]

يا دار عمرة من محتلها الجرعا هاجت لي الهمم والأحزان والوجعا
وفيها يقول ، قال الشرقي بن القطامي أنشدنيها أبو حمزة الشمالي :

يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيراً على نسائكم كسرى وما جمعا
هو الجلاء الذي تبقى مدلته إن طار طائرکم يوماً وإن وقعا
هو الفناء الذي يجتأ أصلکم فمن رأى مثل ذا رأيا ومن سَمِعَا
فقلدوا أمرکم لله درکم رَحَبَ الذراع بأمر الحرب مضطليعا
لا مترفاً إن رخاء العيش ساعده ولا إذا حلّ مكروه به خشعا
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه هم يكاد حشاه يقطع الضلعا
مسهد النوم تعنيه ثغوركم يروم منها إلى الأعداء مطلقا
ما انفكّ يجلب هذا الدهر أشطره يكون متبعا طورا ومتبعا
فليس يشغله مالٌ يثمره عنكم ولا ولد يبغي له الرفعا

1 الحلقات : جمع حلقة : الإبل الموسومة بالحلقات .

2 ذاك في ل : ذلك .

حتى استمرت على شزرٍ مريرته مستحكِم السنّ لا قحماً ولا ضرعاً¹
 كإلكِ بنِ قِنانٍ أو كصاحبه زيدِ القنا حين لاقى الحارثينِ معاً²
 إذ عابه عائِبٌ يوماً فقال له : دَمْتُ لجنبك قبلَ الليلِ مُضطَجِعاً³
 فساوَرُوهُ فَأَلْفَوهُ أخوا عَلَلِ في الحربِ يَخْتَبِلُ الرُّبَالُ والسَّبْعَا
 عِبلَ الذراعِ أَيباً ذا مُزَابِنَةٍ في الحربِ لا عاجزاً نكساً ولا ورعاً⁴
 مستنجداً يتحدّى الناسَ كلَّهُمُ لو صارعوه جميعاً في الورى صرعاً
 هذا كتابي إليكم والنذير لكم لمن رأى الرأي بالإبرامِ قد نصعاً
 وقد بذلتُ لكم نُصْحِي بلا دَخَلِ فاستيقظوا إن خيرَ العِلمِ ما نفعاً

وجعل عنوان الكتاب :

[من الوافر]

كتاب في الصَّحيفَةِ من لَقِيطِ إلى مَنْ بالجزيرة من إيادِ
 بأن الليثَ كسرى قد أتاكم فلا يجسكُمُ سوقُ النُّقادِ⁵

[موقعة مرج الأكم]

قال : وسار مالك بن حارثة التغلبي بالأعاجم حتى لقي إياداً ، وهم غارون لم يلتفتوا إلى قول لقيط وتحذيره إياهم ثقةً بأن كسرى لا يقدم عليهم . فلقبهم بالجزيرة في موضع يقال له مَرَج الأكم ، فاقتلوا قتالاً شديداً ، فظفر بهم ، وهزمهم ، وأنقذ ما كانوا أصابوا من الأعاجم يوم الفرات ، ولحقت إيادٌ بأطراف الشام ولم تتوسَّطها خوفاً من غسان يوم الحارثين ، والاجتماع قُضاة وغسان في بلد خوفاً من أن يصيروا يداً واحدةً عليهم ، فأقاموا ، حتى أمِنوا . ثم إنهم تطرّفوهم إلى أن لحقوا بقومهم ببلد الروم بناحية أنقرة ، ففي ذلك يقول الشاعر :

[من الكامل]

- 1 استمرت : استحكمت وقويت . شزر : ما يقتل على غير وجهه ، أي من اليسار . المريرة : طاقة الحبل ، أي أنه متين . قحماً : شيخاً فانياً عجوزاً . ضرعاً : ضعيفاً ذليلاً مستكيناً .
- 2 الحارثين : الحارث بن ظالم والحارث بن عوف المرين .
- 3 مثل : ويروى دمتم لنفسك . ورد في : مجمع الأمثال 265/1 ، والجمهرة للعسكري 443/1 ، 444 ، وفصل المقال 31 ، والمستقصى للزمخشري 81/2 .
- 4 الورع : الجبان الضعيف .
- 5 النقاد : جنس من الغنم قبيح الشكل مفردة نقد .

حَلُّوا بِأَنْقَرَةَ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْفُرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ

صوت

[من الطويل]

اللبينِ يا ليليِ جِمالِكِ تُرْحَلُ لِيَقْطَعَ مِنَّا الْبَيْنُ ما كان يوصَلُ
تُعَلِّنَا بِالْوَعْدِ تُمَّتْ تلتوي بموعودها حتى يموتَ المعلُّ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْحَبْلَ أَصْبَحَ واهناً وأخلف من ليلي الذي كنت آملُ
فلا الحبلُ من ليلي يُواتيك وصلُه ولا أنت تنهى القلب عنها فيذهلُ

عروضه من الطويل ، الشعرُ لنصيب الأصغر مولى المهديّ ، والغناء ليحيى المكيّ خفيف
رَمَلَ بالبصر ، وكذا نَسَبَتْهُ بذلِ إليه .

وذكر عمرو بن بانه في نسخته أنَّ خفيف الرَّمَلِ لمالك وأتته بالوسطى ، والصحيح أنَّه
لابن المكيّ .

[500] - أخبار نصيب الأصغر

[نشأته]

نصيب مولى المهديّ ؛ عبدٌ نشأً باليمامة ، واشترى للمهديّ في حياة المنصور : فلما سمع شعره قال : والله ما هو بدون نصيب مولى بني مروان ، فأعتقه ، وزوجه أمةً له يقال لها : جعفرّة . وكانه أبا الحجناء ، وأقطعه ضيعةً بالسواد ، وعمر بعده .

[يمدح الرشيد]

وهذه القصيدة يمدحُ بها هارون الرشيد ، وهي من جيد شعره وفيها يقول : [من الطويل]

خليليّ إنّي ما يزالُ يشوقني	قَطِينُ الحِمَى والظاعنُ المتحمّلُ
فأقسمتُ لا أنسى لياليَ منعجٍ	ولا مأسَلٍ إذ منزلُ الحيّ مأسَلٌ ¹
أمنُ أجلِ آياتِ ورسمِ كأنّه	بقيةٌ وحْيٍ أو رداً مُسلسلٌ ²
جرى الدّمعُ من عينيكَ حتى كأنّه	تحدرُّ دُرٌّ أو جُمانٌ مُفصلٌ
فيا أيُّها الزنجيُّ ما لكَ والصبا	أفقٌ عن طِلابِ البيضِ إن كنتَ تعقلُ
فمثلكَ من أحبوشةِ الزنجِ قُطعتُ	وسائلُ أسبابٍ بها يُتوسَّلُ ³
قصدنا أميرَ المؤمنين ودونَه	مهامُه مَوماةٌ من الأرضِ مَجْهَلُ
على أرحبيّاتِ طوى السيرِ فانطوتْ	شماثلُها ممّا تحلُّ وتُرحَلُ ⁴
إلى ملكٍ صلّتَ الجبينَ كأنّه	صَفِيحَةٌ مَسنونٌ جلا عنه صَيقلٌ ⁵

1 منعج : واد يدفع في بطن فلج ، حدثت به واقعة من أيام العرب . مأسل : دارة من دارات العرب ، ذكرت في شعر لبيد .

2 مسلسل : رديء النسج .

3 أحبوشة : جماعة الناس ليسوا من قبيلة .

4 أرحبيات : نجائب منسوبة إلى أرحب ، فحل من فحولهم .

5 صلت : واضح .

إذا انبَلَجَ البَابَانِ وَالسْتَرْ دَوْنَهُ
شَرِيكَانِ فِينَا مِنْهُ عَيْنٌ بَصِيرَةٌ
فَمَا فَاتَ عَيْنِيهِ وَعَاهُ بِقَلْبِهِ
وَمَا نَازَعَتْ فِينَا أُمُورَكَ هَفُوءَةٌ
إِذَا اشْتَبَهَتْ أَعْنَاقُهُ بَيْنَتْ لَهُ
لَكِنَّ نَالَ عَبْدُ اللَّهِ قَبْلُ خِلَافَةً
وَمَا زَادَكَ الْعَهْدُ الَّذِي نَلْتَ بِسَطَةً
وَرِيثَ رَسُولِ اللَّهِ عَضُوءًا وَمَفْصِلًا
إِذَا مَا دَهْتَنَا مِنْ زَمَانٍ مُلْمَّةً
عَلَى ثِقَةٍ مَّا تَجِنُّ قُلُوبِنَا
بَدَا مِثْلَ مَا يَبْدُو الْأَغْرُ الْمُحْجَلُ
كَلُوبُهُ وَقَلْبٌ حَافِظٌ لَيْسَ يَغْفُلُ
فَآخِرُ مَا يَرَعَى سِوَاهُ وَأَوَّلُ
وَلَا خَطَلَةٌ فِي الرَّأْيِ وَالرَّأْيُ يَخْطَلُ
مَعَارِفُ فِي أَعْجَازِهِ وَهُوَ مُقْبَلُ
لَأَنَّتَ مِنَ الْعَهْدِ الَّذِي نَلْتَ أَفْضَلُ
وَلَكِنْ بِتَقْوَى اللَّهِ أَنْتَ مُسْرَبَلُ
وَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ عَضُوءٌ وَمَفْصِلُ
فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا عَلَيْكَ الْمَعْوَلُ
إِلَيْكَ كَمَا كُنَّا أَبَاكَ نُؤْمَلُ

وهي قصيدة طويلة ، هذا مختار من جميعها .

[يذكر في مال المهدي فيوثقه بالحديد]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن عبد الله بن مالك ، قال : حدثني أبي ، قال : وجه المهدي نضيباً الشاعر مولاه إلى اليمن في شراء إبلي مهريّة ، ووجهه معه رجلاً من الشيعة ، وكتب معه إلى عامله على اليمن بعشرين ألف دينار ، قال : فمدّ أبو الحجناء يده في الدنانير يُنفقها في الأكل والشرب ، وشراء الجوّاري والتزويج ، فكتب الشيعي بخبره إلى المهدي ، فكتب المهدي في حمّله موثقاً في الحديد .

[يتشفع بشعره إلى المهدي]

فلما دخل على المهدي أنشده شعره : وقال :

[من الطويل]

تَأْوِنِي ثِقْلٌ مِنْ أَلْهَمٍ مُوجِعُ
هُمُومٍ تَوَالَتْ لَوْ أُطَافَ يَسِيرُهَا
وَلَكِنَّهَا نَيْطَتْ فَنَاءً بِحَمَلِهَا
وَعَادَتْ بِلَادُ اللَّهِ ظُلْمَاءَ حَنِيصًا
فَأَرَّقَ عَيْنِي وَالخَلِيُونَ هُجَّعُ
بِسَلْمَى لظَلَّتْ شَمُّهَا تَتَصَدَّعُ
جَهِيرُ الْمَنَايَا حَائِنُ النَّفْسِ مَجْرَعُ
فَخَلَّتْ دُجَى ظُلْمَائِهَا لَا تَقْشَعُ

وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

إليكَ أميرَ المؤمنين ولم أجِدْ
 تلمستُ هل من شافع لي فلم أجِدْ
 لكن جلت الأجرامُ مني وأفظعتُ
 لكن لم تسعني يا ابنَ عمِّ محمد
 طبعت عليها صبغةً ثم لم تزلْ
 تغايبك عن ذي الذنبِ ترجو صلاحه
 وعفوكَ عمن لو تكونُ جريمةً
 وأنك لا تنفكُ تُعش عاثراً
 وحلمك عن ذي الجهل من بعدما جرى
 فبيهنَّ لي إمَّا شفَعن منافعُ
 مُناصحتي بالفعل إن كنت نائياً
 وثانيةً ظنني بك الخيرَ غائباً
 وثالثةً أتني على ما هويته
 ورابعةً أتني إليك يسوقني
 وإني لمولاك الذي إن جفوته
 وإني لمولاك الضعيفُ فأعفني

سواك مُجيراً منك يُدني ويمنعُ
 سوى رحمةٍ أعطاكها الله تشفعُ
 لعفوكَ عن جرّمي أجلُّ وأوسعُ
 لما عجزتُ عني وسائلُ أربعُ
 على صالح الأخلاقِ والدينِ تُطبَعُ
 وأنت ترى ما كان يأتي ويصنعُ
 لطارت به في الجوّ نكباءُ زعزعُ
 ولم تعترضه حين يكبو ويخمعُ¹
 به عنقُ من طائش الجهل أشنعُ²
 وفي الأربع الأولى إليهنَّ أفرعُ
 إذا كان دانٍ منك بالقول يخذعُ
 وإن قلتَ عبدٌ ظاهر الغشِّ مُسيعُ³
 وإن كثر الأعداءُ فيّ وشنعوا
 ولائي فمولاك الذي لا يضيعُ
 أتني مستكيناً راهباً يتضرعُ
 فإني لعفوٍ منك أهلٌ وموضعُ

[المهدي يقبل الشفاعة ويجيزه ويزوجّه]

فقطع المهديُّ عليه الإنشادَ ، ثم قال له : وَمَنْ أَعْتَقَكَ يا ابن السوداء ! فأوماً بيده إلى الهادي ، وقال : الأمير موسى يا أمير المؤمنين ، فقال المهديُّ لموسى : أَعْتَقْتَهُ يا بُنَيَّ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، فأمضى المهديُّ ذلك وأمر بحديده ، ففكَّ عنه ، وخلعَ عليه عِدَّةً من

1 يخمع : يعرج في المشي .

2 العنق : ضرب من السير .

3 مسيع : خبيث .

الخلع الوشي والخز والسواد والبياض ، ووصله بألفي دينار ، وأمر له بجارية يقال لها :
جعفرة جميلة فائقة من روفة¹ الرقيق .

فقال له سالم قيّم الرقيق : لا أدفعها إليك أو تعطيتني ألف درهم ، فقال
قصيدته :

أأذن الحي فانصاعوا بترحالٍ فهاج بينهم شوقي ولبالي
وقام بها بين يدي المهدي فلما قال :

ما زلت تبذل لي الأموال مجتهداً حتى لأصبحتُ ذا أهلي وذا مالٍ
زوّجتني يا ابن خير الناس جاريةً ما كان أمثالها يُهدى لأمثالي
زوّجتني بضّةً بيضاء ناعمةً كأنّها ذرّةٌ في كفّ لآلٍ
حتى توهمتُ أن الله عجلها يا ابن الخلائف لي من خير أعمالي
فسألني سالم ألفاً فقلت له أنّى لي الألف يا قُبْحَت من سالٍ

أراد : من سائل ، كما قالوا : شاكي السلاح وشائك .

هيات ألفك إلا أن أجيء بها من فضل موالي لطيف المنّ مفضالٍ
فأمر له المهدي بألف دينار ولسالم بألف درهم .

[ابنته تبكي حين رآته مقيداً]

قال ابن أبي سعد : وحدثني غير محمد بن عبد الله ؛ أنّه حبس باليمن مدةً طويلةً ، ثم
أشخص إلى المهدي ، فقال وهو في الحبس ، ودخلت إليه ابنته حجناء ، فلما رأت قيوده
بكت ، فقال :

[من الطويل]

لقد أصبحت حجناء تبكي لوالدي بدرة عين قلّ عنه غناؤها
أحجناء صبراً ، كل نفس رهينةً بموتٍ ومكتوبٍ عليها بلاؤها
أحجناء أسباب المنايا بمرصدٍ فالأ يعاجل غدوها فمساؤها
أحجناء إن أفلت من السجن تلقني حتوف منايا لا يردّ قضاؤها

1 روفة الرقيق : جمع راقعة ، أي حسان الرقيق .

أحجناء إن أضحى أبوك ودلوه
لقد كان يُدلي في رجال كثيرة
أحجناء إن يصبح أبوك ونفسه
لقد كان في دنيا تفيًا ظلها
تعرتُ عُراً منها ورثَ رشاؤها
فيمتَح مَلأى وهي صفرٌ دلاؤها
قليلٌ تمنّيها قصيرٌ عزاؤها
عليه ومجلوبٌ إليه بهاؤها

[يمدح ثمامة العبيسي]

قال ابن أبي سعد : ولما دخل نصيب على المهديّ مقيّداً رَفَدَه ثمامةُ بن الوليد العبيسيّ عنده واستعطفه له ، وسوّغ عذره عنده ، ولم يزل يرفُقُ به ، حتى أمر بإطلاقه ، وكان نصيب في متقدّم الأيام منقطعاً إلى أخيه شيبه فقال فيه :

[من الكامل]

أثمامُ إنك قد فككتُ ثماما
حَلَقاً توَسَّطها العمودُ فلزها
اللهُ أنقذني به من هُوّة
فلأشكرنك يا ثمامة ما جرتُ
ولأشكرنك يا ثمامة ما دعتُ
وخلفتَ شيبه في المقامِ ولا أرى
أغنى إذا التمس الرجالُ غناه
وأعمُ منفعةً وأكرمُ حائطاً
لا يبعدنُ ابنُ الوليدِ فإنّه
لو من سوى رهطِ النبيّ خليفةً
حَلَقاً برين من النصيبِ عظاما
لولا ثمامةُ وإللهُ لداما¹
تبهاء مُهلكةٌ تكونُ رجاما
فِرْقُ السحابِ كَنهورا ورُكاما²
ورُقُ الحمامِ على الغُصونِ حَماما
كمقامِ شيبه في الرجالِ مقاما
في كلِّ نازلةٍ تكونُ غراما
تهديّ إليه تحيةً وسلاما
قد نال من كلِّ الأمورِ جساما³
يُدعى لكان خليفةً وإماما

[بيكي شيبه أبا ثمامة]

قال ابن أبي سعد : ودخل نصيب على ثمامة بعد وفاة أخيه شيبه ، وهو يفرّق خيله على الناس ، فأمر له بفرس منها ؛ فأبى أن يقبله ؛ وبكى ، ثم قال :

[من البسيط]

- 1 لزها : ألصقها .
- 2 كنهوراً : قطعاً من السحاب . ركاما في ل : جهاما وهو سحاب لا يمطر ، والركام : التراكم المتجمع .
- 3 نال من كل الأمور في ل : قد كان نال من الأمور .

يا شبيبة الخيرِ إِمَّا كُنْتَ لِي شَجِنًا آلَيْتُ بَعْدَكَ لَا أَبْكِي عَلَى شَجْنِ
أُضْحَتْ جِيَادُ أَبِي الْقَعْقَاعِ مُقْسَمَةً فِي الْأَقْرَبِينَ بِلَا مَنٍّْ وَلَا تَمَنٍّ¹
وَرَثْتَهُمْ فَتَعَزَّوْا عَنْكَ إِذْ وَرَثُوا وَمَا وَرِثْتُكَ غَيْرَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ

فَجَعَلَ ثَمَامَةَ وَمَنْ عِنْدَهُ حَاضِرٌ مِنْ أَهْلِهِ وَإِخْوَانِهِ يَبْكُونَ .

وشبيبة بن الوليد هذا وأخوه من وجوه قواد المهدي .

[اليزيدي يهجو شبيبة]

وفي شبيبة يقول أبو محمد اليزيدي يهجو ، وكان عارضه في شيء من النحو بحضرة

المهدي : [من الخفيف]

عِشْ بِجَدِّ فَلَنْ يَضُرَّكَ نَوْكٌ إِنَّمَا عِيشُ مَنْ تَرَى بِالْجُدُودِ
عِشْ بِجَدِّ وَكُنْ هَبْنَقَةَ الْقَيْدِ سَيِّئاً جَهْلًا أَوْ شَبِيهَةَ بَنِ الْوَلِيدِ

أخبرنا بذلك محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عن أبيه .

[يهجو من لا يجيزه]

أخبرني عمي قال : حدثنا القاسم بن محمد الأنباري ، قال : حدثنا عبد الله بن بشر
البحلي عن النضر بن طاهر قال : أتى نصيب مولى المهدي عبد الله بن محمد بن الأشعث ،
وهو يتقلد صنعاء للمهدي ، فمدحه ، فلم يُثبه ، واستكسأه بُرداً فلم يكسه ، فقال

يهجو : [من الطويل]

سَأَكْسُوكَ مِنْ صِنْعَاءِ مَا قَدْ كَسَوْتَنِي مَقْطَعَةً تَبْقَى عَلَى قَدَمِ الدَّهْرِ
إِذَا طُوِيَتْ كَانَتْ فُضُوحُكَ طَيْهَاً وَإِنْ نُشِرَتْ زَادَتْكَ خَزِيئاً عَلَى النَّشْرِ²
أَغْرَكَ أَنْ بَيَّضْتَ بَيْتَ حَمَامَةٍ وَقَلْتَ : أَنَا شَبْعَانُ مُتَفَجِّحُ الْخَضْرِ³
لَقَدْ كُنْتَ فِي سَلْحٍ سَلَحْتَ مَخَافَةَ الْـ حَرُورِيَّةِ الشَّارِينِ دَاعٍ إِلَى الضَّرِّ⁴

1 مَنْ فِي ل : حَمَل .

2 خَزِيئاً فِي ل : طَيْباً .

3 مُتَفَجِّحُ : مُرْتَفِعُ .

4 الْحَرُورِيَّةُ : طَائِفَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ فِي الْيَمَنِ ، كَانَتْ مِنْ أَتْبَاعِ نَجْدَةَ بْنِ عُوَيْمِر .

ولكنه يأبى بك البهرُ كلُّما جريتَ مع الجاري وضيقٌ من الصدر¹

[مساجلة حول فرس]

قال النضر: وكان النُصيب مَلعوناً ، هَجَاءً ، فأهدى للربيع بن عبد الله بن الربيع الحارثي فرساً فقيلهُ ، ثم ندم خوفاً من ثِقَلِ الثواب ، فجعل يَعيبُ الفرس ، ويذكر بُطاهُ وعجزه ، فبلغ ذلك النُصيب ، فقال :

أعبتَ جوادنا ورغبتَ عنه وما فيه لعمركَ من مَعابِ
وما بجوادنا عجزٌ ولكن أظنُّك قد عجزتَ عن الثوابِ

فأجابه الربيعُ فقال :

رُويدك لا تكن عَجِلاً إلينا أتاك بما يسوءك من جوابِ
وجدتُ جوادكم فذمنا بطيهاً فما لكمُ لدينا من ثوابِ²

فلما كان بعد أيام رأى النُصيبُ الفرسَ تحتَ الربيعِ فقال له :

أخذتَ مُشَهراً في كلِّ أرضِ فَعجَّلْ يا ربيعُ مشهراًتي
يمانِيَّةً تخيِّرُها يمانِ منمنمةَ البيوتِ مُقطَّعاتِ
وجارِيَّةً أضَلتَ والذِيها مولدةً وبيضاً وافياتِ
فَعجَّلُها وأنفِذها إلينا ودَعْنَا من بناتِ التُّرُهاتِ³

فأجابه الربيعُ فقال :

بعثتَ بمقرِفِ حَطمِ إلينا بطيء الحُضُرِ ثم تقولُ : هاتِ⁴

فقال النُصيب :

في سبيلِ الله أودى فرسي ثم عُللتُ بأبياتِ هَزَجِ
كنتُ أرجو من ربيعِ فرجاً فإذا ما عنده لي من فرجِ

1 البهر: تتابع النفس من شدة الجري وانقطاعه من الإعياء .

2 القدم: الغليظ الجاني الأحمق .

3 الترهات: الأباطيل ومفردها ترهة .

4 المقرف: ليست أمه عربية ولا أبوه . حطم: متكسر ، والحطم داء في قوائم الدابة والحضر: شدة عدو الفرس .

[بيض الدراهم بدل بيض الغواني]

قال : ثم خرج الربيعُ إلى مكة ، وقد كان وعد النُصيبَ جاريةً ، فلم يعطه ، وأمر ابنه أن يدفع إليه ألفي درهم ففعل ، فقال النُصيب : [من الطويل]

ألا أبلغا عني الربيع رسالةً
أعزت عليك البيض لما أرغتها¹
ألم تر أنني غير مستطرف الغنى
وأنك لم تهبط من الأرض تلعنةً
ربيع بني عبد المدان الأكارم
فرغت إلى إعداد بيض الدراهم¹
حديث وأنني من ذؤابة هاشم
ولا نجوة إلا بعهدي وخاتمي

[شعر حول طبق تمر]

قال : ثم قديم الربيعُ فأهدى إلى دُفافة بن عبد العزيز العبسيّ طبق تمر ، فقال فيه دُفافة : [من الطويل]

بعثت بتمرٍ في طيبي كأنما
فلو أن ما تهدي سنياً قبلته
كان الذي أهديت من بُعد شقةً
بعثت بياقوتٍ توقد كالجمر
ولكنما أهديت مثلك في القدر
إلينا من الملقى على ضفة الجسر

فأجابه الربيعُ فقال : [من الطويل]

سأل الناس إما كنت لا بد طالباً
فإنك إن تحمّل على القدر لا تمل
لقد كنت مني في غدير وروضة
وما كنت منناً ولكن كفرتني
لعمري لقد أعطيت ما لست أهله
إيهم بالأ يملوك على القدر
يد الدهر من بر فتيل ولا بحر
وفي غسل جم وما شئت من خمري
وأظهرت لي ذمماً فأظهرت من عذري
ولا أهل ما يلتقي على ضفة الجسر

فبلغت أبياتهما نصيباً ، فشمت بالربيع ، وقال فيه هذه القصيدة : [من الطويل]

رضيتكما حرصاً ومنعاً ولم يكن
متى يجتمع يوماً حريصاً ومانع
يهيجكما إلا الحقيير من الأمر
فليس إلى حمدي سبيل ولا أجر

1 أرغتها : طلبتها . رغت : ملت وخذت .

أحارِ بن كعبِ إنَّ عيساً تغلغلتُ
إلى السرِّ من نجران في طلب التَّمْرِ
فكيفَ ترى عيساً وعيسٌ حريصةٌ
إذا طمِعتَ في التَّمْرِ من ذلك العُبرِ¹
لقد كنتما في التَّمْرِ لله أنتما
شبيهين بالملقى على ضِفَّة الجِسْرِ

[يرتجل مطولة في مدح الفضل بن يحيى]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، قال : حدثنا محمد بن يزيد النحوي ، قال : حدثت من غير وجه : أن النُّصيب دخل على الفضل بن يحيى بن خالد مسلماً ، فوجد عنده جماعة من الشعراء قد امتدحوه ، فهم يُنشدونه ، ويأمر لهم بالجوائز ، ولم يكن امتدحه ، ولا أعدَّ له شيئاً . فلما فرغوا ، وكان يُروِّي قولاً في نفسه ، استأذن في الإنشاد ، ثم أنشد قصيدته التي أولها قوله :

[من الكامل]

طرقتك ميةً والمزار شطيب	وتثيك الهجران وهي قريب
لله ميةٌ خلَّةٌ لو أنَّها	تجري الوداد بوذها وتثيب
وكان ميةً حين أتلع جيدها	رشاً أغن من الظباء ريب
نصفان ما تحت المؤزر عاتك	دغصٌ أغرٌ وفوق ذاك قضيب ²
ما للمنازل لا تكاد تجيب	أنى يجيبك جندلٌ وجوب ³
جادتك من سبيل الثريا ديمة	رياً ومن نوء السماء ذنوب
فلقد عهدت بك الحلال بغبطة	والدهر غضٌّ والجناب خصيب
إذ للشباب علي من ورق الصبا	ظلٌّ وإذ غصن الشباب رطيب
طرب الفؤاد ولات حين تطرب	إن الموكل بالصبا لطروب
وتقول ميةً ما ليثلك والصبا	واللون أسودٌ حالك غريب
شاب الغراب وما أراك تشيب	وطلابك البيض الحسان عجب
أعلاقة أسبابهن وإنما	أفنان رأسك فلفل وزيب

1 العُبر من الشيء : الكثير .

2 العاتك : الخالص من الألوان المحمر من الطيب .

3 جبوب : وجه الأرض الصلب .

لا تهزئي مني فرت عائب
ولقد يصاحبني الكرام وطالما
وأجر من حلال الملوك طرائفا
وأسالب الحسنة فضل إزارها
وأقول منقوح البدي كأنه
ما لا يعيب الناس وهو معيب
يسمو إلي السيد المحجوب
منها علي عصاب وسيب¹
فأصورها وإزارها مسلوب²
برد تنافسه التجار قشيب³

يقول فيها في مدح الفضل :

والبرمكي إذا تقارب سنه
خرق العطاء إذا استهل عطاؤه
يا آل برمك ما رأينا مثلكم
وإذا بدا الفضل بن يحيى هبته
قاد الجياد إلى العدا وكانتها
قبا تباري في الأعة شربا
من كل مضطرب العنان كأنه
تهوي بكل مغاور عادته
حتى صبحن الطالبى بعارض
خاف ابن عبد الله ما خوفته
ولقد رآك الموت إلا أنه
فرمى إليك بنفسه فجا بها
فكسوته ثوب الأمان وإنه
شمننا إليك مخيلة لا خلباً
أو باعدته السن فهو نجيب
لا متبع مناً ولا محسوب
ما منكم إلا أغر وهوب
لجلاله إن الجليل مهيب
رجل الجراد تسوقهن جنوب
تدع الحرون كآتهن سوب⁴
ذئب ييادره الفريسة ذيب
صدق اللقاء فما له تكذب
فيه المنايا تغدي وتوب
فجفاك ثم أتاك وهو منيب
بالظن يخطيء مرة ويصيب
أجل إليه ينتهي مكتوب
لا حبله وإه ولا مقسوب
في الشيم إذ بعض البروق خلوب

1 سيب : جمع سببية وهي شقة رقيقة من الثياب ، وقيل من الكتان خاصة .

2 أصولها : أميلها .

3 البدي : البديهة . ومنقوح الكلام ، مهذبه ومحمره وفي ل : مقترح .

4 قبا : ضواهر ، مفرد أقب أو قباء . شرباً : خشنة يابسة ، جمع شازب .

إِنَّا عَلَى ثِقَةٍ وَظَنٍّ صَادِقٍ مِمَّا نُوَمِّلُهُ فليسَ نَخِيبُ

[يجيزه الفضل فيشكره]

قال : فاستحسنها الفضلُ ، وأمر له بثلاثين ألفَ درهم ، فقبضَها ، ووَثِبَ قائماً ، وهو

يقول :

إِنِّي سَأْمُدِحُ الْفَضْلَ الَّذِي حُنَيْتُ	مِنَّا عَلَيْهِ قُلُوبُ الْبِرِّ وَالضَّلَعُ
جَادَ الرَّبِيعُ الَّذِي كُنَّا نُوَمِّلُهُ	فَكُنَّا بِرَبِيعِ الْفَضْلِ مَرْتَبِعُ
كَانَتْ تَطُولُ بِنَا فِي الْأَرْضِ نَجَعْتَنَا	فَالْيَوْمَ عِنْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ نَنْتَجِعُ
إِنْ ضَاقَ مَذْهَبُنَا أَوْ حَلَّ سَاحَتَنَا	صَنْكٌ وَأَزْمٌ فَعِنْدَ الْفَضْلِ مَتَّسَعٌ ¹
مَا سَلَّمَ اللَّهُ نَفْسَ الْفَضْلِ مِنْ تَلْفٍ	فَمَا أَبَالِي أَقَامَ النَّاسُ أَمْ رَجَعُوا
إِنْ يَمْنَعُوا مَا حَوَتْ مِنَّا أَكْفَهُمْ	فَلَنْ يَضُرَّ أَبَا الْحِجْنَاءِ مَا مَنَعُوا
أَوْ حَلَّوْنَا وَزَادُوا عَن حِيَاضِهِمْ	يَوْمَ الشَّرُوعِ فَفِي غُدْرَانِكَ الشَّرْعُ ²
يَا مَسْكَأَ بَعْرَا الدُّنْيَا إِذَا خَشِيتُ	مِنْهَا الزَّلَازِلُ وَالْأَمْرُ الَّذِي يَقَعُ
قَدْ ضَرَّسْتِكَ اللَّيَالِي وَهِيَ خَالِيَةٌ	وَأَحْكَمْتِكَ النَّهْيَ وَالْأَزْلَمُ الْجَدْعُ ³
فَغَادِرَا مِنْكَ حَزْناً عَن مُعَاسِرَةٍ	سَهَلِ الْجَنَابِ يَسِيراً حِينَ يَتَّبِعُ
لَمْ يَفْتَلِتْكَ نَقِيرًا عَن مُخَادَعَةٍ	دَهْيُ الرَّجَالِ وَلِلسُّؤَالِ تَنَخَّدُ ⁴
فَأَنْتَ مُضْطَلِّعٌ بِالْمَلِكِ تَحْمَلُهُ	كَأَبُوكَ بِثِقَلِ الْمَلِكِ مُضْطَلِّعُ

[يمدح زبيدة في موسم الحج]

قال ابن أبي سعد : لَمَّا حَجَّتْ أُمُّ جَعْفَرِ زُبَيْدَةَ لَقِيَهَا النَّصِيبُ ، فَتَرَجَّلَ عَن فَرْسِهِ وَأَنْشَأَ

يقول :

سَيَسْتَبْشِرُ الْبَيْتُ الْحَرَامُ وَزَمَزَمَ بِأَمِّ وَلِيِّ الْعَهْدِ زَيْنِ الْمَوَاسِمِ

1 أزم : شدة .

2 حلأونا : منعونا الشرب .

3 الأزلم الجذع : معناهما الدهر الكثير البلايا الذي لا يهرم .

4 دهى : أي الدهاء ، وهو جودة الرأي والبصر بالأمر .

ويعلم مَنْ وافى المحصَّب أنّها
بنو هاشم زينُ البرية كلّها
سليلاً أملاكٍ تفرَّعت الذرى
فوالله ما نَدري : أفضلُ حديثها
يظنّ الذي أعطته منها رغبةً
ستحمل ثقلَ الغرم عن كلِّ غارِمٍ¹
وأُمُّ وليّ العهد زينٌ لهاشم
كرامٍ لأبناء الملوك الأكارِمِ
عليهم به تَسْمو أمُّ المُتقادمِ
يقصّ عليه الناسُ أحلامَ نائمِ

فأمّرت له بعشرة آلاف درهم وفرس ، فأعطيه بلا سرج ؛ فتلقاها لما رحلتُ

[من الوافر]

وقال :

لقد سادتُ زبيدةُ كلَّ حيٍّ
تُقى وسماحةً وخلوصُ مجد
إذا نزلتُ منازلها قريشٌ
بلغتِ من المفاخر كلَّ فخرٍ
وأعطيتِ اللّهي لكنَّ طرْفِي
وميتِ ما خلا الملكَ الهماما
إذا الأنسابُ أخلصتِ الكراما
نزلتِ الأنفَ منها والسناما
وجاوزتِ الكلامَ فلا كلاما
يريدُ السَّرَجَ منكم واللّجاما

فأمّرت له بسرج ولجام .

[الحجاء ابنته تشد المهدى]

قال ابنُ أبي سعد : خرج المهدى يتنزّه بعيسى باذ² ، وقدم النّصيبُ ، ومعه ابنته حجّاء ،

فدخل على المهدى ، وهي معه ، فأنشدته قولها فيه :

[من الخفيف]

رُبَّ عيشٍ ولذّةٍ ونعيمٍ
بسط الله فيه أبهى بساطٍ
ثم من ناضِرٍ من العُشبِ الأخدِ
مدّه الله بالتّحاسين حتى
وبهاءٍ بمشرقِ الميّدانِ
من بهارِ وزاهرِ الحوذانِ³
ضَرَّ يزهو شقائق النُّعمانِ
قَصَّرت دون طولهِ العَيْنانِ⁴

1 المحصَّب : موضع رمي الجمار بمنى .

2 عيسى باذ : محلة كانت بشرقي بغداد .

3 بهار : نبت طيب الرائحة . الحوذان : بقلة من بقول الرياض لها نور أصفر طيب الرائحة أيضاً .

4 التحاسين : جمع تحسين وهو ما وضع للزينة .

خُفِّقَتْ حَافَتَاهُ حَيْثُ تَنَاهَى بخيامٍ فِي الْعَيْنِ كَالظُّلْمَانِ
زَيْنُوا وَسَطَهَا بِطَارِمَةٍ مِثْ لِ الثَّرِيَّا يَحْفُهَا النَّسْرَانِ¹
ثُمَّ حَشَوُ الخِيَامَ بِيضٌ كَأَمْثَا لِ الْمَهَا فِي صَرَائِمِ الكُثْبَانِ²
يَتَجَاوِبْنَ فِي غِنَاءِ شَجِيٍّ «أَسْعِدَانِي يَا نَخْلَتِي حُلْوَانِ»³
فَبَقِصِرِ السَّلَامِ مِنْ سَلَّمَ اللد هُ وَأَبْقَى خَلِيفَةَ الرَّحْمَنِ
وَلَدِيهِ الْغِزْلَانُ بَلْ هُنَّ أَبْهَى عِنْدَهُ مِنْ شَوَادِنِ الْغِزْلَانِ
يَالَهُ مَنْظَرًا وَيَوْمَ سُرُورٍ شَهِدْتُ لَذَّتِيهِ كُلُّ حَصَانِ

فَأَمْرٌ لَهَا الْمَهْدِيِّ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَلَهُ بِمِثْلِهَا .

[الحجناء تمدح العباسة بنت المهدي]

قال : ثم دخلت الحجناء على العباسة بنت المهدي ، فأنشدها تقول : [من الطويل]

أَتَيْنَاكِ يَا عَبَّاسَةَ الْخَيْرِ وَالْحَيَا وَقَدْ عَجَّفَتْ أَذْمُ الْمَهَارِي وَكَلَّتِ⁴
وَمَا تَرَكْتُ مِنْ السُّنُونِ بَقِيَّةً سَوَى رِمَّةٍ مِنْهَا مِنَ الْجَهْدِ رَمَتْ
فَقَالَ لَنَا مَنْ يَنْصَحُ الرَّأْيَ نَفْسَهُ وَقَدْ وَلَّتِ الْأَمْوَالُ عَنَّا فَكَلَّتِ
عَلَيْكِ ابْنَةُ الْمَهْدِيِّ عُودِي بِبَابِهَا فَإِنْ مَحَلَّ الْخَيْرِ فِي حَيْثُ حَلَّتِ

فَأَمَرْتُ لَهَا بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَكُسُودَةٍ وَطَيْبٍ ، فَقَالَتْ : [من البسيط]

أَغْنَيْتِنِي يَا ابْنَةَ الْمَهْدِيِّ أَيَّ غَنَى بِأَعْجَرِينَ كَثِيرٍ فِيهِمَا الْوَرَقُ

أَي : اغْنَيْتِنِي عَلَى عَقْبِ مَا أَغْنَانِي أَخُوكِ . بِأَعْجَرِينَ : بِكَيْسِينَ .

مِنْ ضَرْبِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ مُحَكَّكَةً مِثْلَ الْمَصَائِيحِ فِي الظُّلْمَاءِ تَأْتَلِقُ

1 الطارمة : بيت من الخشب كالقبة .

2 صرائم الكثبان : جمع صريمة ، وهي قطعة من الرمل .

3 نخلتنا حلوان : يطلق هذا الاسم على جملة قرى ، والمراد هنا حلوان العراق . وهذا الشطر في مطلع قصيدة مطيع بن إبّاس التي يقول فيه :

أَسْعِدَانِي يَا نَخْلَتِي حُلْوَانِ وَابْكِيَانِي مِنْ رَيْبِ هَذَا الزَّمَانِ

4 آدم : جمع أدماء ، أي لونها مشرب بياضاً أو سواداً .

أَمَّا الْحَسُودُ فَقَدْ أَمْسَى تَغِيْظُهُ غَمًّا وَكَادَ بَرَجَعَ الرِّيقُ يَخْتِنِقُ
وَذُو الصَّدَاقَةِ مَسْرُورٌ بِنَا فَرِحُ بَادِي الْبِشَارَةِ ضَاحٍ وَجْهُهُ شَرِقُ

[يمدح إسحاق بن الصباح]

وقال ابن أبي سعد : كان إسحاق بن الصباح الأشعثي صديقاً للنصيب ، وقدم قدمه من الحجاز ، فدخل على إسحاق ؛ وهو يهب لجماعة وردوا عليه برأ وتماً ، فيحملونه على إبلهم ويمضون ، فوهب لنصيب جارية حسناء يقال لها : مسرورة ، فأردفها خلفه ، ومضى وهو يقول :

[من الطويل]

إِذَا احْتَقَبُوا بُرًّا فَأَنْتَ حَقِيْبِي مِنْ الْبَشْرِيَّاتِ الثَّقَالِ الْحَقَائِبِ¹
ظَفَرْتُ بِهَا مِنْ أَشْعَثِيٍّ مَهْدَبِ أَغْرًا طَوِيْلٍ الْبَاعِ جَمِّ الْمَوَاهِبِ
فَدَيْ لَكَ يَا إِسْحَاقَ كُلُّ مَبْخَلٍ ضَجُورٍ إِذَا عَضَّتْ شِدَادُ النَّوَابِ
إِذَا مَا بِخَيْلِ الْقَوْمِ غَيْبَ مَالَهُ فَمَا لَكَ عِدًّا حَاضِرًا غَيْرُ غَائِبِ²
إِذَا اكْتَسَبَ الْقَوْمُ الثَّرَاءَ فَإِنَّمَا تَرَى الْحَمْدَ غُنْمًا مِنْ كَرِيمِ الْمَكَاسِبِ

وقال فيه أيضاً :

[من الطويل]

فَتَى مِنْ بَنِي الصَّبَّاحِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى كَمَا اهْتَزَّتْ مَسْنُونُ الْغِرَارِ عَتِيقُ
فَتَى لَا يَذُمُّ الضَّيْفُ وَالْجَارُ رِفْدَهُ وَلَا يَجْتَوِيهِ صَاحِبٌ وَرَفِيقُ³
أَغْرًا لِأَبْنَاءِ السَّيْلِ مَوَارِدُ إِلَى بَيْتِهِ تَهْدِيهِمْ وَطَرِيقُ
وَإِنْ عُدَّ أَنْسَابُ الْمُلُوكِ وَجَدْتَهُ إِلَى نَسَبِ يَعْلُوهُمْ وَيَفُوقُ
فَمَا فِي بَنِي الصَّبَّاحِ إِنْ بَعُدَ الْمَدَى عَلَى النَّاسِ إِلَّا سَابِقٌ وَعَرِيقُ
وَإِنِّي لِمَنْ شَاحَتْكُمْ لُمُشَاحِنُ وَإِنِّي لِمَنْ صَادَقْتُمْ لَصَدِيقُ

[يمدح خزيمة بن خازم]

قال : وكان النصيب إذا قدم على المهدي استهداه القواد منه ، وسأله أن يأمره بزيارتهم ،

1 البشريات في ل : المسريات .

2 القوم في ل : المال . مالك عد : أي كثير ، ولعل تشبيهه بالماء العد وهو الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها مثل ماء العين وماء البئر .

3 يجتويه : يكرهه .

فكان فيمن استزاره خُزَيْمَةُ بن خازم ، فوصله وحمله ، وقال فيه : [من الوافر]

وجدتُك يا خُزَيْمَةُ أُرِيحِيًّا بما تحوي وذا حَسَبِ صَمِيمِ
تميمٌ كانَ خَيْرَ بني معدٍّ وأنتَ اليومَ خَيْرُ بني تميمِ
سوى رهطِ النبيِّ وهم أديمٌ وأنتَ قُدِدْتِ من ذاك الأديمِ

وقال فيه أيضاً : [من البسيط]

يا أَفْضَلَ الناسِ عودا عندَ مَعْجَمِهِ إذا تَفاضَلَ يوماً مَعْجَمُ العودِ
إِنِّي لواحدُ شعيرٍ قد عُرِفْتُ به وذا خُزَيْمَةُ أَضحى واحدَ الجودِ
إن يعطُكَ اليومَ معروفًا يعِدُكَ غداً فأنتَ في نائلٍ منه وموعودِ
وقد رأينا تَمِيمًا غيرَ مُكْرَهَةٍ أَلَقْتِ إِلَيْكَ جميعاً بالمقاليدِ
فأنتَ أَكْرَمُها نفساً وأَفْضَلُها إنَّ الصناديدَ أبناءَ الصناديدِ

قال : وكان في غزاة سَمالو¹ مع المهديِّ ، فوقف به فرسه ، ومرَّ به جَعْدٌ مولى عبد الله بن هشام بن عمرو ، وبين يديه فرس يُجَنَّب² فقال له : قد ترى قيام فرسي تحتي ، فاردُّدْ إليَّ جَنِيبيك حتى يتروَّح فرسي ساعة ، فسكَّتْ ، ولم يُجِبْه فقال فيه : [من الطويل]

أُنادي بأعلى الصوتِ جَعْدًا وقد يرى مكاني ولكن لا يُجِيبُ وَيَسْمَعُ
ولم يَرِنِّي أهلاً لحُسْنِ إجابة ولا سُوءِها إِنِّي إلى الله أَرْجِعُ
فلو أَنتَني جازيتُ جَعْدًا بِفعله لقد لاح لي فيه من الشعرِ مَوْضِعُ
ولكنني جافيتُ عنه لِغيره بِحُسْنِ الذي يَأْتِي إليَّ وَيَصْنَعُ
رأيتُك لم تحفظْ قرابَةَ بيننا وما زالتِ القُرْبى لدى الناسِ تَنْفَعُ

[لا يريد شريكاً]

قال : وسألَ عُبَيْدَ الله بن يحيى بن سليمان مركباً ، فأعطاه إِيَّاه ، وجعل معه شريكاً له فيه ، فقال : [من البسيط]

لقد مدحتُ عبيداً إذ طَمِعْتُ به وقد تملَّقتُه لو يَنْفَعُ الملقُ

1 سمالو : من ثغور الشام قرب المصيصة وطرسوس .

2 فرس يجنب : يُقاد إلى آخر .

فعاد يسأل ما أصبحتُ سائله
 أحينَ سارَ مديحي فيكمُ طُرُقاً
 فكُلنا سائل في الحِرْصِ مُتَفِقُ
 وحيثُ غنَّتْ به الرُّكبانُ والرُّفُقُ
 قطعتَ حبلَ رجاءٍ كنتُ آملُه
 فيما لديكَ فأضحى وهو مُنْحَذِقُ¹
 قد كان أورقَ عودي من أبيك فقد
 لحيْتُ عُودي فجفَّ العودُ والورقُ
 من نازع الكلبَ عَرُقاً يرتجي شيباً
 كمصطلٍ بجريقٍ وهو يحترقُ²

[الفضل بن يحيى يستقل ما أعطاه]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا الزُّبير بن بكار قال : كتب إليّ أبو محمد إسحاق بن أبي إبراهيم يقول : أنشدتُ الفضلَ بن يحيى قولَ أبي الجَحْناء نُصَيْب :

عند الملوكِ مَضْرَةٌ ومنافعُ
 وإنَّ العروقَ إذا استسرَّ بها الثرى
 وأرى البرامِكَ لا تضرُّ وتنفَعُ
 أشيرَ النباتُ بها وطابَ المزرَعُ³
 فإذا نكّرتَ من امرئٍ أعرافه
 وقديمه فانظُرْ إلى ما يصنعُ

قال : فأعجبه الشعرُ ، فقال : يا أبا محمد ، كأنني والله لم أسمعُ هذا القولَ إلا الساعة ، وما له عندي عيب إلا أنّي لم أكافئه عليه . قال : قلتُ : وكيف ذلك أصلحك اللهُ ، وقد وهبتَ له ثلاثين ألفَ درهم ! فقال : لا والله ما ثلاثون ألفَ دينار بمكافئة له ، فكيف ثلاثون ألفَ درهم !

[جود الفضل جعل الناس كلهم شعراء]

أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمّار قال : أخبرني أحمدُ بنُ سليمان بن أبي شيخ قال : كان أبي يستملح قولَ نُصَيْب وقد رأى كثرةَ الشعراء على باب الفضل بن يحيى . فلما دخل الناس إليه قال له :

ما لقينا من جودِ فضل بن يحيى
 ترك الناسَ كلهم شعراء

1 منحذق : منقطع . وفي ل : منخرق .

2 عَرُقاً : عظماً .

3 أشر النبات : ازدهر .

ويقول : ما في الدنيا أحسنُ من هذا المعنى ، وعلى أنه قد أخذ منهم ما لا جليلاً ولكن قلماً سمعتُ بطبقته مثله .

صوت

[من الكامل]

طاف الخيالُ ولان حينَ تطرُبِ أن زار طيف موهباً من زينبِ
 طرقتُ فنفرتِ الكرى عن نائمٍ كانتُ وسادته ذراعَ الأرحبي¹
 فبكى الشبابَ وعهده وزمانه بعد المشيبِ وما بُكاءُ الأُشبِ

عروضه من الكامل ، الشعر لأبي شُراعةَ القيسيِّ ، والغناء للدعامة البصريِّ خفيف رمل
 بالبنصر من كتاب الهشاميِّ .

1 الأرحبيّ : الجمل المنسوب إلى أرحب ، وهي قبيلة من همدان .

[501] - أخبار أبي شراعة ونسبه

[نسبه]

هو ، فيما كتب به إلينا ابنه أبو الفيّاض سوّار بن أبي شراعة من أخباره ونسبه ، أحمد بن محمد بن شراعة بن ثعلبة بن محمد بن عمير بن أبي نعيم بن خالد بن عبدة بن مالك بن مرة بن عبّاد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعّب بن عليّ بن بكر بن وائل : شاعرٌ بصريٌّ من شعراء الدولة العباسيّة جيّد الشعر جزله ، ليس برقيق الطبع ، ولا سهل اللفظ ، وهو كالبدويّ الشعر في مذهبه ، وكان فصيحاً يتعاطى الرسائل والخطب مع شعره ، وكانت به لُوثة وهوج .

وأُمّه من بني تميم من بني العنبر ، وابنه أبو الفيّاض سوّار بن أبي شراعة أحدُ الشعراء الرواة ، قدِم علينا بمدينة السلام بعد سنة ثلثمائة ، فكتب عند أصحابنا قطعاً من الأخبار واللغة ، وفاتني فلم ألقه ، وكتب إليّ وإلى أبي ، رحمه الله ، بإجازة أخباره على يدي بعض إخواننا ، فكانت أخبار أبيه من ذلك .

[يهب نعله ويمشي حافياً]

فمنها ما حكاه عنه أنّه كان جواداً لا يُليق¹ شيئاً ، ولا يُسأل ما يقدر عليه إلاّ سمح به ، وأنّه وقف عليه سائل يوماً فرمى إليه بنعله وانصرف حافياً ، فعترّ فدَمِيتُ إصبَعُه فقال في ذلك :

وإن نَقِيت نَعلاي أو حَفِيت رِجْلي ²	ألا لا أبالي في العُلا ما أصابني
من النكبِ يدمى في المواساةِ والبذلِ ³	فلم ترَ عَيْني قَطُّ أَحسنَ منظراً
إذا بقِيتُ عندي السراويلُ أو نَعلي ⁴	ولستُ أبالي مَنْ تَأوَّبَ منزلي

1 لا يُليق : لا يمسك .

2 نقيت نعلاي : رقت أو ثقبت .

3 من النكب يدمى : وهو صدم الحجارة الرُّجل .

4 تأوَّب منزلي : زارني ليلاً .

[أخوه يقول إنه مجنون فيشد شعراً]

قال : وبلغه أن أخاه يقول : إن أخي مجنون ، قد أفقرنا ونفسه ، فقال : [من الطويل]

أَنْتِزُ مَجْنُوناً إِذَا جُدْتُ بِالَّذِي ملكتُ وَإِنْ دافعتُ عنه فعاقلُ
فداموا على الزورِ الذي قُرِفوا به ودمتُ على الإِعطاءِ ما جاء سائلُ¹
أبيتُ وتأبى لي رجالٌ أشحَّةُ على المجدِّ تنميهم تميمٌ ووائلُ²

قال : وقال أيضاً في ذلك : [من الطويل]

أئنُّ كنتُ في الفتیانِ آلوت سيدا كثيرٌ شحوبِ اللونِ مختلفِ العصبِ
فما لكَ من مولاك إلاَّ حفاظُهُ وما المرءُ إلاَّ باللسانِ وبالقلبِ
هما الأصغرانِ الذائدانِ عن الفتى مكارهه والصاحبانِ على الخطبِ
فإلاَّ أطقُ سعيَ الكرامِ فإنَّني أفكُ عن العاني وأصيرُ في الحربِ

[قصة لحن]

أخبرني عمي قال : أخبرني ميمون بن هارون قال : حدثني إبراهيم بن المدبر قال : كان عندي أبو شراعة بالبصرة ، وأنا أتولأها ، وكان عندي عمير المغني المدني ، وكان عمير بن مرة غطفانياً ، وكان يغني صوتاً يُجيدُهُ ، واختاره عليه وهو :

أَتَحْسِبُ ذَاتَ الخَالِ راجيةً ربّاً وقد صدعتُ قلباً يُجنُّ بها حبّاً
فاقترحه أبو شراعة على عمير ، فقال : أعطني دراهم ، حتى أقبل اقتراحك ، فقال له أبو شراعة : أخذ المغني من الشاعر يدلُّ على ضعف الشاعر ، ولكنني أعرضك لأبي إسحاق ، فغناه إياه ثلاث مرّات وقد شرب عليه ثلاثة أرطال . وقال : [من الطويل]

عدوتُ إلى المريِّ عدوةً فاتِكِ معنّ خليع للعواذلِ والعُدْرِ³
فقال لشيء ما أرى قلتُ : حاجةً مُغلغلةً بين المخنقِ والنحرِ⁴

1 قرفوا به : وصموا .

2 رجال أشحة : جمع شحيح ، أي بخيل .

3 معنّ : مبالغ في العناء والتجشّم .

4 مغلغلة : داخله معنة . المخنق : موضع الخناق .

فَلَمَّا لَوَانِي يَسْتَثِيب زَجْرْتُهُ وقلت : اغتَرِفُ إِنَّا كَلَانَا عَلَى بَحْرِ
أَلَيْسَ أَبُو إِسْحَاقَ فِيهِ غِنَى لَنَا فَيُجْدِي عَلَى قَيْسٍ وَأُجْدِي عَلَى بَكْرِ
فَغَنَى بَدَاتِ الْخَالِ حَتَّى اسْتَحْفَنِي وَكَادَ أَدِيمُ الْأَرْضِ مَنْ تَحْتَنَا يَجْرِي

[ابن المدبر يعطيه عشرة آلاف درهم]

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ قَالَ : كَانَ أَبُو شُرَاعَةَ صَدِيقًا لِابْنِ الْمَدْبَرِ أَيَّامَ تَقْلُدِهِ الْبَصْرَةَ ، وَكَانَ لَا يُفَارِقُهُ فِي سَائِرِ أَحْوَالِهِ ، وَلَا يَمْنَعُهُ حَاجَةٌ يَسْأَلُهُ إِيَّاهَا ، وَلَا يَشْفَعُ لِأَحَدٍ إِلَّا شَفَعَهُ ، فَلَمَّا عَزَلَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَدْبَرِ شَيْعَةَ النَّاسِ ، وَشَيْعَهُ أَبُو شُرَاعَةَ ، فَجَعَلَ يَرُدُّ النَّاسَ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ غَيْرُهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا شُرَاعَةَ غَايَةُ كُلِّ مَوَدَّعِ الْفِرَاقُ ، فَانصَرَفُ رَاشِدًا مَكْلُوبًا مِنْ غَيْرِ قَلْبِي وَاللَّهِ وَلَا مَلْلِي ، وَأَمْرَ لِهْ بَعَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فَعَانَقَهُ أَبُو شُرَاعَةَ ، وَبَكَى ؛ فَطَالَ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

[من الرمل]

يَا إِسْحَاقَ سِرٌّ فِي دَعَايَ وَامضِ مَصْحُوبًا فَمَا مِنْكَ خَلْفُ
لَيْتَ شَعْرِي أَيُّ أَرْضٍ أُجْدِبْتُ فَأُغِيثْتُ بِكَ مِنْ جَهْدِ الْعَجْفُ
نَزَلَ الرَّحْمَ مِنْ اللَّهِ بِهِمْ وَحُرْمَتِكَ لِذَنْبٍ قَدْ سَلَفُ
إِنَّمَا أَنْتَ رَيْبِعٌ بَاكِرٌ حَيْثُمَا صَرَفَهُ اللَّهُ انصَرَفُ

[خلاف حول هلال رمضان]

قَالَ أَبُو الْفَيْضِ سَوَّارُ بْنُ أَبِي شُرَاعَةَ : دَخَلَ أَبِي عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدْبَرِ وَعِنْدَهُ مُنَجِّمٌ ، فَمَارَاهُ¹ بْنِ الْمَدْبَرِ فِي رُؤْيَا الْهِلَالِ لِشَهْرِ رَمَضَانَ ؛ فَحَكَّمَ الْمُنَجِّمُ بِأَنَّهُ يُرَى ، وَحَلَفَ إِبْرَاهِيمُ بِعِتْقِ غِلْمَانِهِ أَنَّهُ لَا يُرَى ، فَرُمِيَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، فَأَعْتَقَ غِلْمَانَهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ دَخَلَ النَّاسُ يَهْتَشُونَهُ بِالشَّهْرِ ، فَأَنْشَدَهُ أَبُو شُرَاعَةَ يَقُولُ :

[من الخفيف]

أَيُّهَا الْمَكْتَرُ التَّجَنِّي عَلَى الْمَا لِ إِذَا مَا خَلَا مِنْ السُّؤَالِ
أَفْتِنَا فِي الَّذِينَ أَعْتَقْتَ بِالْأَمِّ سِ مَوَالِيكَ أَمْ مَوَالِي الْهِلَالِ
لَمْ يَكُنْ وَكَذُكَ الْهِلَالُ وَلَكِنْ تَتَأَلَّى لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ
إِنَّمَا لَدُنَّاكَ فِي الْمَالِ شَتَّى صَوْنُكَ الْعِرْضَ وَابْتِدَالُ الْمَالِ

ما نُبالي إذا بقيتَ سليماً من تولّتْ به صروفُ اللَّيالي

[لا يدعى فيغضب]

قال أبو الفيّاض : وكان أبو شُراعةَ صديقَ السُّدري ، فدعا يوماً إخوانه ، وأغفلَ أبا شُراعةَ . فمرَّ به الرياشي ، فقال : يا أبا شُراعة ، أأنتَ عندَ السُّدري معنا ؟ فقال : لم يدعُنا . ومرَّ به جماعةٌ من إخوانه ، فسألوه عن مثل ذلك ، ومرَّ به عيسى بنُ أبي حرب الصَّفار ، وكان ممن دُعِيَ ، فجلس وحلَّفَ ألاَّ يبرحَ حتى يأتيه السُّدري ، فاعتذرَ إليه ، ويدعوه ، فقال أبو شُراعةَ :

أيرحمارٍ في حِرِّ أمِّ شِعري وخصيتاه في حِرِّ أمِّ قَدري
 إنَّنا لم أَشْفَعهما بوفِرٍ لو كنتُ ذا وفِرٍ دَعاني السُّدري
 أو كان من همِّ هشامٍ أمري أو راح إبراهيمُ يُطري ذكري
 وابن الرياشي الضعيفُ الأسر يخافُ إنَّ أَرَدَفَ الأَّ يَجري
 وأنتَ يا عيسى سقاكَ المُسري نعمَ صديقُ عُسرةٍ ويُسر

[لا يستعين بإخوانه في بناء داره]

قال أبو الفيّاض : سقطتُ دارنا بالبصرة ، فعوتبَ أبي علي بنائها ، وقيل له : استعن بإخوانك إن عجزتَ عنه فقال :

تلوم ابنةَ البكريِّ حينَ أووبها هزبلاً وبعض الآئبين سَمينُ
 وقالتُ : لحاك اللهُ تستحسنُ العرا عن الدار إنَّ النائباتِ فُنونُ
 وحولك إخوانُ كرامٍ لهم غنْيي فقلتُ لإخواني : الكرامُ عُيونُ
 ذريني أمتُّ قبل احتلالِ حِلَّةٍ لها في وجوه السائلين غُضونُ
 سأفدي بمالي ماءً وجهي إنني بما فيه من ماء الحياء ضنَّينُ

[في ليالي شهر رمضان]

قال سوَّار بن أبي شُراعة : كان إخوانُ أبي يجتمعون عند الحسين بن أيوب بن جعفر بن سليمان في ليالي شهرِ رمضان ، فيهم الرياشي والجمَّاز ، فقال أبي في ذلك : [من البسيط]

لو كنتُ من شيعة الجمَّاز أقعدني مقاعداً قُرْبهنَّ الريفُ والشرفُ

لكنني كنت للعباس متبعاً وليس في مركب العباس مرتدفاً
قد بقيت من ليالي الشهر واحدة فعاودوا مالح البقال وانصرفوا

[طلاقه ليلة عرس نديمه]

قال : وتزوج نديم لأبي شراعة يقال له بيان امرأة ، فاتفق عرسه في ليلة طلق فيها أبو شراعة امرأته ، فعوتب في ذلك ، وقيل : بات بيان عروساً ، وبت عزباً ، فقال في ذلك : [من الطويل]

رأت عرس بيان فهبت تلومني رويدك لوماً فالمطلق أحوط
رويدك حتى يرجع البر أهله ويرحم رب العرس من حيث يغبط
إذا قال للطحان عند حسابه أعد نظراً إنني أظنك تغبط
فما راعه إلا دعاء وليدة هلم إلى السواق إن كنت تنشط
هنالك يدعو أمه فيسبها ويلتبس الأجر العقوق فيحبط
فيأذا العلاء إنني لفضلك شاكر أبيت وحيداً كلما شئت أضرط

[يشمت في بيان]

قال : ثم بلغه عن بيان هذا أنه عجز عن امرأته ، ولم يصل إليها ، ولقي منها شراً ، فقال في ذلك : [من الطويل]

رمى الدهر في صحي وفرق جلاسي وباعدهم عنّي بظعن وإعراس
فكلهم يبغي غلافاً لأيره وأقعدني عن ذاك فقري وإفلاسي
فشكراً لربي خان بيان أيره وأسعى بأيري في الظلام على الناس
يمسحه بالكف حتى يقيمه وهل ينفع الكفان من ثقل الراس

[أولادنا أكبادنا]

وقال أبو الفياض سوار : نظر إليّ أبي يوماً وقد سألت عمي حاجة فردني ، فبكي ، ثم قال : [من البسيط]

حبي لإغناء سوارٍ يُجشمني خوص الدجى واعتساف المهمة البيدي
كي لا تهون على الأعمام حاجته ولا يعلل عنها بالمواعيدي
ولا يوليهم إن جاء يسألها أكتاف معرصة في العيس مردودي

إذا بكى قال منهم ذو الحِفاظ له لقد بُليت بخلقٍ غيرِ محمودٍ

[يصف صنع النبيذ]

قال : وتمارى أبو شُراعة ورجلٌ من أهل بَغداد في النبيذ ، فجعل البغداديُّ يذمُّ نبيذَ التمر والدَّبْس ، فقال أبو شُراعة :

[من الرجز]

إذا انتخبَتَ حبَّه وديسَه ثم أُجدتَ ضربه ومرسَه¹
ثم أَطَلَّتْ في الإناءِ حبسَه شربتَ منه البابليُّ نفسه

[دراهمه تغني عن سؤال بخيلين]

قال : وأعوزُ أبا شُراعة يومئذِ النبيذُ ، فطلبَ من نديمين كانا له ، فاعتلَّ أحدهما بحلاوة نبيذه ، والآخرُ جُموضته ، فاشترى من نَباذ يقال له : أبو مَظْلُومَة دَسْتِجَة² بدرهمين ، وكتب إليهما :

[من الوافر]

سُيغني عن حلاوة دِبْسٍ يحبِّي ويُغني عن حُموض أبي أمية³
أبو مَظْلُومَة الشيخُ الموليُّ إذا اتزنتُ يدها دِرْهَمِيَّة

أخبرني عليُّ بن سليمان قال : حدَّثنا محمد بن يزيد قال : كان أبو شُراعة قبيحَ الوجه جداً ، فنظر يوماً في المرآة ، فأطال ، ثم قال : الحمد لله الذي لا يحمدُ على الشرِّ غيره .

[يوثر النبيذ على امرأته]

قال سوار بن أبي شُراعة : حلفَ أبي الأ يَشرب نبيذاً بطلاق امرأة كانت عنده ، فهجره حولين ، ثم حَبِث ، فشرِب ، وطلَّق امرأته وأنشأ يقول :

[من الطويل]

فَمَن كان لم يسمعَ عجبياً فإِنني عجبُ الحديثِ يا أميمَ وصادقُه
وقد كان لي أنسانٍ يا أمَّ مالكٍ وكلُّ إذا فَتَشَتْنِي أنا عاشقُه
عزيرةُ والكأسُ التي من يُحلِّها تُخادعه عن عقله فتصادقُه
تَحارَبَتا عندي فَعَطَلْتُ دَنِّها وأكوأها والدَّهرُ جَمُّ بوائِقُه³
وحرمُها حولين ثم أزلَّني حديثُ النَّدامي والنشيدُ أواقُه

1 انتخبت حبه : دنه وزيره . ضربه ومرسه : نقهه من الماء ودعكه باليد .

2 دسجة : إناء من زجاج .

3 بوائقه : جمع بائقة بمعنى مصيبة .

فلما شربتُ الكأسَ بانتُ بأختِها فبان الغزالُ المستحبُّ خلائقَهُ
فما أطيب الكأسَ التي اعتضت منكمُ ولكنَّها ليست بِرِيسمٍ أُعانقَهُ

[في مجلس الحسن بن رجاء]

قال أبو الفيض : قال أبي : قصدتُ الحسنَ بنَ رجاءٍ بالأهواز ، فصادفتُ بياه
دعبل بن عليَّ الخُزاعيَّ وجماعةً من الشعراء ، وقد اعتلَّ عليهم بدئين لزمه ومصادرة¹
فكتبَ إليه :

المالُ والعقلُ شيءٌ يُستعانُ به على المَقامِ بأبوابِ السلاطينِ
وأنتَ تعلمُ أنّي مِنهما عَطِلٌ إذا تأملتني يا ابنَ الدهاقينِ
هل تعلم اليومَ بالأهواز من رجلٍ سواك يصلحُ للدُّنيا وللدينِ
قال : فوجدنا وعداً قرَّبه ، ثم تدافع ، فكتبَ إليه :

[من البسيط]

آذنتُ جَبَّتِي بأمرٍ قبيح من فِراقٍ للطيلسانِ الفسيحِ
فكأنِّي بمن يزيدُ على الجبِّ في ظلِّ دار سهلٍ بنِ نوحِ
أنتَ رُوحُ الأهوازِ يا ابنَ رجاء أي شيءٍ يعيشُ إلا بروحِ
فأذن لي وللجماعة ، وقضى حوائجنا .

[يخدع أبناء سعيد بناعة عجماء]

قال أبو الفيض وحدثني أبي قال : حججتُ ، فأتيت دار سعيد بن سلم ، فنحرتُ فيها
ناقةً ، وقلت :

[من البسيط]

وردت دارَ سعيد وهي خاليةٌ وكان أبيضَ مطعاماً ذرى الإبلِ
فارتحتُ فيها أصيلاً عند ذُكرته وصُحبتني بمنى لاهونَ في شغلِ
فابتعتُ من إبلِ الجمالِ دهشرةً موسومةً لم تكنْ بالحِقَّةِ العُطلِ²
نحرتُها عن سعيد ثم قلت لهم :

قال : وبلغت الأبياتَ وفعلني ولده ، فأحسنوا المكافأة ، وأجزلوا الصلَّة ، قال : فقال له

1 مصادرة : مطالبة .

2 دهشرة : ناقة كبيرة وفي ل : دوسرة . الحقة : الناقة التي دخلت في السنة الرابعة . والعطل : هي التي لا سمه لها ولا قلائد .

صديق له : وأنت أيضاً قد استجدت لهم النَحيرة ! فضحك ، ثم قال : أُعْرِكَ وصفي لها ؟
 أشهدُ اللهُ أنِّي ما بلغتُ بها دار سعيد إلا بين عمودين .
 [هو خير من تعوله أمه]

وقال أبو الفيّاض : كان أبو أمامة محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن سلم ، وأمّه
 سُعدى بنت عمرو بن سعيد بن سلم ، صديقاً لأبي شُراعة ، وكانت أمّه سُعدى تعوله ، فكان
 أبو شُراعة لا يزال يعبث به ، وبلغه أن أبا أمامة يقول : إنّما معاشُ أبي شُراعة من السلطان
 ورفده ، ولولا ذلك لكان فقيراً ؛ فقال فيه :

عَيْرَتَنِي نَائِلَ السُّلْطَانِ أَطْلُبُهُ
 لَوْلَا امْتِنَانُ مَنْ السُّلْطَانِ تَجْهَلُهُ
 السُّودُ : مَوْضِعُ تَنْزُلِهِ بِأَهْلَةٍ بِالْبَادِيَةِ .
 يَا ضَلَّ رَأْيُكَ بَيْنَ الْخُرْقِ وَالنَّزَقِ
 أَصْبَحْتُ بِالسُّودِ فِي مَقْعُوعَسٍ خَلَقِ¹

رثَّ الرِّدَا بَيْنَ أَهْدَامِ مَرْقَعَةٍ
 لَا شَيْءَ أَثْبَتُ بِالْإِنْسَانِ مَعْرِفَةً
 فَأَيْنَ دَارُكَ مِنْهَا وَهِيَ مُؤْمَنَةٌ
 وَأَيْنَ رِزْقُكَ إِلَّا مِنْ يَدَيِّ مَرَّةٍ
 تَبَيْتَ وَالْمَهْرَ مَمْدُوداً عِيونَكَمَا
 مَا بَيْنَ رِزْقِكَمَا إِنْ فَاسَ ذُو فِطْنٍ
 شَارِكُهُ فِي صَيْدِهِ لِلْفَارِ تَأْكُلُهُ
 بَيْتٌ فِيهَا بَلِيلُ الْجَائِعِ الْفَرِقِ
 مِنَ الَّتِي حَزَمْتَ جَنْبِيهِ بِالْخِرْقِ
 بِاللَّهِ مَعْرُوفَةُ الْإِسْلَامِ وَالشَّقَقِ
 مَا بَتَّ مِنْ مَالِهَا إِلَّا عَلَى سَرَقِ
 إِلَى تَطْعَمِهَا مَخْضَرَّةَ الْحَدَقِ
 فَرَقٌ سِوَى أَنَّهُ يَأْتِيكَ فِي طَبَقِ
 كَمَا تُشَارِكُهُ فِي الْوَجْهِ وَالْحَلْقِ

[أبو أمامة يفحسه في برمة طفشيل]

قال أبو الفيّاض : وزاره أبو أمامة يوماً فوجد عنده طفشيلاً فأكله كلّه ، فقال أبو شُراعة
 يمازحه :

عَيْنُ جُودِي لِبُرْمَةِ الطُّفْشِيلِ
 فَجَعَلْتَنِي بِهَا يَدٌ لَمْ تَدْعُ لِلدَّ
 وَاسْتَهَلِّي فَالصَّبْرُ غَيْرُ جَمِيلِ²
 رَّ فِي صَحْنِ قَدْرِهَا مِنْ مَقِيلِ

1 مقعوعس خلق : بال قديم .

2 الطفشيل : نوع من المرق .

كان والله لحمها من فصيل راتع يرتعي كريمَ البقول
 فخلطنا بلحمه عدسَ الشأ م إلى حمص لنا مبلول
 فأتتنا كأنها روضة بالحز ن تدعو الجيران للتطفيل
 ثم أكفأت فوقها جفنة الحي وعلقت صحتي في زبيل¹
 فمنى الله لي بفظ غليظ ما أراه يُقرُّ بالتنزيل
 فانتحى دائماً يدبّل منها قلت: إن الثريد للتدبيل²
 فتغنى صوتاً ليوضح عندي حي أم العلاء قبل الرحيل

[نبيذ مزج بالماء]

أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال: حدثني سوار بن أبي شراعة قال: كتب أبي
 إلى سعيد بن موسى بن سعيد بن مسلم بن قتيبة يستهديه نبياً، فكتب إليه سعيد: إذا
 سألتني، جعلني الله فداءك، حاجة فاشطط، واحتكم فيها حكم الصبي على أهله³، فإن
 ذلك يسرني، وأسارع إلى إجابتك⁴ فيه. وأمر له بما التمس من النبيذ، فمزجه صاحب
 شرابه، وبعث به إليه. فكتب إليه أبو شراعة: أستنسى⁵ الله أجلك، وأستعيذه من
 الآفات لك، وأستعينه على شكر ما وهب من النعمة فيك، إنه لذلك ولي، وبه ملي.
 أتاني غلامك المليح قد، السعيد بملكك جدّه بكتاب قرأته غير مستكره اللفظ، ولا
 مؤرور عن القصد، ينطق بحكمتك، ويبين عن فضلك، فوالله ما أوضح لي خفياً، ولا
 زادني بك علماً، وإذا أنت تسأل فيه أن تهب، وتحب أن تحمد، ولا غرو⁶ أن تفعل
 ذلك، ومن كتبت أخذته، وعن كلاله وغير كلاله ورثته، موسى أبوك، وسعيد جدك،
 وعمرو عمك، ولك دار الصلّة، ودار الضيافة، وصاحب البعلة الشهباء⁷ وحصين بن

1 زبيل: قفة أو جراب.

2 يدبّل: يكبر اللقمة للفم.

3 مثل.

4 ل: محبتك.

5 أستنسى: أسأل الله أن يطيل أجلك.

6 لا غرو: لا عجب.

7 الشهباء: بياض يخالطة سواد.

الحمام وعروة بن الورد ، ففي أيّ غلوات¹ المجدِ يطمع قرينك أن يستولي على المدى ،
والأمْدُ دونك . وكتابك إليّ أن أتحكّم عليك تحكّم الصبيّ على أهله ، فلشدّ ما جررت إليّ
معروفك ، ودللت على الأنس بك ، وحاشى للمحكوم له والمحكوم عليه في ذات الحسب
العتيق ، والمنظر الأنيق الذي يسرّ القلب ، وبلائم الرُوح ، وبطرْدُ الهَمِّ : [من المتقارب]

تدبّ خلال شؤون الفتى ديبب دبي النملة المنتعش²
إذا فتحت فعمت ريحها وإن سيل خمّارها قال : خشّ

خشّ : كلمة فارسية تفسرها : طيب .

فإن كنت رعيّ لها عهداً ، وحفظت لها عندك يداً ، فانظر ربّ الحانوت فامطله ديتّه ،
واقطع السبب بينك وبينه ، فقد أساء صحتّها ، وأفسد بالماء حسّها ، وسلط عليها عدوّها ،
واعلم بأن أباك المتمثّل بقوله : [من الطويل]

يرى درجاتِ المجدِ لا يستطيعها فيقعد وسطَ القوم لا يتكلّم

وقد بسطت قدرتك لسانك ، وأكثرت لك الحمد ، فدونك نهزة البديهة منه : [من الطويل]

وبادز بمعروف إذا كنت قادراً زوال افتقار أو غنى عنك يُعقبُ

وقد بعثت إليك بقرابة مع الرسول ، وأنشأت في أثرها أقول : [من الطويل]

إليك ابن موسى الجود أعملت ناقتي مجلّة يصفو عليها جلالها³

كتوم الوجي لا تشكي ألم السرى سواء عليها موتها واعتلالها

إذا شربت أبصرت ما جوف بطنها وإن ظميت لم يبد منها هزالها

وإن حملت جملًا تكلفت جملها وإن حطّ عنها لم أقل كيف حالها⁴

بعثنا بها تسمو العيون وراءها إليك وما يخشى عليها كلالها

وغنى مغنيناً بصوت فشاقتي «متى راجع من أم عمرو خيالها»

1 غلوات : جمع غلوة ، أي قدر رمية سهم أبعد ما يقدر عليه .

2 دبي النملة : أصغر النمل والجراد .

3 مجللة : لابسة جلها وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .

4 لم أقل في ل : لم أتل .

أحِبُّ لَكُمْ قَيْسَ بْنَ عَيْلَانَ كُلَّهَا ويعجبني فُرسانها ورجالها
ومالي لا أهوى بقاء قبيلة أبوك لها بدرٌ وأنت هلالها

قال : فبعث إليه برسوله الذي حمل إليه النبيذ ، واستملحه في شعره ، وبصاحب شرابه ،
وكل ما كان في خزانته من الشراب وبنلاثمائة دينار .
[مساجلة حول جارية]

أخبرني الأخفش عن المبرد وسوار بن أبي شراة جميعاً : أن أبا الفياض سوار بن أبي
شراة كان يهوى فينةً بالبصرة يقال لها : مليحة ، فدُعيت ذات يوم إلى مجلس لم يكن
حاضره ، وحضر أبو علي البصير ذلك المجلس ، فجمشها بعض من حضر ، فلم تلتفت إليه ،
وعرف أبو علي ذلك فكتب إلى أبي الفياض :

لك عندي بشارة فاستمعها وأجيني عنها أبا الفياض
كنت في مجلس مليحة فيه وهي سقم الصّاح برء المراض
وقديماً عهدتني لست في حق لك والذب عنك ذا إغماض
فتغفلتها تغفل خصم وتأملتها تأمل قاض
ورمتها العيون من كل أفق وتشاكوا بالوحي والإيماض
من كهول وسادة سماء باللهبا باخلين بالأعراض¹
وصفات القيان أولها الغد ر عليه في وصلهن التراضي
فتشوفت ذاك منها وأعدت ت نكيري وسورتي وامتعاضي
فحمت جانب المزاح وعمتها م جميعاً بالصد والإعراض
وكفاني وفاؤها لك حتى آذن الليل جمعهم بارفياض

فأجابته أبو الفياض :

ليت شعري ماذا دعاك إلى أن هجت شوقي وزدت في إمراضي
ذكرتني بشارك داء قديماً من سقام علي لا شك قاضي
إن تكن أحسنت مليحة في وض لي وعاصت رياضة الرواض

وأقامت على الوفاء ولم تر
 فعلى صحّة الوفاء تعاقد
 وعلينا من العفاف ثياب
 ليس حظّي منها سوى النظر الخت
 لحظات يقعن في ساحة القد
 وابتسام كالبرق أو هو أخفى
 لا أخاف انتفاضها آخر الده
 فأبن لي ألت تحمد ذا ال

[يهجو بني سدوس]

قال أبو الفيّاض : اتصل بأبي شُراعة أن أبا ناظرة السدوسيّ يفتابه ، وكان مع آل أبي
 سُفيان بن ثور فقال يهجوهم :

لعن الإله بني سدوس كلهم
 ورمى بمنجوفٍ وريّة قاف¹
 قد سبني عضروطهم فسببتهم
 ذنبُ الدنيء يُناط بالأشرف²

[لا يخرج من شتيمة إلى وليمة]

قال أبو الفيّاض : وكان بين بعض بني عمّنا وبين أبي شُراعة وحشة ، ثم صالحوه ،
 ودعوه إلى طعامهم ، فأبى ، وقال : أمثلي يخرج من صوم³ إلى طعم ، ومن شتيمة إلى وليمة :
 وما لي ولكم مثلّ إلا قول المتلمّس .

[من الطويل]

فإن تقبلوا بالسودّ تقبلُ بمثله
 وإلا فإننا نحن آبي وأشمس⁴

[من الوافر]

وقال فيهم :

بني سواز إن رئت ثيابي
 وكلّ عن العشيّة فضلُ مالي

1 منجوف : سهم عريض . قاف : اسم جبل والمراد داهية نكراء .

2 عضروطهم : لئيمهم .

3 ل : صرم .

4 وأشمس في ل : وأشوس .

فمَطَّرَحْ ومَتْرُوكْ كَلَامِي وَتَجْفُونِي الْأَقَارِبُ وَالْمَوَالِي
 أَلَمْ أَكُ مِنْ سَرَاةِ بَنِي نَعِيمٍ أَحَلُّ الْبَيْتِ ذَا الْعَمَدِ الطَّوَالِ
 وَحَوْلِي كُلُّ أَصِيدٍ تَغْلِيئِي أَبِي الضَّمِيمِ مَشْتَرِكُ النِّوَالِ
 إِذَا حَضَرَ الْغَدَاءُ فَغَيْرُ مَغْنٍ وَيُغْنِي حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي
 وَأَبْقُونِي فَلَسْتُ بِمَسْتَكِينٍ لِصَاحِبِ ثَرْوَةٍ أُخْرَى اللَّيَالِي
 وَلَا بِمَمْسُوحِ الْمُثْرِينَ كَيْمَا أُمْسُحُ مِنْ طَعَامِهِمْ سِيَالِي¹
 أَنَا ابْنُ الْعَنْبَرِيَّةِ أَزَّرْتَنِي إِزَارَ الْمَكْرَمَاتِ إِزَارَ خَالِي
 فَإِنْ يَكُنِ الْغِنَى مَجْدًا فَإِنِّي سَادَعُو اللَّهَ بِالرِّزْقِ الْحَالِ

صوت

[من الطويل]

إِذَا أَبْصَرْتِكَ الْعَيْنُ مِنْ بَعْدِ غَايَةٍ وَأَوْقَعْتُ شَكًّا فِيكَ أَثْبَتَكَ الْقَلْبُ
 وَلَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمَّمُوكَ لِقَادَهُمْ نَسِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدَلَّ بِكَ الرَّكْبُ
 الشعر لعبد الله بن محمد بن البواب ، والغناء لأحمد بن صدقة الطنبوري ، رمل مطلق في
 مجرى البصر رواية الهشامي .

1 السَّبَال : جمع سبلة ، وهي الدائرة وسط الشفة العليا ، أو طرف الشارب .

[502] - أخبار ابن البواب

[نشأته]

هو عبدُ الله بن محمد بن عتاب بن إسحاق ، من أهل بخارى . وجّه بجدّه وجماعة معه رهينة إلى الحجّاج بن يوسف ، فنزلوا عنده بواسط ، فأقطعهم سيكّة بها ، فاحتطّوها ونزلوها طولَ أيام بني أمية ، ثم انقطعوا من الدولة العبّاسية إلى الربيع ، فخدموه .
وكان عبدُ الله بن محمد هذا يخلفُ الفضلَ بن الربيع على حجة الخلفاء ، وكان أبوه محمد بن عتاب يخلفُ الربيع في أيام أبي جعفر ، وكان معه فرّاه أبو جعفر مع أبيه ، فسأله عنه فأخبره ، فكساه قباء خزّ ، وكساه تحتَه قباء كَتَّان مرقوع القَبِّ ، وقال له : هذا يَخْفَى تحت ذلك .

ذكر لي أحمد بن القاسم بن يوسف عن محمد بن عبد الله بن محمد البواب عن أبيه .
وكان عبد الله صالح الشعر قليله ، وراوية لأخبار الخلفاء عالماً بأموهم ، روى عنه أبو زيد عمّر بن شبّة ونظراؤه ، وقد مضت في هذا الكتاب وتأتى أخبار من روايته .
[يمدح المأمون بعد أن نال منه]

قال أحمد بن القاسم اليوسفيّ : حدّثني محمد بن عبد الله البواب قال : حدّثني أبي قال :
حجبت موسى وهارون خليفة للفضل بن الربيع .
وخدم محمداً الأمين فأغناه وأعطاه ، ومدحه ، ونال من المأمون وعرض به ، فأخبرني إسماعيل بن يوسف قال : حدّثني عبد الله بن أحمد الباهليّ قال : حدّثني الحسين بن الضحّاك قال : لما أتى المأمون بشعر ابن البواب الذي يقول فيه :
[من الطويل]

صوت

أبِخَلْ فَرْدُ الْحَسَنِ فَرْدُ صِفَاتِهِ	عَلِيٌّ وَقَدْ أَفْرَدْتَهُ بِهَوَى فَرْدٍ
رَأَى اللَّهَ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ	فَمَلَّكَه وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَبْدِ
أَلَا إِنَّمَا الْمَأْمُونُ لِلنَّاسِ عِصْمَةٌ	مُمَيِّزَةٌ بَيْنَ الضَّلَالَةِ وَالرُّشْدِ

لعلّويه في هذه الأبيات رَمَلٌ بالوسطى .

قال : فقال المأمون : أليس هو القائل :

أعينيَّ جودا وإكيا لي محمداً
ولا تدخرا دمعاً عليه وأسعدا
فلا فرح المأمون بالملك بعده
ولا زال في الدنيا طريداً مشرداً
هيهات ، وواحدةً بواحدة ! ولم يصله بشيء .

[بينه وبين إسحاق]

هكذا روي عن الحسين بن الضحاک . وقد روي أنّ هذين الشعرين جميعاً للحسين ، وأن قول المأمون هذا بعينه فيه .

وقال أحمد بن القاسم حدثني جزء بن قطن . وأخبرني بهذا الخبر الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق ، قالاً جميعاً : وقع بين إسحاق وبين ابن البواب شرٌّ فقال ابن البواب شعراً ذمياً رديئاً ، ونسبه إلى إسحاق وأشاعه ليعيره به وهو :

[من الخفيف]

إنما أنت يا عنانُ سراج
زيتُه الظُّرفُ والفتيلةُ عقلُ
قاده للشقاء مني فوادي
رجلُ حُبٍّ لكم وللحبِّ رجلُ
هضمَ اليوم حُبكم كلَّ حُبٍّ
في فوادي فصار حُبك فُجلاً
أنت ريحانةٌ وراخٌ ولكن
كلُّ أنثى سواكِ حَلٌّ وقَلُّ

وقال حماد في خبره وبلغ ذلك أبي فقال له :

[من الكامل]

الشعر قد أعيا عليك فخله
وخذ العصا واقعد على الأبواب

فجاء ابن البواب إلى إبراهيم جدِّي فشكا أبي إليه فقال له : ما لك وله يا بُنيّ ؟ فقال له أبي : تعرّض لي فأجبتة ، وإن كفّ لم أرجع إلى مساءته . فتتاركا .

[يهوى جارية اسمها عبادة]

قال أحمد بن القاسم ، أخبرني محمد بن الحسن بن الفضل قال : أخبرني : إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحيم قال : كان بالكركخ نخاس يُكنى أبا عمير ، وكان له جوار قيان لهن ظرف وأدب ، وكان عبد الله بن محمد البواب يألف جارية منهنّ يقال لها : عبادة ، ويكثر غشيان منزل أبي عمير من أجلها ، فضاقت ضيقة شديدة ، فانقطع عن ذلك ، وكره أن يقصر عما كان يستعمله من برهم فتعلم بضيقته ، ثم نازعته نفسه إلى لقائها وزيارتها ، وصعبَ عليه الصبرُ عنها ، فأتاه فأصاب في منزله جماعة ممن كان يألف جواريه ، فرحبَ به أبو عمير والجارية والقوم جميعاً ،

واستبطأوا زيارته ، وعاتبوه على تأخره عنهم ، فجعل يجمعهم في عذره ، ولا يصرِّح ، فأقام عندهم ، فلما أخذ فيه النيئُ أنشأ يقول :

لو تشكَّى أبو عمير قليلاً لأتيناه من طريق العيادة
ففضينا من العيادة حقاً ونظرنا في مُقَلَّتِي عبادةً

فقال له أبو عمير : مالي ولك يا أخي ؟ انظر في مُقَلَّتِي عبادة متى شئتَ غير ممنوع ، ودعني أنا في عافية ، لا تتمن لي المرضَ لتعودني .

[شعره في صديق مدمن]

وقال أحمد بن القاسم : كان عبد الله بن إسماعيل بن علي بن ربيعة يألف ابن البواب ، ويعاشره ، فشربَ عنده يوماً حتى سكر ونام ، فلما أفاق في السَّحر أراد الانصراف ، فحلف عليه واحتبسه ، وكان عبد الله يهوى جارية له من جوارري عمرو بن بانه ، فبعث إلى عمرو بن بانه فدعاه وسأله إحضار الجارية ، فأحضرها ، واتبه عبد الله بن إسماعيل من نومه ، وهو يتململ خماراً . فلما رآها نشيط ، وجلس فشرب ، وتمموا يومهم ، فقال عبد الله بن محمد بن البواب في ذلك :

[من المديد]

وكريمِ المجدِ محضِ أبوه	فهو الصفوُ اللبابُ النضارُ
هاشميٌّ لقروم إذا ما	أظلمت أوجه قوم أناروا
رمت القهوةُ بالنومِ وهنا	عينه فالجفنُ فيه انكسارُ
فهو من طرفٍ يُفدِّيك طوراً	ويُعاطيك اللواتي أداروا
ساعةً ثم انثنى حين دبَّتْ	ومشت فيهِ السُّلافُ العقارُ
وأبتْ عيني اغتماضاً فلما	حان من أخرى النجومِ انحدارُ
قلت : عبد الله حاذرتَ أمرا	ليس يُغني خائفيه الحدارُ
فاستوى كالهندوانيِّ لَمَّا	أن رأى أن ليس يُغني الفرارُ
قلتُ : خذها مثلَ مصباحِ ليل	طُيرتُ في حافتيه الشرارُ
أقبلتُ قطراً نطافاً ولما	يُتعب العاصرَ منها اعتصارُ
هي كالياقوتِ حمراءِ شيبتْ	وعلا الحمرةَ منها اصفرارُ

كالدنانير جرى في ذراها
فِضَّةٌ فالحسنُ منها قُصارُ¹
تُنطِقُ الخُرسُ وبالصمتِ ترمي
مَعشراً نُطقاً إذا ما أcharوا

[يمدح المأمون]

قال أحمد : وحدّثني يعقوبُ بنُ العباسِ الهاشميُّ أبو إسماعيل النقيب قال : لما طال سخط المأمون على ابن البوّاب قال قصيدة يمدحُ بها ، ودسَّ من غنّاه في بعضها ، لما وجد فيه نشاطاً . فسأل من قائلها ؟ فأخبرَ به فرضيَ عنه ، وردّه إلى رسمه من الخدمة ، وأنشدني أبو إسماعيل القصيدة ، وهي قوله :

[من المجتث]

هل للمحبِّ مُعينُ	إذ شطَّ عنه القرينُ
فليس ييكي لشجوال	حزين إلا الحزينُ
يا ظاعناً غاب عنّا	غداة بان القطينُ
أبكى العيونَ وكانتُ	به تَقَرُّ العيونُ
يا أيّها المأمون الـ	مبارك الميمونُ
لقد صفتَ بك دُنيا	للمسلمين ودينُ
عليك نُور جلال	ونُور مُلك مبینُ
القول منك فعّالُ	والظنُّ منك يقينُ
ما من يدك شمال	كلتا يدك يمينُ
كأنّما أنتَ في الجُؤ	دِ والتقى هارونُ
من نال من كلِّ فضلٍ	ما ناله المأمونُ
تألّف الناسَ منه	فضلٌ وجودٌ ولينُ
كالبدر يبدو عليه	سكينةٌ وسكونُ
فالرزقُ من راحتيه	مقسّمٌ مضمونُ
وكلَّ خصلةٍ فضلٍ	كانتُ ، فمنه تكونُ

والأبيات التي فيها الغناء المذكور آنفاً أربعة أبيات ، أنشدنيها الأحفش وهي

قوله :

[من الطويل]

أَفِقْ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْمَعْدَبُ كَمْ تَصْبُو فَلَا النَّأْيُ عَنْ سَلْمَاكِ يُسْلِي وَلَا الْقَرْبُ
أَقُولُ غَدَاةً اسْتَخْبِرْتَ مِمَّ عَلَّتِي مِنْ الْحَبِّ كَرْبٌ لَيْسَ يَشْبَهُهُ كَرْبُ
إِذَا أَبْصَرْتَكَ الْعَيْنُ مِنْ بَعْدِ غَايَةٍ فَأَدْخَلْتُ شَكَا فَيْكَ أَثْبَتَكَ الْقَلْبُ
وَلَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمْمُوكَ لِقَادَهُمْ نَسِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدَلَّ بِكَ الرَّكْبُ

فقال الأخفش مثل هذا البيت الأخير قول الشاعر :

[من المنسرح]

وَاسْتَوَدَعْتَ نَشْرَهَا الدِّيَارُ فَمَا تَزْدَادُ طَيِّبًا إِلَّا عَلَى الْقَدَمِ

[بخشى العين على ساقه]

أخبرني الحسن بن يحيى عن حماد بن إسحاق : قال : رأيتُ محمد بن عبد الله البواب وقد جاء إلى أبي مسلمًا فاحتبسه ، ورأيتُه وهو شيخ كبير ، وكان ضخماً طويلاً عظيم الساقين كأنَّهُما دَنَانٌ ، وكان يشدُّ في ساقيه خرزاً أسوداً لئلا تصيبهما العينُ .

[يملق فيغنيه أبو دلف]

وقال محمد بن القاسم : أملق عبدُ الله بن محمد البواب حين جفاه الخليفة ، وعلت سِنُهُ عن الخِدْمَةِ ، فرحل إلى أبي دُلف القاسم بن عيسى ، ومدحه بقصيدة ، فوهب له ثلاثين ألفَ درهم ، وعاد بها إلى بغداد ، فما نَفِدَتْ حتى مات وهي قوله :

[من الكامل]

طَرَقْتُكَ صَائِدَةً الْقُلُوبِ رَبَابُ وَنَأَتْ فَلَيْسَ لَهَا إِلَيْكَ مَابُ
وَتَصَرَّمَتْ مِنْهَا الْعَهْودُ وَغُلِقَتْ مِنْ دُونَ نَيْلِ طَلَابِهَا الْأَبْوَابُ
فَلَأْصَدِفَنَّ عَنِ الْهَوَى وَطَلَابِهِ فَالْحَبُّ فِيهِ يَلِيَّةٌ وَعَذَابُ
وَأَخْصُ بِالْمَدْحِ الْمَهْدَبُ سَيِّدَا نَفْحَاتِهِ لِلْمُجْتَدِينَ رَغَابُ¹
وَإِلَى أَبِي دُكْفٍ رَحَلْتُ مَطِيَّتِي قَدْ شَفَّهَا الْإِرْقَالُ وَالْإِتْعَابُ²
تَعْلُو بِنَا قُلُلَ الْجِبَالِ وَدُونَهَا مَّا هَوَتْ أَهْوِيَّةً وَشِعَابُ³

1 رغب : جمع رغبة ، بمعنى واسعة .

2 الإرقال : الإسراع .

3 أهوية : هوة .

فإذا حللت لدى الأمير بأرضه	نلت المنى وتقضت الآرابُ
ملكُ تأكل عن أبيه وجده	مَجْدًا يُقَصِّرُ دونه الطُّلابُ
وإذا وزنتَ قديم ذي حسبٍ به	خضعتَ لفضلٍ قديمه الأحسابُ
قومٌ علواً أملاك كلِّ قبيلة	فالناس كلُّهم لهم أذئابُ
ضربتُ عليه المكرماتُ قبائها	فعلا العمودُ وطالت الأطنابُ
عَقيم النساءِ بمثله وتعطلتُ	من أن تُضمَّنَ مثله الأطلابُ

صوت

[من مجزوء الكامل]

صغيرُ هواكَ عذبني	فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت من قلبي	هوى قد كان مشتركا
وحبسُ رضاك يقتلني	وقتلي لا يحلُّ لكا
أما ترثي لمكتيبٍ	إذا ضحك الخليُّ بكى

الشعر لمحمد بن عبد الملك الزيات والغناء لأبي حشيشة رمل بالوسطى عن الهشامي .

[503] - أخبار محمد بن عبد الملك الزيات ونسبه

[نسبه]

هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن أبي حمزة الزيات ، وأصله من جبيل¹ ويكنى أبا جعفر . وكان أبوه تاجراً من تجار الكرخ المياسير ، فكان يحثه على التجارة وملازمتها ، فيأبى إلا الكتابة وطلبها ، وقصد المعالي ، حتى بلغ منها أن وزر ثلاث دفعات ، وهو أول من تولى ذلك وتم له .

أخبرني الأخصف علي بن سليمان قال : حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال : كان جدِّي موسراً من تجار الكرخ ، وكان يريد من أبي أن يتعلّق بالتجارة ، ويتشاغل بها ، فيمتنع من ذلك ويلزم الأدب وطلبه ، ويخالط الكتاب ، ويلزم الدواوين ، فقال له ذات يوم : والله ما أرى ما أنت ملازمه ينفعك ؛ وليضرتك ، لأنك تدع عاجل المنفعة . وما أنت فيه مكفي ، ولك ولأبيك فيه مال وجاه ، وتطلب الآجل الذي لا تدري كيف تكون فيه . فقال : والله لتعلمنّ أيُّنا ينتفع بما هو فيه ؛ أنا أم أنت ؟ ثم شخّص إلى الحسن بن سهل بضم الصلح² ، فامتدحه بقصيدته التي أولها : [من الرجز]

كأنّها حين تناءى خطوها أحنس موشي الشوى يعرى القل³

فأعطاه عشرة آلاف درهم ، فعاد بها إلى أبيه ، فقال له أبوه : لا ألومك بعدها . على ما أنت فيه .

1 جبيل : قرية مقابلة لقرية دسكرة غربي بغداد .

2 فم الصلح : موضع على نهر الصلح وهو نهر كبير فوق واسط ، بينها وبين جبل عليه عدة قرى . والصلح كانت دار الحسن بن سهل .

3 أحنس : ثور وحشي ، موشي الشوى : ملون الأطراف .

[دخوله على الحسن بن سهل]

أخبرني جحظة والصوليّ ، قالا : حدّثنا ميمون بن هارون : قال : لما مدح محمد بن عبد الملك الحسن بن سهل ، ووصله بعشرة آلاف درهم مثّل بين يديه وقال له : [من البسيط]

لم امتدحك رجاء المالِ أطلبه لكنّ لتلبسني التّحجيلَ والغُرا
وليس ذلك إلاّ أنّي رجلٌ لا أطلب الورْدَ حتى أعرف الصّدرا

وكان محمد بن عبد الملك شاعراً مُجيداً ، لا يقاس به أحد من الكتاب ، وإن كان إبراهيم بن العباس مثله في ذلك ، فإن إبراهيم مقلّ وصاحب قصار ومقطعات ، وكان محمد شاعراً يُطيل فيجيد ، ويأتي بالقصار فيجيد ، وكان بليغاً حسن اللفظ إذا تكلم وإذا كتب .

[ينصف خصمه من نفسه]

فحدّثني عمي رحمه الله قال : حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال : جلس أبي يوماً للمظالم ، فلما انقضى المجلس رأى رجلاً جالساً ، فقال له : ألك حاجة ؟ قال : نعم تدنيني إليك ؛ فإنني مظلوم . فأدناه ، فقال : إني مظلوم ، وقد أعوزني الإنصاف ، قال : ومن ظلمك ؟ قال : أنت ، ولست أصل إليك ؛ فأذكر حاجتي ؟ قال : ومن يحجبك عني وقد ترى مجلسي مبذولاً ؟ قال : يحجيني عنك هييتي لك وطول لسانك ؛ وفصاحتك ، واطراد حجتك ، قال : ففيم ظلمتك ؟ قال : ضيعتي الفلانية أخذها وكيلك غصباً بغير ثمن ، فإذا وجب عليها خراج أدّيته باسمي لئلاّ يثبت لك اسم بملكها ، فيبطل ملكي ، فوكيلك يأخذ غلتها ، وأنا أوذي خراجها ، وهذا ممّا لم يسمع في الظلم مثله ، فقال محمد : هذا قولٌ تحتاج عليه إلى بينة وشهود وأشياء ، فقال له الرجل : أيؤمنني الوزير من غضبه ، حتى أجيب ؟ قال : قد أمّنتك ، قال : البينة هم الشهود ، وإذا شهدوا فليس يحتاج معهم إلى الشيء ، فما معنى قولك : بينة وشهود وأشياء ، أيش هذه الأشياء إلاّ العمى والحصر والتغطرس¹ ؟ فضحك ، وقال : صدقت ، والبلاء موكلّ بالمنطق ، وإنّي لأرى فيك مصطنعاً ، ثم وقع له بردّ ضيعته وبأن يطلق له كُرّ حنطة² وكرّ شعير ومائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعته ، وصيرّه من أصحابه ، واصطنعه .

1 التغطرس : التعامي عن الشيء .

2 كر حنطة : أربعون أردباً .

[يهدد إبراهيم بن المهدي]

أخبرني الصوليّ: قال: حدّثني أحمد بن محمد الطالقانيّ قال: حدّثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك قال: لما وثب إبراهيم بن المهديّ على الخلافة، اقترض من مياسير التجّار مالاً، فأخذ من جدّي عبد الملك عشرة آلاف درهم، وقال له: أنا أردّها إذا جاءني مال، ولم يتمّ أمره فاستخفى، ثم ظهر ورَضِيَ عنه المأمون، فطالبه الناس بأموالهم، فقال: إنّما أخذتها للمسلمين، وأردت قضاءها من فيهم، والأمر الآن إلى غيري، فعمل أبي محمد بن عبد الملك قصيدةً يخاطبُ فيها المأمون، ومضى بها إلى إبراهيم بن المهديّ، فأقرأه أيّاهَا وقال: والله لئن لم تُعطني المال الذي اقترضته من أبي لأوصلنّ هذه القصيدة إلى المأمون، فخاف أن يقرأها المأمون، فيتدبّر ما قاله، فيوقع به، فقال له: خذ منّي بعضَ المال، ونجّم عليّ بعضه، ففعل أبي ذلك بعد أن حلّفه إبراهيم بأوكد الأيمان ألاّ يظهر القصيدة في حياة المأمون، فوفّي له أبي بذلك، ووفّي إبراهيم بأداء المال كلّهُ.

[من الطويل]

والقصيدة قوله:

تكونُ له كالنارِ تُقدَح بالزّندِ
 يدُلك ما قد كان قبلُ على البَعدِ
 سيُبعث يوماً مثلَ أيّامه النُكُدي
 بغير أمانٍ في يديه ولا عَقدي
 فصيرَه بالقاع مُنعَفِر الخَدِّ
 فقد كان ما خُبِرْتُ من خبرِ الجُندي
 ثلاثين ألفاً من كهول ومن مُردٍ
 ولا قتلوه يوم ذلك عن حَقدي
 حلوم وبعْدُ الرأي عن سننِ القَصدي
 سيبقى بقاء الوَحْي في الحجر الصلدي¹

ألم تَرَ أن الشيءَ للشيءِ علّةٌ
 كذلك جرّبتُ الأمورَ وإنّما
 وِظني بإبراهيم أنّ مكانه
 رأيت حُسيناً حين صار محمد
 فلو كان أمضى السيفَ فيه بضربةٍ
 إذا لم تكن للجنّد فيه بقيةٌ
 هم قتلوه بعد أن قتلوا له
 وما نصره عن يدِ سلفت له
 ولكنّه الغدرُ الصّراح وخِفةُ الـ
 فذلك يوم كان للناس عبرةً

وما يوم إبراهيم إن طال عمره
تذكر أمير المؤمنين مقامه
أما والذي أمست عبداً خليفة
إذا هز أعواد المنابر باسته
فوالله ما من توبة نزعته به
ولكن إخلاص الضمير مقرب
أتاك بها طوعاً إليك بأنفه
فلا تترك للناس موضع شبهة
فقد غلطوا للناس في نصب مثله
فكيف بمن قد بايع الناس والتقت
ومن سكت تسليم الخلافة سمعه
وأى امرئ سقى بها قط نفسه
وتزعم هذي النابتة أنه
يقولون سني وأية سنة
وقد جعلوا رخص الطعام بعهده
إذا ما رأوا يوماً غلاء رأيتهم
واقباله في العيد يوجف حوله
ورجاله يمشون بالبيض قبله
فإن قلت قد رام الخلافة غيره
فلم أجزه إذ خيب الله سعيه

بأبعد في المكروه من يومه عندي
وأيمانه في الهزل منه وفي الجد
له شر أيمان الخليفة والعبد
تغنى بليلى أو بمية أو هند
إليك ولا ميل إليك ولا ود
إلى الله زلقى لا تخيب ولا تكدي
على رغمه واستأثر الله بالحمد
فإنك معجزى بحسب الذي تسدي
ومن ليس للمنصور باب ولا المهدي
بيعته الركبان غورا إلى نجد
ينادى به بين السماطين من بعد
ففارقها حتى يغيب في اللحد
إمام لها فيما تسر وما تبدي¹
تقوم بجون اللون صعل القفا جعد²
زعيماً له باليمن والكوكب السعد
يحنون تحنانا إلى ذلك العهد
وجيف الجياد واصطفاق القنا الجرد³
وقد تبعوه بالقضيب وبالبرد
فلم يوت فيما كان حاول من جد
على خطا إذ كان منه ولا عمد⁴

1 النابتة : طائفة من الحشوية أحدثوا بدعاً غريبة في الإسلام .

2 صعل القفا : كناية عن لؤم الحسب . وجعد : بخيل .

3 يوجف حوله : يسرع . وفي الديوان اصطكاك وهي بمعنى الاصطفاق .

4 على خطا في الديوان : على عمد .

ولم أرضَ بعد العفو حتى رفعته
فليس سواءَ خارجيٌّ رمى به
تعاونتُ له من كلِّ أوبٍ عصابةً
ومن هو في بيتِ الخلافةِ تلتقي
فمولاكَ مولاهُ وجندكُ جندهُ
وقد رابني من أهل بيتك أنني
يقولون لا تبعَدَ من ابنِ مُلممةٍ
فدانا وهانتُ نفسه دونَ مُلكنا
على حينَ أعطى الناسَ صَفَقَ أكفهم
فما كان فينا من أبي الضَّيمِ غيره
وجردَ إبراهيمُ للموتِ نفسه
وأبلى ومن يبلغُ من الأمرِ جهده
فهذي أمورٌ قد يخافُ ذُوو النهي

وَلَلْعَمُّ أُولَى بِالْتَعَهُدِ وَالرُّؤْدِ¹
إِلَيْكَ سَفَاهُ الرَّأْيِ وَالرَّأْيُ قَدْ يُرْدِي
مَتَى يُورِدُوا لَا يُصَدْرُوهُ عَنِ الْوَرْدِ
بِهِ وَبِكَ الْآبَاءُ فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ
وَهَلْ يَجْمَعُ الْقَيْنُ الْحُسَامِينَ فِي غِمْدٍ؟²
رَأَيْتُ لَهُمْ وَجِدًا بِهِ أَيَّمَا وَجِدِ
صَبُورٍ عَلَيْهَا النَّفْسَ ذِي مِرَّةٍ جَلْدِ
عَلَيْهِ لَذِي الْحَالِ الَّتِي قَلَّ مِنْ يَفْدِي³
عَلِيٌّ بَنُ مُوسَى بِالْوَلَايَةِ وَالْعَهْدِ
كَرِيمٍ كَفَى مَا فِي الْقَبُولِ وَفِي الرَّدِّ
وَأَبْدَى سِلَاحًا فَوْقَ ذِي مَيْعَةٍ نَهْدِ⁴
فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ وَإِنْ كَانَ لَمْ يُجِدِ
مَعْبَتَهَا وَاللَّهُ يَهْدِيكَ لِلرَّشْدِ

[يرري يحيى بن خاقان]

أخبرني الصولي ، قال : حدثني عبد الله بن الحسين القطرلي ، عن جعفر بن محمد بن خلف قال : قال لي المعلی بن أيوب : كيف كان محلُّ يحيى بن خاقان عند محمد بن عبد الملك ومقداره ؟ فقلت له : سمعتُ محمداً يذكره ، فقال : هو مهولُ الألفاظ ، عليلُ المعاني سخيفُ العقل ، ضعيفُ العقدة⁵ ، واهي العزمُ مأفونُ الرأي .

[لا يلبس القباء]

قال عبدُ الله : ولما تولَّى محمد بن عبد الملك الوزارة ، اشترطَ ألا يلبسَ القباء ، وأن

1 رفعته في الديوان : ردفته .

2 مثل .

3 الشطر الثاني في الديوان : عليه على الحين الذي قل من يفدي .

4 ذو ميعة : أول جري الفرس ونشاطه . نهد : جسم مشرف .

5 العقدة : الولاية .

يلبس الدرّاعة¹ ويتقلّد عليها سيفاً بمائل ، فأجيب إلى ذلك .
[من لا يرحم لا يرحم]

أخبرني الصوليّ ، قال : حدّثني أبو ذكوان ، قال : حدّثني طمّاس ، قال ميمونُ بنُ هارون : كان محمد بن عبد الملك يقول : الرّحمة خورّ في الطبيعة ، وضعف في المنّة ، ما رحمتُ شيئاً قطّ . فكانوا يطعنون عليه في دينه بهذا القول ، فلمّا وضع في الثّقل والحديد قال : ارحموني ، فقالوا له : وهل رحمتُ شيئاً قطّ فترحم ! هذه شهادتك على نفسك وحكّمك عليها .

أخبرني الصوليّ : قال : حدّثني أبو ذكوان ، قال : حدّثني طمّاس ، قال : جاء أبو دنقش الحاجبُ إلى محمد بن عبد الملك برسالة من المعتصم ليحضر ، فدخل ليلبس ثيابه ، ورأى ابن دنقش الحاجب غلماناً لهم رُوقة² فقال : وهو يظنُّ أنّه لا يسمع : [من الكامل]
وعلى اللواط فلا تلوّمنْ كاتباً إنّ اللواط سجيّة الكتاب

فقال محمد له : [من الكامل]

وكما اللواط سجيّة الكتاب فكذا الحلاق سجيّة الحجاب³

[لا اعتذار مع القصاص]

فاستحيا ابن دنقش ، واعتذر إليه ، فقال له : إنّما يقع العذر لو لم يقع الاقتصاص فأما وقد كافأتك فلا .

[يرثي سكرانة]

أخبرني الصوليّ ، قال : حدّثني محمد بن موسى ، قال : أنشدني الحسنُ بنُ وهب لمحمد بن عبد الملك أبياتاً ، يرثي بها سكرانةً أمّ ابنه عمّر ، وجعل الحسنُ يتعجب من جودتها ، ويقول :

يقول لي الخِلانُ لو زرتَ قبرها فقلتُ : وهل غيرُ الفؤاد لها قبرُ

1 الدرّاعة : ثوب كالجبة مشقوق المقدم يعمل من الصوف خاصة .

2 غلمان لهم رُوقة : حسان .

3 الحلاق : داء الأبنة .

على حين لم أحدثُ فأجهلَ قدرها ولم أبلغ السنَّ التي معها الصبرُ

[اعتذاره إلى عبد الله بن طاهر]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدّثني عبد الرحمن بن سعيد الأزرقى ، قال : استبطأ عبدُ الله بن طاهر محمدَ بن عبد الملك في بعض أموره ، وأنهم بعدوله عن شيء أرادَه إلى سواه ، فكتب إليه محمد بن عبد الملك يعتذر من ذلك ، وكتبَ في آخر كتابه يقول :

أترعُم أننّي أهوى خليلاً سواك على التّداني والبِعادِ
جحدتُ إذا مُوالاتي عليّاً وقلتُ بأننّي مولى زيادِ

[واحدة بواحدة]

قرأت في بعض الكتب : كان عبدُ الله بنُ الحسن الأصبهانيّ يخلفُ عمرو بنَ مسعدة على ديوان الرسائل ، فكتب إلى خالد بن يزيد بن يزيد : إنَّ المعتصم أمير المؤمنين ينفخُ منك في غير فحْم ، ويخاطب امرءاً غير ذي فهم ، فقال محمد بن عبد الملك : هذا كلام ساقط سخيف ؛ جعل أمير المؤمنين ينفخُ بالزُّق كأنه حدّاد ، وأبطل الكتاب ثم كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر : وأنت تُجري أمرَك على الأريح فالأريح ، والأرجح فالأرجح ، لا تسعى بنقصان ، ولا تميل برجحان ، فقال عبدُ الله الأصبهانيّ : الحمد لله ، قد أظهرَ من سخافة اللفظ ما دلَّ على رجوعه إلى صناعته من التجارة بذكره ربح السِّلَع ، ورجحان الميزان ، ونقصان الكيل ، والخُسران من رأس المال . فضحك المعتصمُ ، وقال : ما أسرع ما انتصف الأصبهانيّ من محمد ، وحقدَها عليه ابن الزيات ، حتى نكبه .

[أدعاء له أم عليه]

أخبرني الأحفشُ عن المبرّد قال : نظر رجل كان يُعادى يونس النحويّ إليه وهو يُهادى بين اثنين من الكِبر ، فقال له : يا أبا عبد الرحمن ، أبلغتَ ما أرى ؟ فعلم يونس أنه قال له ذلك شامتاً ، فقال : هذا الذي كنتُ أرجو فلا بلغته ، فأخذَه محمدُ بنُ عبد الملك الزيات : فجعله في شعر فقال :

وعائبِ عابني بِشيبِ لم يعدُ لما ألمَّ وقتَه

فقلتُ إذ عابني بشيبي : يا عائبَ الشيبِ لا بلغتهُ

[مندبل تحت عمامته]

وذكر أبو مروان الخزامي أنَّ أبا دُهْمَانَ المغنِّي سَرَقَ من محمد بن عبد الملك مِندبلاً دَبْقِيًّا¹
فجعلهُ تحتَ عِمَامَتِهِ ، وبلغ محمدًا ، فقال فيه :

[من الرمل]

ونديم سارقٍ خاتلني وهو عندي غيرُ مذموم الخلقُ
ضاعفَ الكورَ على هامته وطوى مندبلنا طيَّ الخِرَقُ
يا أبا دُهْمَانَ لو جاملتنا لكفيناك مؤوناتِ السرِّقُ

[ترجوه فتحرمه]

أخبرنا أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني ، قال : كنتُ عند أبي الحسين بن أبي البغل لما
انصرف عن بغداد بعد إشخاصه إليها للوزارة ويُطلان ما نذره من ذلك ورجوعه ، فجعل
يحدثنا بخبره ، ثم قال : لله درُّ محمد بن عبد الملك الزيات حيث يقول : — [من البسيط]

ما أعجبَ الشيءَ ترجوه فُحْرَمُهُ قد كنتُ أحسبُ أني قد ملأتُ يدي
ما لي إذا غبتُ لم أذكرْ بصالحية وإن مرِضتُ فطال السُّقْمُ لم أَعِدْ

[يبادلان المدح]

أخبرني الصولي ، قال : حدثني عون بن محمد الكِندي ، قال : حدثني عبد الله بن
العبَّاس بن الفضل بن الربيع ، قال : وصفني محمدُ بنُ عبد الملك للمعتصم ، وقال : ما له
نظيرٌ في ملاحاة الشعر والغناء والعلم بأُمورِ الملوكِ ، فلقبتهُ فشكرتهُ ، وقلت : جُعِلتُ
فِدائك ! أتصيفُ شعري وأنتُ أشعرُ الناسَ ؟ أَلستَ القائلَ :

[من الوافر]

ألم تعجب لمكتيبِ حزينٍ خدين صباةٍ وحليفِ صبرٍ
يقولُ ، إذا سألتَ به ، بخيرٍ وكيف يكون مهجورٌ بخيرٍ

قال : وأين هذا ، من قولك ؟

يقولُ لي كيفَ أصبُحتَ كيفَ يُصبحُ مثلي

1 دبقياً : نسبة إلى دبيق . قرية كانت بين الفرما وتيس من أعمال مصر مشهورة بالثياب الدبقية ، وهي ثياب رقيقة تكور عمامم ، وقد ترقم بأسلاك الذهب .

ماءٌ ولا كصداء¹ ، ومرعى ولا كالسعدان² .

أخبرني الصولي ، قال : حدّثني عَوْنُ بن محمد : قال : لقي الكنجيُّ محمد بن عبد الملك فسلم عليه فلم يجبه ، فقال الكنجيُّ :

هذا وأنت ابنُ زياتٍ تُصغّرنا فكيف لو كنتَ يا هذا ابنَ عطّارٍ

[لا يتصف من ساقط أحق]

فبلغ ذلكَ محمداً ، فقال : كيفَ يُتصفُ من ساقط أحق ، وضَعُهُ رَفَعُهُ ، وعقابه ثوابه .

[أضيع مية]

أخبرني الصولي ، قال : أخبرني عبدُ الله بن محمد الأزدي ، قال : حدّثني يعقوبُ بن التّمار ، قال : قال محمد بن عبد الملك لبعض أصحابه : ما أخركَ عنّا ؟ قال : موتُ أخي ، قال : بأيّ علةٍ ؟ قال : عضّنتُ إصبعه فأرة ، فضرّبتُه الحُمْرة³ ، فقال محمد : ما يرد القيامةَ شهيدٌ أخسُّ سبباً ، ولا أذلُّ قاتلاً ، ولا أضيعُ ميةً ، ولا أظرفُ قِتلةً من أخيك .

[خمسون بيتاً في بيت]

أخبرني عمي عن أبي العيناء ، قال : كان محمد بن عبد الملك يُعادي أحمدَ بن أبي دواد ، ويهجوه ، فكان أحمدُ يجمع الشعراء ، ويُحرّضهم على هجائه ، ويصلّهم ، ثم قال فيه أحمد بيتين ، كانا أجودَ ما هجّيَ به ، وهما⁴ :

[من السريع]

أحسن من خمسين بيتاً سُدى جمعك إيأهنّ في بيتٍ
ما أحوجَ الناسَ إلى مطرةٍ تذهبُ عنهم وضرّ الزيتِ

1 مثل : يضرب في باب الرجلين يكونان ذوي فضل غير أن لأحدهما فضيلة الآخر والصداء : ركية ليس أعذب منها . وهو يضرب للرجل يحمد شأنه ثم يصير إلى أكثر منه وأعلى .

وهو عن قصة لامرأة تزوجت من رجل آخر فسألها زوجها عن زوجها الأول .

2 مثل : وهو شبيه في قصته ومغزاه بالمثل الأول . والسعدان : نبت من أفضل ما يُرعى .

3 الحمرّة : ورم من جنس الطواعين ينشأ من اتساخ جرح .

4 وردت في الخزنة برواية مختلفة قليلاً هي :

أحسن من تسعين بيتاً سُدى جعلك معناهن في بيت
ما أحوجَ الملك إلى مطرةٍ تغسل عنه وضرّ الزيتِ

وكان ابن أبي دواد يقول : ليس أحدٌ من العرب إلا وهو يقدرُ على قول الشعر ، طبعاً
رُكِبَ فيهم ، قَلَّ قوله أو كَثُرَ .

[أبو تمام يمدحه]

أخبرنا الصوليّ ، قال : حدّثنا محمدُ بنُ موسى عن الحسن بن وهب ، قال : أنشد أبو تمام
محمد بن عبد الملك قصيدته التي يقول فيها :

[من الطويل]

لهان علينا أن نقولَ وتفعلاً¹

فأثابه عليها ووقع عليه :

[من الطويل]

رأيتك سهلَ البيعِ سمحاً وإنما
يُعالَى إذا ما ضنَّ بالشيءِ بائعُهُ
فأما الذي هانت بضائعُ بيعه
فيوشك أن تبقى عليه بضائعُهُ
هو الماءُ إن أجمته طاب ورده
ويُفسدُ منه أن تباحَ شرائعُهُ

فأجابه أبو تمام وقال :

[من الطويل]

أبا جعفر إن كنتُ أصبحتُ شاعراً
فقد كنتَ قبلي شاعراً تاجراً به
فصرتَ وزيراً والوزارة مكرعٌ
وكم من وزير قد رأينا مسلطاً
ولله قوسٌ لا تطيش سهامها
وأسامحُ في بيعي له من أبايعه
تُسهل من عادتُ عليك منافعهُ
يُغصّ به بعد اللذازة كارعهُ
فعاد وقد سُدتْ عليه مطالعهُ
ولله سيفٌ لا تُفلُّ مقاطعهُ

[راشد الكاتب يطلب منه هدية]

حدّثني الصوليّ ، قال : حدّثني محمد بن يحيى بن عباد ، قال : حدّثني أبي ، قال : حجّ
محمد بن عبد الملك في آخر أيام المأمون ، فلما قدّم كتب إليه راشدُ الكاتبُ قوله : [من المنسرح]

لا تنسَ عهدي ولا مودتيه
إن غبتَ عنّا فلم تغب كثرة الـ
التمر والنقل والمساويك والقس
واشتقُ إلى طلعتي ورؤيتيه
مذكر فلا تغفلن هديتيه
ب وخير النعال حُسن شيه

بِإِنْ تَجَاوَزْتَ مَا أَقُولُ إِلَى الْعَصْدِ
فَأَجَابَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ :

إِنَّكَ مِنْسِيٌّ بِحَيْثُ يَطْرُدُ النَّازِحَ
وَلَا وَمَنْ زَادَنِي تَوَدُّدُهُ
مَا أَحْسَنَ التَّرْكَ وَالْخِلَافَ لَمَّا
يَا بَأْبِي أَنْتَ مَا نَسَيْتُكَ فِي
نَاجِيَتُ بِالذِّكْرِ وَالِدُعَاءِ لَكَ اللَّذِّ
حَتَّى إِذَا مَا ظَنَنْتُ بِالْمَلِكِ الْقَدِّ
قَمْتُ إِلَى مَوْضِعِ النِّعَالِ وَقَدِّ
وَقَلْتُ لِي صَاحِبٌ أُرِيدُ لَهُ
فَانْقَطَعَ الْقَوْلُ عِنْدَ وَاحِدَةٍ
فَقَلْتُ عِنْدِي لَكَ الْبِشَارَةُ وَالشُّكُّ
ثُمَّ تَخَيَّرْتُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْعَصْدِ
مَوْشِيَّةً لَمْ أَزَلْ بِبِائِعِهَا
يَرْفَعُ فِي سَوْمِهِ وَأَرْغِيهِ
وَقَدْ أَتَاكَ الَّذِي أَمَرْتَ بِهِ

[المعتصم يأخذ برذونه فيقول في ذلك شعراً]

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ ، قَالَ : كَانَ
لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بَرْدُونَ أَشْهَبُ لَمْ يُرْ مِثْلُهُ فَرَاهَةً وَحَسَنًا ، فَسَعَى بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدِ
حَيْلَوِيهِ إِلَى الْمُعْتَصِمِ ، وَوَصَفَ لَهُ فَرَاهَتَهُ² ، فَبِعَثَ الْمُعْتَصِمُ إِلَيْهِ فَأَخَذَهُ مِنْهُ ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ
عَبْدِ الْمَلِكِ يَرِثِيهِ :

[من الكامل]

كَيْفَ الْعَزَاءِ وَقَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ
عَنَا فَوَدَّعْنَا الْأَحْمُ الْأَشْهَبُ³

1 العصب : ضرب من البرود .

2 فراهته : حسنه ونشاطه .

3 الأحم الأشهب : الأسود .

دبَّ الوشاةُ فابعدوك وربَّما
 لله يومَ نأيتَ عني ظاعنا
 نفسٌ مفرقةٌ أقامَ فريقُها
 فالآنَ إذ كُملتَ أداتُك كلُّها
 واختيرَ من سرِّ الحدائدِ خيرُها
 وغدوتَ طنانَ اللُّجامِ كأنَّما
 وكانَ سرجُك إذ علاكَ غمامةٌ
 ورأى عليٌّ بك الصديقُ جلاله
 أنساكَ لا زالتَ إذاً منسيَّةً
 أضمرتُ منك اليأسَ حينَ رأيتني
 ورجعتُ حينَ رجعتُ منك بحسرة

بُعَدَ الفتى وهو الأحبُّ الأقربُ
 وسُلبتُ قربك أيَّ علقٍ أسلبُ
 ومضى لِطِيبَتِهِ فريقٌ يُجنبُ
 ودعا العيونَ إليك لَوْنٌ معجبُ
 لك خالصاً ومن الحليِّ الأغرَبُ
 في كلِّ عُضوٍ منك صنَجٌ يُضربُ
 وكأنَّما تحتَ الغمامةِ كوكبُ
 وغدا العدوُّ وصدْرُهُ يتلهَّبُ
 نفسي ولا زالتَ يميني تُنكبُ
 وقوى حبالي من قواك تقصَّبُ
 لله ما فعلَ الأحمُّ الأشهبُ

[ناظر ضعيف البصر]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، رضوان الله عليه ، قال : حدَّثني محمد بن ناصح
 رحمة الله عليه ، قال : لحقتُ غلاتِ أهلِ البتِّ¹ آفةً في أيام محمد بن عبد الملك من جرّاد
 وعطش ، فتظلم إليهم جماعة منهم ، فوجّه بعضهم أصحابه ناظرًا في أمرهم ، وكان في بصره
 ضعف ، فكتب إليه محمد بن عليّ البتّي :

أتيتَ أمراً يا أبا جعفرٍ
 لم يأتِه برٌّ ولا فاجرُ
 أغنتَ أهلَ البتِّ إذ أهلكوا
 بناظرٍ ليس له ناظرُ

فبلغه ، فضحك وردَّ الناظرَ ووقع لهم بما سألوا بغير نظر .

[مساجلة بينه وبين علي بن جبلة]

أخبرني الصوليّ رضي الله عنه قال : حدَّثني محمد بن يحيى بن أبي عماد عن أبيه رضي الله
 عنهما قال : قال عليّ بن جبلة يهجو محمد بن عبد الملك الزيات ، وكان قد قصد أبا دلف
 القاسم بن عيسى في بعض أمره :

[من البسيط]

1 البت : قرية من أعمال بغداد قريبة من راذان .

يا بائع الزيتِ عرّج غيرَ مرموقٍ
 من رام شتمك لم ينزع إلى كذبٍ
 أبوك عبدٌ وللأمّ التي فلقت
 إن أنتَ عدّدتَ أصلاً تُسبُّ به
 ولن تطيقَ بحولٍ أن تُزيلَ شجاً
 الله أنشاك من نوّكٍ ومن كذبٍ
 ماذا يقول امرؤُ غشّاكٍ مدحته

لُتُشغَلَنَّ عن الأُرطالِ والسوقِ
 في مُنتماكِ وأبداهِ بتَحقيقِ
 عن أمِّ رأسك هَنٌّ غيرُ مخلوقِ
 يوماً فأمكُ مني ذاتُ تطليقي
 أثبتته منك في مستنزلِ الرّيقِ
 لا تعطفنَّ إلى لؤمٍ لمخلوقِ
 إلّا ابنُ زانيةٍ أو فرخُ زنديقي

فأجابه محمد :

[من البسيط]

اشمخُ بأنفك يا ذا السيءِ الأدبِ
 وارفع بصوتك تدعو من بذي عدنِ
 ما أنتَ إلّا امرؤٌ أعطى بلاغته
 فاجمخُ لعلك يوماً أن تعضَّ على
 إنّي اعتذرت فما أحسنتَ تسمعُ من
 صبراً أبا دُلفٍ في كلِّ قافية
 يا ربّ إن كان ما أنشأتَ من عربٍ
 إنّ التعصّبَ أبدى منك داهيةً

ما شئتَ واضربْ قذال الأرضَ بالذنبِ
 ومن يقالي قَلا بالويلِ والحربِ¹
 فضلّ العذار ولم يربعْ على أدبِ²
 لُجْمٍ دلّاصيةٍ تشيكُ من كُتْبِ³
 عُذري ومن قبلُ ما أحسنتَ في الطلّبِ
 كالقَدْرِ وَقفاً على الجاراتِ بالعُقْبِ⁴
 شروى أبي دُلفٍ فاسخَطُ على العربِ⁵
 كانتُ تُحجّبُ دونَ الوهمِ بالحُجْبِ

فأجابه علي بن جبلة :

[من البسيط]

نَبّهتَ عن سِنَةِ عَيْنِكَ فاصطبرِ
 واسحبْ بذيلك هل تَقْفُو على أثرِ⁶

1 قالي قلا : مدينة بأرمينية من نواحي خلاط ، بلد أبي علي القالي صاحب الأمالي .

2 يربع : يقف .

3 لجم دلّاصية : ملساء براقه .

4 العقب : جمع عقبة ، أي شيء من المرق يرده مستعير القدر .

5 شروى : مثل .

6 تقفو : تمحو .

إِنْ يَرَحْضِ اللَّهُ عَنِّي عَارَ مُطَلَّبِي
إِنِّي وَدَعْوَاكَ أَنْ تَأْتِي بِمَكْرُمَةٍ
فَارْدَدَ جُفُونَكَ حَسْرَى عَنْ أَبِي ذُلْفِ
لَا يَسْخَطُنَّ امْرُؤٌ إِنْ ذَلَّ مِنْ حَسْبِ
لَمْ آتِ سَوْءًا وَلَمْ أُسْخَطْ عَلَى أَحَدٍ
أَقْصِرُ أَبَا جَعْفَرٍ عَنِ سَطْوَةِ جَمَحَتِ

فأجابه محمد بن عبد الملك :

[من المنسرح]

يَا أَيُّهَا الْعَائِي لَمْ يَرِ لِي
هَلْ لَكَ وَتَرٌّ لَدَيْ تَطْلُبُهُ
فَالْحَمْدُ وَالْمَجْدُ وَالثَّنَاءُ لَنَا

وهي طويلة يقول فيها :

تَعِيشُ فِينَا وَلَا تَلَايُنُنَا
تُغْلِي عَلَيْنَا الْأَشْعَارَ مِنْكَ وَمَا
كَمَا تَعِيشُ الْحَمِيرُ وَالْبَقَرُ
عِنْدَكَ نَفْعٌ يُرْجَى وَلَا ضَرَرُ

[غزل بسلام]

أخبرني عمي ، رحمه الله ، قال : حدثني عمر بن نصر الكاتب ، قال : حدثني عمي علي بن الحسن بن عبد الأعلى ، قال محمد : اجتاز بديع غلام عمير المأموني بمحمد بن عبد الملك الزيات ، وكان أحسن خلق الله وجهاً ، وكان محمد يحبّه ويحنّ به جنوناً فقال :

[من السريع]

رَاحَ عَلَيْنَا رَاكِبًا طِرْفَهُ
قَدْ لَيْسَ الْقُرْطُوقَ وَاسْتَمْسَكَتْ
وَقُلْدَ السِّيفِ عَلَى غُنْجِهِ
أَقُولُ لِمَا أَنْ بَدَا مُقْبِلًا
أَغْيَدُ مِثْلُ الرِّشَاءِ الْآنَسِ
كَفَاهُ مِنْ ذِي بُرْقٍ يَابِسٍ²
كَأَنَّهُ فِي وَقْعَةِ الدَّاحِسِ
يَا لَيْتَنِي فَارَسُ ذَا الْفَارَسِ

1 اجتدى : سأل حاجته .

2 القرطوق : القباء .

[سماء تعوقني عن سماء]

أخبرني الأنخفش ، قال : حدّثني محمدُ بنُ يزيد قال : دامت الأمطارُ بسراً من رأى ، فتأخّر الحسن بن وهب عن محمد بن عبد الملك الزيات ، وهو يومئذٍ وزيرٌ ، والحسن يكتبُ له ، فاستبطأه محمد بن عبد الملك ، فكتب إليه الحسنُ يقول : [من الخفيف]

أوجبَ العذرَ في تراخي اللقاء	ما توالى من هذه الأنواء
لست أدري ماذا أقولُ وأشكو	من سماءٍ تعوقني عن سماء
غير أنني أدعو على تلك بالثُكُل	لئلا وأدعو لهذه بالبقاء
فسلام الإله أهديه غضاً	لك مني يا سيّد الوُزراء

[عتاب]

أخبرني الصُّوليّ ، قال : حدّثنا محمدُ بنُ موسى ، قال : اعتلّ الحسنُ بن وهب ، فتأخّر عن محمد بن عبد الملك أياماً كثيرةً ، فلم يأتِه رسوله ، ولا تعرّف خبره ، فكتب إليه الحسنُ قوله : [من الخفيف]

أيُّ هذا الوزيرُ أيُّدك اللـ	هُ وأبّاقك لي بقاء طويلا
أجميلاً تراه يا أكرمَ النا	س لكيما أراه أيضاً جميلا
إنني قد أقمتُ عشراً عليلا	ما ترى مرسلأ إليّ رسولا
إن يكن موجب التعمد في الصّحـ	ه منأ عليّ منك طويلا
فهو أولى يا سيدَ الناسِ برأ	وافتقاراً لمن يكون عليلا
فلماذا تركنتني عرضة الظنّ	من الحاسدين جِيلا فجِيلا
ألذنبِ فما علمتُ سوى الشكـ	ر قرينا لنيتي ودخِيلا
أم ملالٍ ، فما علمتك للصا	حبٍ مثلي على الزمانِ ملولا
قد أتى الله بالشفاء فما أعـ	رفُ ممّا أنكرت إلا قليلا
وأكلتُ الدُّراج وهو غذاء	أفلتُ علّتي عليه أفولا ¹
بعدما كنتُ قد حملتُ من العدّ	ة عيئاً على الطّباعِ ثقيلا

ولعلِّي قَدِمْتُ قَبْلَكَ آتِيَةً
فَأَجَابَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ :

[من الخفيف]

دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ نَائِبَةَ الدَّهْرِ
أَشْهَدُ اللَّهَ مَا عَلِمْتُ وَمَاذَا
وَلَعَمْرِي أَنْ لَوْ عَلِمْتُ فَلَا زَمْتُ
إِنِّي أُرْتَجِي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَا
أَنْ أَكُونَ الَّذِي إِذَا أَضْمَرَ الْإِخَاءَ
ثُمَّ لَا يَبْدُلُ الْمَوَدَّةَ حَتَّى
فَإِذَا قَالَ كَانَ مَا قَالَ إِذْ كَانَا
فَاجْعَلْنِي لِي إِلَى التَّعَلُّقِ بِالْعُدُوِّ
فَقَدِيمًا مَا جَادَ بِالصَّفْحِ وَالْعَفْوِ

قال : وكتب محمد بن عبد الملك إلى الحسن بن وهب وقد تأخر عنه : [من البسيط]

قَالُوا جَفَاكَ فَلَا عَهْدَ وَلَا خَيْرَ
شَهْرٌ تَجَدُّ حَبَالُ الْوَصْلِ فِيهِ فَمَا

مَاذَا تَرَاهُ دَهَاهُ قَلْتُ : أَيْلُولُ
عَقْدٌ مِنَ الْوَصْلِ وَهُوَ مَحْلُولُ

[مساجلة بينهما]

قال : وكان محمد قد ندبه لأن يخرج في أمر مهم فأجابه الحسن فقال : [من البسيط]

إِنِّي بِمَحْلُولِ أَمْرِيءَ أَعْلَيْتَ رُبَّتَهُ
وَأَنْتَ عُدَّتَهُ فِي نَيْلِ هِمَّتِهِ
مَا غَالَنِي عَنْكَ أَيْلُولُ بِلَذَّتِهِ
اللَّيْلُ لَا قِصْرَ فِيهِ وَلَا طَوْلُ
وَالْعُودُ مُسْتَنْطَقٌ عَنْ كُلِّ مَعْجَبَةٍ
لَكِنْ تَوَقَّعْ وَشَكَّ الْبَيْنَ عَنْ بَلَدِي
مَا لِي إِذَا شَمَّرْتُ بِي عَنْكَ مَبْتَكِرًا
فَحِظُّهُ مِنْكَ تَعْظِيمٌ وَتَبْجِيلُ
وَأَنْتَ فِي كُلِّ مَا يَهْوَاهُ مَأْمُولُ
وَطَيْبِهِ وَلِنَعَمِ الشَّهْرِ أَيْلُولُ
وَالجَوْ صَافٍ وَظَهَرَ الْكَأْسَ مَرْحُولُ
يُضْحِي بِهَا كُلُّ قَلْبٍ وَهُوَ مَتْبُولُ
تَحْلُهُ فَوْكَاءُ الْعَيْنِ مَحْلُولُ
دُهُمُ الْبِغَالِ أَوْ الْهُوجُ الْمَرَايِيلُ¹

إلا رعاياتك اللاتي يعودُ بها حدُّ الحوادثِ عني وهو مفلولُ

قال : وكان الحسنُ بن وهب يساير محمداً على مُسنَّاة¹ ، فعدل عن المسناة لئلا يضيق
محمد الطريقُ ، فظنَّ محمد أنه أشفقَ على نفسه من المسناة ، فعدل عنها ، ولم يساعده على
طريقه ، وظنَّ بنفسه أن يصيبها ما يصيبه ، فقال له محمد :

قد رأيناك إذ تركتَ المسناةَ وحاذيتني يسارَ الطريقِ
ولعمري ما ذاك منك وقد جدَّ بك الجدُّ من فعال الشفيعِ

[مساجلة أخرى]

فقال له الحسنُ : [من الخفيف]

إن يكنْ خوفي الخُتوفَ أراني إن تراني مشبَّها بالعقوقِ
فلقد جارتِ الظنونُ على المُشدِّ فقِي والظنُّ مولعٌ بالشفيعِ
غرَّرَ السيدُ الأجلُّ وقد سا رَ على الحرفِ من يمين الطريقِ
فأخذتُ الشمالَ بقيا على السيدِ سد إذ هالني سلوكُ المضيقي
إنَّ عندي مودَّةٌ لك حازتُ ما حوى عاشقٌ من المعشوقِ
طودُ عزِّ خصصتُ منه ببرٌّ صارَ قَدْرِي به مع العيوقِ²
وبنفسِي وإخوتي وأبي البِ رَ وعمِّي وأسرَتي وصديقي
من إذا ما رُوِّعتُ أمَّن روعي وإذا ما شَرِّقتُ سوغَ ريعي

[يفتخر]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش والصوليُّ ، قالا : حدَّثنا المبرِّدُ ، قال : استسقى
الحسنُ بنُ وهب من محمد بن عبد الملك نبذاً ببلد الروم ، وهو مع المعتصم فسقاه وكتب
إليه :

لم تلقَ مثلي صاحباً أندى يداً وأعمَّ جوداً
يسقي النديمَ بقفرةٍ لم يُسقَ فيها الماءُ عوداً

1 مسناة : سدّ يعترض به الوادي .

2 العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا .

صفراء صافية كأنَّ بكأسها دُرّاً نَضِيدا
وأجودُ حينَ أجودُ لا حصيراً بذاك ولا بليدا
وإذا استقلَّ بشكرها أوجبتُ بالشُّكرَ المزيدا
خُذها إليكَ كأنَّما كُسيَتْ زُجَاجَتُها عُقودا
واجعلَ عليكَ بأنَّ تقو مَ بشكرها أبداً عهودا

[يوم سرور لا يكمل]

أخبرني الصوليّ ، قال : حدّثني أحمد بن محمد الأنصاريّ ، قال : حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك ، قال : دعا محمد بن عبد الملك قبل وزارته الحسن بن وهب في آخر أيام المأمون ، فجاءه ودخلا حمّاماً له ، وأقاما على لهوهما ، ثم طُلب الحسن بن وهب لعمل احتيج فيه إليه ، فمضى ، وبطل يومهم ، فكتب الحسن إليه : [من السريع]

سقياً لنضير الوجهِ بسّامِهِ مُهذَّبِ الأخلاقِ قَمَاقِمِهِ¹
تكسبه شُكراً على أنّها مُطبَّقةُ السنِّ لِلوَامِهِ²
زُرناه في يومِ علا قدره من سائرِ الأيامِ في عامِهِ
أسعده اللهُ وأحظى به وجاده الغيثِ بإرهامِهِ³
فكان مسروراً بنا باذلاً لرحلِهِ الرحبِ وحمّامِهِ
نخدمه وهو لنا خادم بفضله من دون خُدّامِهِ
ثم سقانا قهوةً لم يدعْ أطيبَ منها بقرى شامِهِ
صهباءً دلّتْ على دَنّها وحدّثتْ عن ضعفِ إسلامِهِ

[من السريع]

فأجابهُ محمد بن عبد الله رحمه الله تعالى :

وزائرٍ لَدُنّا يومُهُ لو ساعد الدهرُ بإتمامِهِ
ماذا لقينا من دواوينه وخطّه فيها بأقلامِهِ

1 القمام : السيّد .

2 إطباق السن : كناية عن الصمت .

3 إلهام : الغيث .

أَسْرَ مَا كُنَّا فَمَنْ مَازَحَ أَوْ شَارِبٌ قَدْ عَبَّ فِي جَامِهِ
فَارَقْنَا فَالْنَفْسَ مَطْرُوفَةً بَوَاكِفِ الدَّمْعِ وَسَجَامِهِ
وَعَادَ بِالمَدْحِ لَنَا مَنِعِمًا بِهِ إِلَى سَالِفِ إِنْعَامِهِ
لَيْتَ - وَأَتَى لِي بِهَا مُنِيَّةٌ - لَوْ كُنْتُ فِيهِ بَعْضَ قَوْمِهِ
يَشْكُرُ مَا نَالَ عَلَى أَنَّهُ لَا يُشْكِرُ الحَرَّ الحَمَامِهِ
أَمْسَحَهُ فِيهِ وَأَدْنُو لَهُ مَنْ خَلْفَهُ طَوْرًا وَقُدَامِهِ
جَعَلْتُ نَفْسِي جُنَّةً لِلصَّبَا وَبِعْتُ إِسْلَامِي بِإِسْلَامِهِ
فَصَارَ مَا يَشْرَبُ حِلًّا لَهُ وَصَرْتُ مَأْخُودًا بِآثَامِهِ

[ابن الزيات في قيوده]

أخبرني الحسن بن القاسم الكاتب ، قال : سمعت القاسم بن ثابت يحدث عن أبيه ، قال :
قال أحمد الأحول : لما قبض على محمد بن عبد الملك الزيات تلطفت في الوصول إليه ، فرأيته
في حديد ثقيل ، فقلت له : أعزّز عليّ ما أرى ، فقال : [من الرمل]

سَلُّ دِيَارَ الحَيِّ مَا غَيْرَهَا وَمَحَاهَا وَمَحَا مَنظَرَهَا
وَهِيَ اللَاتِي إِذَا مَا انْقَلَبْتَ صَيَّرْتَ مَعْرُوفَهَا مُنْكَرَهَا
إِنَّمَا الدُّنْيَا كَطَلٍّ زَائِلٍ نَحْمَدُ اللهَ كَذَا قَدَرَهَا

في هذه الأبيات رمل طنبري لا أدري لمن هو ؟

ومما يغنى فيه من شعر محمد بن عبد الملك الزيات :

[من مجزوء الرمل]

صوت

ظالمِي مَا عَلِمْتُهُ مُعْتَدٍ لَا عَدْمَتُهُ
مُطْمَعِي بِالْوَصَالِ مِمَّ تَتَنَعَّ حِينَ رُمْتُهُ
مُرْصِدٌ بِالخِلَافِ وَالِ حَمَنَعُ مِنْ حَيْثُ سَمْتُهُ¹
هَاجِرٌ إِنْ وَصَلْتُهُ صَابِرٌ إِنْ صَرَمْتُهُ
كَمْ وَكَمْ قَدْ طَوَيْتُ مَا بِي وَكَمْ قَدْ كَنَمْتُهُ

1 أرصد له شيئاً : أعدّه له .

رُبَّ هَمٍّ طَوَيْتَ فِيهِ كَ وَغِيظٍ كَظَمْتُهُ
 وَحَيَاةٍ سَمَّمْتَهَا وَالهُوَى مَا سَمَّمْتُهُ
 رُمْتُ شَيْئًا هَوَيْتُهُ لَيْسَ لِي مَا حَرَمْتُهُ
 قَالَ إِذْ صَرَخَ الْبَكَاءُ بِمَا قَدْ سَتَرْتُهُ
 لَوْ بَكَى طَوَلَ دَهْرَهُ بِدَمٍ مَا رَجِمْتُهُ

الغناء لأبي العنيس بن حمدون خفيف ثقيل بالبنصر .

صوت

[من الهزج]

إِذَا أَحْبَبْتُ لَمْ أَسْأَلُ وَإِنْ وَاصَلْتُ لَمْ أَقْطَعُ
 وَإِنْ عَاتَبَنِي النَّاسُ تَصَامَمْتُ فَلَمْ أَسْمَعُ
 وَقَدْ جَرَّبْتُ مَا ضَرَّرَ وَقَدْ جَرَّبْتُ مَا يَنْفَعُ
 فَمَا مِثْلَ الْهُوَى أَنَّهُ كُ لِلْجِسْمِ وَلَا أَضْرَعُ
 وَلَا كَالْهَجْرِ فِي الْقَرْبِ إِلَى الْمَوْتِ وَلَا أُسْرَعُ
 وَإِنْ أَوْجَعَنِي الْعَذْلُ فَنِيرَانُ الْهُوَى أَوْجَعُ
 وَهَذَا عَدَمُ الْعَقْلِ فَمَا أُسْطِيعُ أَنْ أُصْنَعُ
 وَلَا وَاللَّهِ مَا عِنْدِي لَمَّا قَدْ حَلَّ بِي مَدْفَعُ
 وَلَا فِيَّ لَهْجَرَانِ — كَ لَوْلَا ظَلَمَكُمُ مَوْضِعُ

الغناء لعريب الحنان : خفيف ثقيل بالبنصر ، وهزج بالوسطى .

[يمدح الحسن بن وهب]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، قال : حدثنا محمد بن يزيد الميرد ، قال : حدثني الحسن بن رجاء ، قال : قدم محمد بن عبد الملك على الحسن بن سهل إلى فم الصلح ، وامتدحه بقصيدته التي أولها :

[من الرجز]

كَأَنَّهَا حِينَ تَنَاءَى حَطْوُهُ أُخْنَسُ مَوْشِي الشَّوَى يَرْعَى الْقُلَّ¹

1 الأخنس : ذكر البقر الوحشي . موشي الشوى : منقوش الأطراف .

وقال فيها :

إلى الأمير الحسن استنجدتها
سيف أمير المؤمنين المنتضى
آباؤك الغرّ الألى جدّهم
من كلّ ذي تاج إذا قال مضى
فأين لا أين وأنتى مثلكم
أنتم الأملاك والناس خول

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

[يتنكر للحسن بن سهل فيخجله]

قال : ومرض الواصل ، فدخل إليه الحسن بن سهل عائداً ، ومحمد بن عبد الملك يومئذ وزيره ، والحسن بن سهل متعطل ، فجعل الحسن بن سهل يتكلم في العلة وعلاجها وما يصلح للواصل من الدواء والعلاج والغذاء أحسن كلام ، قال : فحسده محمد بن عبد الملك ، وقال له : من أين لك هذا العلم يا أبا محمد ؟ قال : إني كنت أستصحب من أهل كلّ صنعة رؤساء أهلها ، وأتعلّم منهم ، ثم لا أرضى إلاّ ببلوغ الغاية ، فقال له محمد ، وكان حسوداً : ومتى كان ذلك ؟ قال : في زمان قلت في :

[من الرجز]

فأين لا أين وأنتى مثلكم
أنتم الأملاك والناس خول

فخجل محمد بن عبد الملك ، وأطرق ، وعدّل عن الجواب .

[عسى أمور بعد ذلك تكون]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدّثني حماد بن إسحاق قال : حدّثني ميمون بن هارون بن خلف قال : كنت أسير بالقرب من محمد بن عبد الملك الزيات ، وهو يريد يومئذ منزله ، حتى مرّ بدار إبراهيم بن رباح ، فرأى فيها قبة مشيدة ، فقال :

[من الكامل]

أمّا القبابُ فقد أراها شيدتْ
عبدٌ عرتْ منه خلائقُ جهلهِ
وعسى أمورٌ بعد ذلك تكون
إذ راح وهو من الثراء سميئ

فما كان إلاّ أيام حتى أوقع به .

[ابن أبي دواد يكيد له]

أخبرني عمي قال : حدثني الحسن بن علي بن عبد الأعلى عن أبيه ، قال : كان الواثق قد أصلح بين محمد بن عبد الملك الزيات وبين أحمد بن أبي دواد ، فكفَّ محمد عن ذكره ، وجعل ابن أبي دواد يخلو بالواثق ، ويغريه به ، حتى قبض عليه وكان فيما بلغه عنه أنه قد عزم على الفتك به والتدبير عليه . فقبض الواثق عليه ، ثم أطلقه بعد مدّة ، ثم وزر للمتوكّل ، وكان محمد بن عبد الملك أشار باين الواثق ، وأشار ابن أبي دواد بالمتوكّل ، وقام وقعد في أمره حتى وُلِّي ، وعمّمه بيده ، وألبسه البردة ، وقبّل بين عينيه ، وكان المتوكّل قبل ذلك يدخل على محمد بن عبد الملك في حياة الواثق يشكو إليه جفائه له فيتجهّمه محمد ، ويُغلظ له الردّ ، إلى أن قال يوماً بحضرته : ألا تعجبون إلى هذا العاصي ، يعادي أمير المؤمنين ، ثم يسألني أن أصلح له قلبه ! اذهب ، ويلك فأصلح نفسك له ، حتى يصلح لك قلبه . فكان موقع ذلك يحسن عند الواثق ، فدخل إليه يوماً وقد كان قال للواثق : إن جعفرًا يدخل إليّ وله شعر قفًا وطرة مثل النساء ، فقد ضحك فأمره بأن يحلقهما ، ويضرب شعرهما وجهه ، فلما دخل إليه المتوكّل فعل ذلك به ، وتجهّمه بالقبيح ، فلما ولي الخلافة خشي إن نكبه عاجلاً أن يستتر أسبابه فتفوته بغيته فيه ، فاستوزره وخلع عليه ، وجعل ابن أبي دواد يغريه به ويجدّ عنده لذلك موقعاً واستماعاً ، حتى قبض عليه وقتله ، فلم يجد له من أملاكه كلّها من عينٍ وورقٍ وأثاثٍ وضيعةٍ إلّا ما كانت قيمته مائة ألف دينار ، فنديم على ذلك ، ولم يجد منه عوضاً ، وكان أمره ممّا يُعتدُّ على أحمد بن أبي دواد ، ويقول : أطمعتني في باطل ، وحملتني على أمر لم أجد منه عوضاً .

[دندن الكاتب يتبأ بما حدث له]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : زعم محمد بن عيسى الفساطيطيّ ، أن محمد بن عبد الملك اجتاز بدندن الكاتب ، وعليه خلع الوزارة للمتوكّل لما وزر له ، فقال دندن :

راح الشقيّ بخلعة النُكرٍ مثل الهديّ لليلة النُحر¹

1 الهدى : الضحية ونحوها .

لا تمّ شهر بعد خلّعتَه حتى تراه طافيّ الجَمْرِ
ويُرى يُطامن من إساءته يَهوي له بِقَواصم الظهْرِ

فكان الأمر كما قال .

[في التور]

قال عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى : فلما قبض عليه المتوكّل استعمل له تنورَ حديد ، وجعل فيه مسامير لا يقدر معها أن يتحرّك إلّا دخلت في جسده ، ثم أحماه له وجعله فيه ، فكان يصيح : ارحموني ! فيقال له : اسكت ، أنت كنت تقول : ما رحمت أحداً قطّ ، والرحمة ضعف في الطبيعة ، وخوّز في المنة ، فاصبر على حكمك ! وخرج عليه عبادة ، فقال : أردت أن تشوّيني ، فشوّوك .

[موت ومكايده]

أخبرني طاهر بن عبد الله بن طاهر الهاشميّ : قال : قال العباس بن طومار : أمر المتوكّل عبادة أن يدخل إلى محمد بن عبد الملك الزيّات ، وقد أحمي تنور حديد ، وجعله فيه ، فيكايده ، فدخل إليه فوقف بإزائه . ثم قال : اسمع يا محمد ، كان في جيراننا حفّار يحفر القبور ، فمرضت مخنّثة من جيرانني ، وكانت صاحبةً لي ، فبادر فحفر لها قبراً من الطمع في الدراهم ، فبرأت هي ومرض هو بعد أيام ، فدخلت إليه صاحبتني وهو بالنزع ، فقالت : ويّ يا فلان ؟ حفرت لي قبراً وأنا في عافية ، أو ما علمت أنه من حفر بئر سوء وقع فيها ، وحياتك يا محمد ، لقد دفنناه في ذلك القبر ، والعقبى لك . قال : فوالله ما برح من إزاء محمد بن عبد الملك يؤذيه ، ويكايده إلى أن مات .

[الحسن بن وهب يرثيه]

قال الصوليّ : وقال الحسن بن وهب يرثي محمد بن عبد الملك ، وكان في حياته ينتفي¹ منها ، ويججدها ، ثم شاعت بعد ذلك ، ووجدت بخطّه :

[من الوافر]

يكاد القلب من جزعٍ يطيرُ إذا ما قيل قد قُتِلَ الوزيرُ
أمير المؤمنين هدّمت ركناً عليه رحاكم كانت تدورُ

1 ينتفي منها : يتنصّل منها .

ويُخرب حين تَضُطربُ الأُمُورُ	سُبُلِي المَلِكِ من جَزَعِ عَلِيهِ
فقد كُوتِ بِفَعْلِكُمُ الصَّدُورُ	فمَهلاً يا بَنِي العَبَّاسِ مَهلاً
لَكُم في كُلِّ مَلحمة عَقِيرُ	إِلَى كَم تَنكُوبونَ النَّاسَ ظَلماً
وليس كَذَلِكُكُمْ يُجْزَى النُّصِيرُ	جَزِيَتِمِ ناصِراً لَكُمُ المَنايَا
وذلك من فَعالِكُمُ شَهِيرُ	فكُنْتُم سائِقاً أرسا إِلَيْكُم
قريباً لا يَحاولُه البَصِيرُ	وَكانَ صَلاحُه لو شِئْتُمُوهُ
لئلاً تَعَدلُوا ولأنَّ تَجورُوا	كانَ اللهُ صَيِّراً مَلوكاً

[504] - أخبار أبي حشيشة

[نسيه]

أبو حشيشة لقبٌ غَلَبَ عليه ، وهو محمدُ بنُ أميةَ بنِ أبي أميةَ ، يكنى أبا جعفر ، وكان أهله جميعاً متّصلين بإبراهيمَ بن المهديّ ، وكان هو من بينهم معنياً بالطنبور ، يُغنى أحسن غناءً وخدم جماعة من الخلفاء أولهم المأمون ، ومن بعده إلى المعتمد .
[أبو صالح يكتب له في استاره]

وله يقول أبو صالح بن يزيد وكتب بها في استاره :

جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا ابْنَ أَبِي أُمِيَّةَ أَرَى الْأَيَّامَ قَدْ حَكَمَتْ عَلَيْهِ
وَمَلَّتِي الصَّدِيقُ وَخَانَ عَهْدِي فَمَا أَقْرَأَ لَكُمْ كُتُبًا إِلَيْهِ
فَإِنْ كَانَ الضَّمِيرُ كَمَا بَدَأَ لِي فَهَذَا وَإِلَّا هُوَ الْبَلِيَّةُ

وكان أكثرُ انقطاعه إلى أبي أحمد بن الرشيد أيامَ حياته ، وكان أبوه وجدته وأخواله كُتُوباً .
وقرأت على أحمد بن جعفر جَحْظَةَ ما ذكره عن أبي حشيشة في كتابه الذي ألفه في أخبار مراتب الطنبوريين والطنبوريات وكان من ذلك أنه قال : شاهدت أبا حشيشة مدةً ، وكان يتغنى في أشعار خالد الكاتب وبنِي أميةَ ، وكانت معه فقرٌ من الأحاديث يضعها مواضعها ، وكانت له صنعة تقدّم فيها كلُّ طنبوريٍّ ، لا أحاشي من قولي ذلك ، فَمِنْهَا : [من الطويل]

كَأَنَّ هُمُومَ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا عَلَيَّ وَقَلْبِي بَيْنَهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ
وَلِي شَاهِدًا عَدْلٍ سَهَادٌ وَعَبْرَةٌ وَكَمْ مُدْعٍ لِلْحُبِّ مِنْ غَيْرِ شَاهِدِ

وهو خفيف رَمَلٍ مطلق . قال جَحْظَةُ : ورأيت في القَدَمَةِ التي قَدِمَهَا مع ابن المدبر بين يدي المعتمد ، وقد غناه من شعر علي بن محمد بن نصر .

صوت

[المجث]

حُرْمَتْ بَدَلَ نَوَالِكٍ وَاسْوَأَاتَا مِنْ فِعَالِكِ

لَمَا مَلَّتَ وَصَالِي آيَسْتِنِي مِنْ وَصَالِكُ

فوهبَ له مائتي دينار .

واللحن رَمَلٌ مطلق .

[عريب تفضله على علويه ومخارق]

أخبرني جَحْظَةُ فيما قرأته عليه ، قال : حدَّثني ابن نُوبخت : يعني عليَّ بنَ العباس قال : رأيته وقد حضرتُ عَرِيبُ عند ابن المدبر ، وهو يُعْنَى ، فقالت له عَرِيبُ : أحسنتَ يا أبا جعفر ، ولو عاش الشَّيْخَانُ ما قلتُ لهما هذا ، تَعْنِي عَلَوِيَّهَ وَمُخَارِقًا .
[يهددُ بالجلد إن تكلم]

حدَّثني أبو حشيشة ، قال : هجم عليَّ خادمٌ أسودُ ، فقال لي : اليسُ ثيابك ، فعلمتُ أن هذا لا يكون إلا عن أمر خليفة أو أميرٍ ، فلم أراجعه ، حتى لبستُ ثيابي ، فمضيت معه فعبَر بي الجسرَ ، وأدخلني إلى دارٍ لا أعرفها ، ثم اجتاز بي في رواقٍ فيه حُجْرٌ تفوحُ منهنَّ رائحةُ الطعامِ والشرابِ ، فأدخلتُ منهنَّ إلى حجرة مفروشة ، وجاءني بمائدة كأنها جَزَعَةٌ يمانية قد نشرت في عراضها الحِبرَةُ¹ ، فأكلتُ وسقاني رطلين وجاءني بصندوق ففتحه فإذا فيه طنابر ، فقال لي : اخترْ ، فاخترتُ واحداً ، وأخذ بيدي ، فأدخلني إلى دارٍ فيها سَمَاعَةٌ وفيها رجلان على أحدهما قباءٌ غليظ ، وعلى الآخر ثيابٌ مُلْحَمٌ² وخزٌّ ، فقال لي صاحب الخزِّ : اجلس ، فجلست ، فقال : أكلتَ وشربتَ ؟ فقلت : نعم . قال : عندنا ؟ قلتُ : نعم ، قال : تُعْنِي ما نقول لك ؟ فقلت له : قل ، فقال : تُعْنِي بصنعتك :
[من الخفيف]

يا كثيرَ الإقبالِ والإنصافِ ومولواً ولو أشأ قلتُ خافٍ

وهو رَمَلٌ مطلق ، فغنيتهُ إيَّاه ، وجعلَ يطلبُ مني صوتاً بعد صوتٍ من صنعتي ، فأغنيهِ ، ويستعيده ، ويشرب هو والرجُل ، وأسقى بالأنصافِ المختونة³ إلى أن صلوا العشاء الآخرة ، وهم لا يشربون إلا على الصوتِ الأوَّلِ لا يريدون غيره ، ثم أوماً إليَّ الخادم : قم ، فقمت ، فقال لي صاحبُ القباءِ منهما : أتعرفني ؟ قلتُ : لا والله ، قال : أنا إسحاق بن إبراهيم الطاهري ، وهذا محمد بن راشد الخنَّاق ، والله لئن بلغني أنك تقولُ : إنك رأيتني لأضربنك

1 الحبرة : كناية عن ألوان الطعام الشهية البراقة .

2 مُلْحَمٌ : جنس من الثياب .

3 المختونة : الناقصة .

مائتي سَوَط ؛ انصرف . فخرجتُ ودفع إلى الخادم ثلاثمائة دينار ، فجهدتُ أن يقبلَ منها شيئاً على سبيل البرِّ ، فما فعل .

حدَّثني جحظةُ قال : حدَّثني أبو حشيشة : قال : وجّه إليَّ إسحاق بن إبراهيم الطاهريُّ ، فصرتُ إليه وهو في داره التي على طرف الخندق ، فدعا بجونة¹ ، فأكل وأكلتُ من ناحية ، ودعا بستارة وقال : تغنَّ بصنعتك :

عادِ الهوى بالكأسِ برداً فاطعُ إمارة من تبدى

وهو خفيف رمل مطلق .

فغنيته مراراً ، ثم ضرب الستارة ، وقال : قولوه ، فقالتَه جاريةٌ فأحسنت غاية الإحسان ، فضحك ثم قال : كيف تراه ؟ فقلت : قد والله بغضوه إليَّ ، فازداد في الضحك ، وأنا أرمقُ جبةً خزَّ خضراء كانت عليه ، فقال : كم ترمقُ هذه الجبة ؟ يا غلامُ كانت عشرة أثواب خزَّ فقطعت منها هذه الجبة ، فهاتِ التسعة فجيء بها ، فدفعها إليَّ فكنت أبيع رذالها بستين ديناراً .

حدَّثني جحظةُ قال : حدَّثني أبو حشيشة أن بني الجعيد الإسكافيين كانوا أولَ مَنْ اصطنعه ، وأنهم كانوا يسمونه الظريف ، وأن أولَ منزل أبتاعه من أموالهم إلى أن شاع خبره ، وتفاقم أمره . قال : وكانوا آكلَ الناس ، رأيتُ رجلاً منهم ، وقد أكل هو وابن عمِّ له اثنين وعشرين رأساً كبيراً ، وشرباً ، فسكروا وناما ، ثم انتبها في وقت الظهر ، فدعوا بالطعام ، فعادا إلى الأكل ، ما أنكر منهما شيئاً .

[المأمون أول خليفة سمعه]

ونسختُ من كتاب ألفه أبو حشيشة ، وجمع فيه أخباره مع مَنْ عاشره ، وخدمَ من الخلفاء ، وهو كتاب مشهور ، قال : أولَ مَنْ سمعني من الخلفاء المأمونُ ، وهو بدمشق ، وصفني له مخارق ، فأمر بإشخاصي إليه ، وأمر لي بخمسين ألفَ درهم أتجهزُ بها ، فلما وصلتُ إليه أداني ، وأعجبَ بي ، وقال للمعتصم : هذا ابنُ مَنْ خدمك وخدم آباءك وأجدادك يا أبا إسحاق ، جدُّ هذا أُمية كاتب جدِّك المهدي على كتابة السرِّ وبيت المال والخاتم ، وحجَّ المهديُّ أربع حججٍ كان جدُّ هذا زميله فيها .

[يضرب لغائه بشعر فيه ذكر الشيب]

[من الرمل]

واشتهى المأمون من غنائي :

صوت

كان يُنهي فَنهى حينَ انتهى وانجلتُ عنه غياباتُ الصِّبا
 خلع اللهُوَ وأضحى مُسبِلاً للنُّهى فَضَلَ قميصٍ ورِدا
 كيف يرجو البيضُ مَنْ أوَّلُه في عيون البيضِ شَيْبٌ وجلا
 كان كحلا لَمَاقِها فقدُ صار بالشيب لعينيها قَدَى

الشعر لدعبل ، والغناء لمحمد بن حسين بن مُحرز رمل بالوسطى .

قال أبو حشيشة : وكان مُخارق قد نَهاني أن أُغنيَ ما فيه ذكرُ الشيبِ من هذا الشعر ، وأن أقتصر على البيتين الأولين ؛ لأنَّ المأمون كان يشتدُّ عليه ذكرُ الشيب ، ويكرهه جدًّا من المغنِّين ، وأمر ألاَّ يغنيه أحدٌ بشعر قيل في الشيب أو فيه ذكر له ، فسكرتُ يوماً ، فمررتُ في الشعرِ كلُّه ، فقال : يا مُخارق ، ألا تحسنُ أدبَ هذا الفتى ! فنَقَفني¹ مُخارق نَقْفَةً صلبة ، فما عُدتُ بعدها لذكر شيء فيه الشيب .

[لكلّ خليفة صوت يحبه]

وذكر أبو حشيشة في كتابه هذا ممَّا كان يشتبهه عليه المأمون وغيره من الخلفاء أصواتاً كثيرةً ، ولا فائدة في ذكرها هاهنا لأنَّها طويلة ، فذكرتُ ممَّا كان يختاره عليه كلُّ خليفة صوتاً . قال أبو حشيشة : كان المعتصم يشتهي عليًّا : [من مجزوء الكامل]

صوت

أسرَفَتَ في سوء الصنيع وفتكتَ بي فنك الخليع
 وولعتَ بي مُتمرِّداً والعذر في طرف الوُلوع
 صَبَّرتُ حبَّك شافعاً فأتيتُ من قِبَل الشَّقِيع

الشعرُ لأصرم بن حُميد ، والغناء لأبي حشيشة .

[من مجزوء الكامل]

قال : وكان الواثق يختارُ من غنائي :

1 النقف : أشد الضرب بعضاً ونحوها .

يا تاركي متلدّد العُدّ
 وادّ جدلانّ العُدّة¹
 انظر إليّ بعين را
 ضِ نظرةً قبل المماتِ
 خلّيتني بين الوعيـ
 سدِ وبين ألسنة الوشاةِ
 ماذا يُرجّي بالحيا
 ةٍ مُنعصُ روحِ الحياةِ

الشعر لمحمد بن سعيد الأسديّ ، والغناء لأبي حشيشة خفيف رمل .

قال : وكان المتوكّل يحبّني ، ويستخفّني ، وكانت أغانيه التي يشتهيهما عليّ كثيرةً

منها :

[من المتقارب]

صوت

أطعتُ الهوى وخلعتُ العذارا
 وباركتَ بعد الفراح العُقارا²
 ونازعك الكأسَ من هاشم
 كريمٌ يحبُّ عليها الوقارا
 فتى فرّق الحمدُ أمواله
 يجرّ القميصَ ويُرخي الإزارا
 رأى الله جعفرَ خيرَ الأنام
 فملكه ووقاهُ الحذارا
 الشعرُ والغناءُ لأبي حشيشة .

قال : وكان الفتح بن خاقان يشتهي عليّ :

[من الكامل]

صوت

قالوا عشقتُ فقلتُ أحسنَ من مَشى
 والعشوقُ ليس على الكريمِ بعارِ
 يا مَنْ شكوتُ إليه طول صبابتي
 فأجابني بتجهمِ الإنكارِ
 قال : وكان المستعين يشتهي عليّ :

[من المتقارب]

صوت

وما أنسَ لا أنسَ منها الخشوعُ
 وفيضَ الدّموعِ وغمزَ اليدِ
 وخدّي مُضافاً إلى خدّها
 قياماً إلى الصُّبحِ لم نرُقُدِ
 الشعر لمحمد بن أبي أمية والغناء لأبي حشيشة .

1 متلدّد العواد : متحير الزائرين .

2 العقار : الخمر .

قال : وأخبرني محمد بن علي بن عصمة ، وكان إليه الزهد في الدنيا كلها ، قال : حضرت المعتز وقد ورد عليه جواب كتابه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، وكان كتب إليه يطلبني منه ، فكتب إليه محمد : إني عليل ، لا فضل في الخدمة ، قال أبو عصمة : فقال لي المعتز : يا أبا محمد ، صديقك أبو حشيشة يؤثر علينا آل طاهر ، فقلت له : يا سيدي ، أنا أعلم الناس بخبره ، هو والله عليل : ما فيه موضع لخدمة أمير المؤمنين ، قال : ثم ذكرني المعتمد . وحرّضه عليّ ابن حمدون ، فكتب إلى أيوب سليمان بن عبد الله بن طاهر ، وهو يومئذ أمير بغداد ، في إشخاصي ، فشخصني إليه من ساعتني ، فأكرمني ، وأذنني في مجلسي ، وأمر لي بجائزة ، واشتهى عليّ :

قلبي يُحبك يا منى قلبي وُبغضُ من يُحبك
لأكون فرداً في هواك فليت شعري كيف قلبك

الشعر لأحمد بن يوسف الكاتب ، والصنعة لأبي حشيشة رمل .

[مع إبراهيم بن المهدي]

قال أبو حشيشة : سمع إبراهيم بن المهدي أصواتاً من غناء محمد بن الحارث بن بسخر وعمرو بن بانة ، فاستحسنها وأخذها جواريه ، وقال : الطنبور كله باطل ، فإن كان فيه شيء حق فهذا . واشتهى أن يسمعي . فهبته هيبة شديدة ، وقلت : إن رضيتي لم يزد ذلك في قدرتي ، وإن لم يرضيني بقيت وصمة آخر الدهر ، وكان يطلبني من محمد بن الحارث بن بسخر خاصة ، ومن إسحاق بن عمرو بن بزيح ، فكنت أفر منهما ، حتى صرت بسر من رأى ، وأنا في تلك الأيام منقطع إلى أبي أحمد بن الرشيد ، ونحن في مضارب لم نكن سكناً المنازل بعد ، فوافي إلى أبي أحمد بن الرشيد رسول إبراهيم بن المهدي فأبلغه السلام ، وقال : يقول لك عمك : قد أعيتني الحيل في هذا الخبيث ، وأنا أحب أن أسمع ، وهو يهرب مني ، فأحب أن تبعث به إليّ ، وتكون ررب معه تؤنسه . فقال لي : أبو أحمد : لا بد أن تمضي إلى عمي ، فجهدت كل الجهد أن يعفيني ، فأبي ، فلما رأيت أنه لا بد لي منه لبست ثيابي ، ومضيت إليه ، وهو نازل في دسكرة ، فرحب بي وقرب ، وبسطني كل البسط ومعني ررب ، ودعا بالنبيذ ، وأمر خدماً له كباراً ، فجلسوا معي وشربوا وسقوني . وعرض لي بكل حيلة أن أغني ، فهبته هيبة شديدة ، وحصرت . وشرب ، ودعا بثلاث جوار ، فخرجن

وجلسن ، وقال لهنّ : قُلْنَ : [من المنسرح]

صوت

كيفَ احتيالي وأنتَ لا تصلُ عِيلِ اصطباري وقلّتِ الخيلُ
إن كان جِسْمي هوائك يُنحِلُه فإن قلبي عليك يتكَلُّ

الشعر لخالد الكاتب ، والغناء لأبي حشيشة رمل . وكان يسميه الرهبانيّ ، عمله على الحنّ من ألحان النصارى سمعه من رهبانٍ في الليل يردّدونه ، فغناه عليه .

فقالته إحداهنّ ، فذهب عقلي ، وسمعت شيئاً لم أسمع مثله قطّ ، فقال : يا خليلي ، أهذا لك ؟ فقلت : نعم ، أصلح الله الأمير ، وأخذتني رعدة ، ثم قال لهنّ : إيه ، قُلْنَ : [من مجزوء الخفيف]

صوت

رَبِّ ما لي وللهُوى ما لهذا الهوى دَوَا
حازَ طَرْفي الذي هوى الـ حُسْنُ قلبي وما حوى

الشعرُ لخالدٍ ، والغناء لأبي حشيشة رَمَل .

فَعَنَّتُهُ فسمعتُ ما هو أعجبُ من الأوّل ، فقال : يا خليلي ، هذا لك ؟ قلت : نعم يا سيّدي ، قال : هكذا أخذناهما من محمد بن الحارث ، ثم شربَ رطلاً آخر ، فقلت : يا نفس ، دعالك الرجل يسمعك ، أو يُسمعك ، وقويت عزمي ، وتغنّيته بشعر خالد الكاتب ، وهو هذا :

صوت

لئن لَجَّ قلبك في ذكره ولجَّ حبيبك في هجره
لقد أورت العينَ طولَ البكا وعزّ الفؤادُ على صبره
فإن أذهبَ القلبَ وجدَّ به فجسْمك لا شكَّ في إثره
وأيُّ مُحِبٍّ تجافى الهوى بطُولِ التفكُّرِ لم يُبره

فجعل يُردّد البيتَ الأوّلَ والبيتَ الأخيرَ ، وقال لي : لا تخرجنّ يا خليلي من هذا إلى غيره ، فلم أزل أردده عليه ، حتى شربَ ثلاثاً ، واسترحتُ ساعةً ، وشربتُ وطابت نفسي ، ثم استعادني فغنّيته ، فأعجبَ به خلافاً الأوّل ، فنظر إليّ وضحك ، ولم يقل شيئاً ، وشرب رطلاً رابعاً وجاءت المغرب ، فقال لي : يا خليلي ، ما أشكّ في أنّك قد أوحشت ابني منك ،

فامض في حفظ الله تعالى . فخرجت أطير فرحاً بانصرافي سالماً ، فلما وافيت أبا أحمد ، وبصر بي من بعيد قال : حنطة ، أو شعير ؟ فقلت ، بل سَمْسِم وشَهْدٌ ، أنج على رغم أنف من رغم ، فقال : ويحك ، أتراني لا أعرفُ فضلك ، ولكن أحببتُ أن أستعينَ برأيه على رأيي فيك ، وقصصتُ عليه القصة ، فسره ذلك ، ولم يرضَ حتى دسَّ إليه محمد بن راشد الخناق ، فسأله عني ، فقال : ما ظننت أن يكون في صناعته مثله .

[إسحاق يركبه]

قال أبو حشيشة : وسمع إسحاق بن إبراهيم الموصلي غنائي فاستحسنه ، فسأل عني ، فقال : غناء الطنبور كله ضعيف ، وما سمعتُ فيه قطُّ أقوى ولا أصحَّ من هذا .

[موت أبي حشيشة]

حدثني جحظة ، قال : كان سببُ موت أبي حشيشة بسراً من رأي ، أن قلماً غلام الفضل بن كاوس صار إليه في يوم بارد ، فدعاه إلى الصُّبوح ، فقال له : أنا لا آكل إلا طعاماً حاراً ، وليس عندك إلا فضيلة من مجلية ، قال : تساعدني ، وتأكل معي ، فأكل منها ، فجمدت دم قلبه ، فمات ، فحمله إبراهيم بن المدبر إلى بناته وما كسبه بسراً من رأي معه ، فاقسمته بينهن .

صوت

[من المنسرح]

سَقِيًا لِقَاطُولَ لَا أَرَى بَلْدًا أَوْطَنَهُ الْمُوطِئُونَ يُشْبِهُهَا
أَمْنَا وَخَفِضَا وَلَا كَبْهَجَتِهَا أَرْغَدُ أَرْضٍ عَيْشًا وَأَرْفُهُهَا

البيت الأول من البيتين لعنان جارية الناطفي ، والثاني يقال : إنه لعمرُو الوراق ، ويقال إنه لأبي نُوَاس ، ويقال بل هو لها .

والغناء لعريب خفيف رَمَل . وكان الشعر : «سَقِيًا لبغداد» فغيرته عريب وجعلت مكانه «سَقِيًا لِقَاطُول» .

[505] - أخبار عنان

كانت عنان مولدةً من مولدات اليمامة ، وبها نشأت وتأدبت ، واشتراها الناطقي ، وربّأها ، وكانت صفراء جميلةً الوجه ، شكيلة¹ مليحة الأدب والشعر سريعة البديهة . وكان فحول الشعراء يساجلونها ، ويقارضونها ، فتنصف منهم .

[مساجلة فاحشة بينها وبين أبي نواس]

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني صهر المبرد النحويّ وعليّ بن صالح بن الهيثم قال : حدّثنا أبو هفان عن الجمّاز قال : دخل أبو نواس يوماً على عنان جارية الناطقي ، فتحدّثا ساعة ، ثم قال لها : قد قلت شعراً ، فقالت : هات فقال :

[من مجزوء الرمل]

إن لي أيراً خبيثاً	لونه يحكي الكميّتا
لورأى في الجوّ صدعاً	لنزا حتّى يموتا
أو رآه فوق سقفي	لتحوّل عنكبوتا
أو رآه جسوفَ بحرٍ	خلته في البحر حوتا

قال : فما لبثت أن قالت :

[من مجزوء الرمل]

زوّجوا هذا بالّف	وأظنّ الألف قوتا
إنني أخشى عليه	إن تمادى أن يموتا
بادروا ما حلّ بالمس	كين خوفاً أن يفوتا
قبل أن يتكس الدّ	اء فلا يأتي ويوتى

قال : ودخل إليها يوماً ، فقال :

[من المجتث]

ماذا ترين لصّب	يريد منك قطيرة
----------------	----------------

فأجابته : [من المجتث]

إيأيَ تَعْنِي بِهَذَا عَلَيْكَ فَاجْلُدْ عُمَيْرَةَ

فقال لها : [من المجتث]

أُرِيدُ هَذَا وَأُخْشِي عَلَى يَدِي مِنْكَ غَيْرَةَ

قال : ففجّلتُ وقالت : تَعِسْتَ ، وَتَعِسَ مَنْ يَغَارُ عَلَيْكَ .

[تطارح أبا حنّس]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ : قال : حدّثنا عمر بن شُبّة : قال : حدّثني أبو أحمد بن معاوية : قال : سمعت أبا حنّس يقول : قال لي الناطفيّ : لو جئت إلى عنان فطارحتها ، فعزمت على الغدوّ ، فبتُّ ليلتين أحوكُ بيتين ، ثم غدوتُ عليها فقلتُ :

[من الطويل]

أَحَبُّ الْمِلَاحِ الْبَيْضَ قَلْبِي وَرُبَّمَا أَحَبُّ الْمِلَاحِ الصُّفْرَ مِنْ وَكْدِ الْحَبْشِ
بَكَيْتُ عَلَى صَفْرَاءَ مِنْهُنَّ مَرَّةً بَكَاءَ أَصَابِ الْعَيْنِ مِنِّي بِالْعَمَشِ

فقلتُ : [من الطويل]

بَكَيْتُ عَلَيْهَا أَنَّ قَلْبِي يَجُهِئُهَا وَأَنْ فُوَادِي كَالْجَنَاحِينَ ذُو رَعَشِ
تَعَيَّنَتْنَا بِالشَّعْرِ لِمَا أَتَيْتْنَا فَدُونَكَ خِذْهُ مَحْكَمًا يَا أَبَا حَنْشِ

[هي أشعر الجن والإنس]

أخبرني أحمد : قال : حدّثني عمر بن شُبّة : قال : حدّثني أحمد بن معاوية : قال : سمعتُ مروان بن أبي حفصة يقول : لَقِيَنِي الناطفيّ ، فدعاني إلى عنان ، فانطلقتُ معه ، فدخل إليها قبلي ، فقال لها : قد جئتُك بأشعر الناس ، مروان بن أبي حفصة ، فوجدها عليلّة ، فقالت له : إنني عن مروان لفي شغل ، فأهوى إليها بسوط فضربها به ، وقال لي : ادخل ، فدخلتُ وهي تبكي ، فرأيت الدموع تنحدر من عينيها فقلتُ :

[من السريع]

بَكَتْ عَنْانُ فَجَرَى دَمْعُهَا كَالدُّرِّ إِذْ يَسْبِقُ مِنْ حَيْطِئِهَا

فقلت وهي تبكي : [من السريع]

فَلَيْتَ مَنْ يَضْرِبُهَا ظَالِمًا تَبَيَسَ يُمْنَاهُ عَلَى سَوِطِهَا

فقلت : أعتق مروان ما يملك إن كان في الجنّ والإنس أشعر منها .

[تجز ما لا يجاز]

أخبرني الجوهري ، قال : حدثنا أبو زيد عن أحمد بن معاوية : قال : قال لي رجل :
تصفحتُ كُتُباً ، فوجدت فيها بيتاً جهدي أن أجد من يُجيزه ، فلم أجد ، فقال لي
صديق : عليك بعنان جارية الناطفي ، فجننتها فأنشدتها : [من الطويل]

صوت

وما زال يشكو الحبّ حتى رأيتُهُ تنفّسَ في أحشائه وتكلّمًا
فما لبثت أن قالت :

[من الطويل]

ويكي فأكبي رحمةً لبكائه إذا ما بكى دمعاً بكيتُ له دماً
في هذين البيتين لحن من الرَّمَل ، أظنه لجحظةً أو لبعض طبقتة .

[تعايي شاعرًا]

قرأتُ في بعض الكتب : دخل بعضُ الشعراء على عنان جارية الناطفي ، فقال لها مولاها
عاييه ، فقالت :

[من المنسرح]

سَقِيًّا لبغداد لا أرى أبدأ يسكنه الساكنون يُشبهها

[من المنسرح]

فقال :

كانتْها فِضَّةٌ مُموّهةٌ أخلصَ تمويهها مُموّهها

[من المنسرح]

فقالت :

أمنٌ وخفض ولا كَبَهَجَتِها أرغدُ أرضٍ عيشاً وأرفهها

فانقطع .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : حدثني ابن أبي سعيد قال : حدثني مسعود بن
عيسى ، قال : أخبرني موسى بن عبد الله التميمي ، قال : دخل أبو نواس على الناطفي ،
وعنانُ جالسةٌ تبكي ، وخذها على رزةٍ من مصراع الباب ، وقد كان الناطفيّ ضربها ، فأوماً
إلى أبي نواس أن يحركها بشيء ، فقال أبو نواس :

[من المنسرح]

عنان لو جدت لي فإني من عمري في آمن الرسول بما

فردت عليه عنانُ : [من المنسرح]

فإن تمادى ولا تماديتَ في قطعك حَبلي أكنُ كمنَ ختماً

فردَّ عليها أبو نواس فقال : [من المنسرح]

علقتُ من لو أتى على أنفُ من الماضيين والغابرين ما ندما

فردتُ عليه : [من المنسرح]

لو نظرتُ عينها إلى حَجَرٍ ولَّد فيه فتورها سقما

[لا بديل لخاتمها]

أخبرني ابنُ عَمَّار ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ القاسم بن مهرويه : قال : حدَّثني محمد بن أبي مروان الكاتب : قال : أخذ أبو نواس من عنان جارية الناطفي خاتماً فصه أحمر ، فأخذه أحمد بن خالد حيلويه من أبي نواس ، فطلبته منه عنان ، فبعث إليها مكانه خاتماً فصه أخضر ، فاتهمته في ذلك ، فكتب أبو نواس إلى أحمد بن خالد ، فقال : [من السريع]

فدنتك نفسي يا أبا جعفرٍ جاريةٌ كالقمر الأزهرِ
تعلقتني وتعلقتها طفلين في المهدي إلى المكبرِ
كنتُ وكانت نهادي الهوى بخاتمينا غيرَ مستنكرِ
حنتُ إلى الخاتم مني وقد سلبتني إياه مذ أشهرِ
فأرسلتُ فيه فغالطتها بخاتمٍ في قدّه أخضرِ
قالت : لقد كان لنا خاتمٌ أحمرُ أهدها إلينا سري
لكنّه علّق غيري فقد أهدى له الخاتم لا أمّري
كفرتُ بالله وآياته إن أنا لم أهجره فليصبرِ
أو فأتِ بالمرج من تُهمتي إياه في خاتمنا الأحمرِ
فاردّده ترداد وصلها إنّها قرةٌ عيني يا أبا جعفرِ
فإنّي متهمٌ عندها وأنت قد تعلم أنّي بري

قال : فردّ إليه الخاتم ، وبعث إليه معه ألفي درهم .

[الرشيد أشعر منها]

أخبرني ابن عَمَّار وعليّ بن سليمان الأحفش ، قال : حدَّثنا محمد بن يزيد المبرد ، عن

المازنيّ عن الأصمعيّ ، وقال ابن عمّار في خبره عن بعض أصحابه ، أظنه المازنيّ ، عن الأصمعيّ ، قال : ما رأيتُ أثر النبذ في وجه الرشيد قطُّ إلاّ مرّةً واحدةً ، فإني دخلتُ إليه أنا وأبو حفص الشطرنجيّ ، فرأيتُ التّختر¹ في وجهه ، فقال لنا : استبقا إلى بيت بل إلى أبيات ، فمن أصاب ما في نفسي فله عشرة آلاف درهم ، قال : فأشفقتُ ، ومنعتني هيبتة ، قال : فقال أبو حفص :

كلّما دارتِ الزجاجةُ زادتِ ه اشتياقاً وحرقةً فبكائك

فقال : أحسنتَ فلك عشرة آلاف درهم .

قال : فزالَتِ الهيبة عني ، فقلتُ :

[من الخفيف]

لم ينلْك الرجاءُ أن تحضُريني وتجاغتُ أمنيّتي عن سواك

فقال : لله درك ! لك عشرون ألف درهم ، قال : فأطرق ملياً ، ثم رفع رأسه إليّ ، فقال :

أنا والله أشعرُ منكما ، ثم قال :

[من الخفيف]

فتمنيّتُ أن يَغشيني اللـ ه نعاسا لعلّ عيني تراك

[الأصمعي يصرف الرشيد عنها]

أخبرني ابنُ عمّار والأخفشُ قالا : حدّثنا محمدُ بنُ يزيد عن المازنيّ : قال : قال الأصمعيّ : بعثتُ إليّ أمُّ جعفر أنّ أمير المؤمنين قد لهج بذكر هذه الجارية عِنان ، فإن صرفته عنها فلك حكمك . قال : فكنْتُ أريغ² لأنّ أجد للقول فيها موضعاً ، فلا أجده ، ولا أقدمُ عليه هيبةً له ، إذ دخلتُ يوماً فرأيتُ في وجهه أثر الغضب ، فانخرلتُ ، فقال : ما لك يا أصمعيّ ؟ قلت : رأيتُ في وجه أمير المؤمنين أثرَ غضبٍ ، فلعنَ اللهُ مَنْ أغضبَه ! فقال : هذا الناظفيّ والله ، لولا أنّي لم أجُرّ في حكم قطّ متعمداً لجعلتُ على كلّ جبلٍ منه قطعةً ، وما لي في جاريته أربّ غير الشعر ، فذكرتُ رسالة أمِّ جعفر ، فقلتُ له ، أجلّ والله ما فيها غير الشعر ، أفيسرّ أمير المؤمنين أن يجامع الفرزدق ؟ فضحك حتى استلقى ، واتّصل قولي بأمّ جعفر فأجزلتُ لي الجائزة .

1 التّختر: غشيان النفس .

2 أريغ : أطلب .

[الرشيد يلج في طلبها]

أخبرني عمي والحسن بن علي ، قالا : حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات ، قال : حدثني محمد بن هارون ، عن يعقوب بن إبراهيم : أن الرشيد طلب من الناطفي جاريتَه ، فأبى أن يبيعها بأقل من مائة ألف دينار ، فقال : أعطيك مائة ألف دينار على أن تأخذ بالدينار سبعة دراهم ، فامتنع عليه ، وأمر أن تُحمَلُ إليه ، فذكروا أنها دخلت مجلسه ، فجلست في هيئتها تنتظره فدخل عليها ، فقال لها : ويلك ! إن هذا قد اعتاص علي في أمرِك ، قالت : وما يمنعك أن توفيه وترضيه ؟ فقال : ليس يقنع بما أعطيه ، وأمرها بالانصراف . فبلغني أن الناطفي تصدق بثلاثين ألف درهم حين رجعت إليه ، فلم تزل في قلب الرشيد حتى مات مولاها ، فلما مات بعث مسروراً الخادم ، فأخرجها إلى باب الكرخ ، فأقامها على سرير وعليها رداء رشيدِي قد جللها ، فنوديَ عليها : من يزيد ؟ بعد أن شاور الفقهاء فيها ، وقال : هذه كبد رطبة ، وعلى الرجل دين ، فأشاروا ببيعها ، قال : فبلغني أنها كانت تقول ، وهي في المصطبة : أهان الله من أهانني ، وأذل من أذلني ، فلكرها مسرور بيده ، وبلغ بها مسرور مائتي ألف درهم ، فجاء رجل ، فقال : علي زيادة خمسة وعشرين ألف درهم ، فلكره مسرور ، وقال : أتزيد على أمير المؤمنين !

ثم بلغ بها مائتين وخمسين ألفاً ، وأخذها له قال : ولم يكن فيها شيء يعاب ، وطلبوا لها عيباً لثلاً تصيبها العين ، فأوقعوا بخنصر رجلها شيئاً . وأولدها ابنين ، قال : أظنهما ماتا صغيرين ، ثم خرج بها إلى خراسان ، فمات هناك وماتت عنان بعده .
[أبو نواس يُشَبُّ بها]

قال : وأنشدنا لأبي نواس في قصيدة يمدح بها يزيد بن يزيد ويذكر عنان في تشبيها :

عنان يا من تشبه العينا أنتِ على الحب تلومينا
حسبك حسن لا أرى مثله قد ترك الناس مجانينا

[بينهما وبين العباس بن الأحنف]

أخبرني عمي : قال : حدثنا الحسن بن عليل العنزي : قال : حدثني أحمد بن القاسم العجلي : قال : حدثني أبو القاسم النخعي قال : كان العباس بن الأحنف يهوى عنان جارية الناطفي ، فجاءني يوماً ، فقال : امض بنا إلى عنان جارية الناطفي ، فصرنا إليها ، فرأيتها

كالمهاجرة له ، فجلسنا قليلاً ، ثم ابتداءً العباس فقال :

[من مجزوء الرمل]

قال عباسٌ وقد أُجِّدُ هِد من وجدٍ شديدٍ
ليس لي صبرٌ على الهَجِّدِ رٍ ولا لَدَعِ الصُّدُودِ
لا ولا يَصْبِرُ للهَجِّدِ رٍ فوَادٌ من حَدِيدِ

فقالت عنان :

[من مجزوء الرمل]

مَنْ تراهُ كانَ أغنى منكَ عن هذا الصدودِ
بعد وصلٍ لكَ مني فيه إرغامُ الحَسودِ
فَاتَّخَذَ للهَجْرِ إن شئ تَ فوَاداً من حَدِيدِ
ما رأيناكَ على ما كنتَ تَجني بِجَلِيدِ

فقال العباس :

[من مجزوء الرمل]

لو تجودينَ لَصَبِّ راحَ ذا وجدٍ شديدٍ
وأخي جهلٍ بما قد كانَ يَجني بالصدودِ
ليسَ منَ أحدثَ هَجْراً لصديقٍ بسديدِ
ليسَ منه الموتُ إن لَمْ تَصليهِ بِبَعِيدِ

قال : فقلتُ للعباس : ويحك ! ما هذا الأمرُ ؟ قال : أنا جنيت على نفسي بتأبهي عليها ، فلم أبرحُ حتى ترضيتُها له .

[أبو نواس يبغض الرشيد فيها]

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ : قال : حدَّثنا الحارثُ بن يحيى بن حمَد بن أبي مَيَّة : قال : حدَّثني يحيى بن محمد : أنَّ الرشيد كان يساوم بعنانَ جارية النُّطَافِي ، فبلغ ذلك أمَّ جعفر ، فسقَّ عليها ، فدسَّت إلى أبي نواس أن يحتالَ في أمرها فقال يهجوها :

[من السريع]

إنَّ عِنانَ النُّطَافِي جاريةٌ أصبحَ حرَّها لِلنَّيْكِ مِيدانا
ما يشتريها إلاَّ ابنُ زانية أو قَلْطَبانٌ يكونَ منَ كانا¹

1 القرطبان والقلطبان : الديوث الذي لا غيره له .

فبلغ ذلك الرشيد ، فكان يقول : لعن الله أبا نواس ، وقبحه فلقد أفسد عليّ لذتي في عنان
بما قال فيها ، ومنعني من شرائها .

صوت

[من السريع]

ما لي وللخمير وقد أعرشت مني يميني هاتِ باليسرى
حتى تراني مائلاً مُسنداً لا أستطيع الكأسَ بالأخرى
الشعر للحسن بن وهب ، والغناء لعبد الله بن العباس الربيعيّ ، خفيف ثقيل بالوسطى ،
وفيه أيضاً له خفيف رمل بالنصر .

[506] - أخبار الحسن بن وهب¹

[نسبه]

هو الحسن بن وهب بن سعيد ، كاتب شاعر مترسل فصيح أديب ، وأخوه سليمان بن وهب فحل من الكتاب ويكنى أبا علي ، وهو عريق في الكتابة ، ولأولاده نجابة مشهورة تستغني عن وصف ذلك ، وكانوا يقولون إنهم من بني الحارث بن كعب ، وأصلهم نصارى ، وفي بني الحارث نصارى كثير .

[قول البحري فيه]

وفي الحسن بن وهب يقول البحري :
يا أخا الحارث بن كعب بن عمرو
أشهوراً تصوم أم أياما
[من الخفيف]

وكان البحري مداحاً لهم ، وله في الحسن ، وقد اجتاز بمنزله بعد وفاته : [من الوافر]
أناة أيها الفلك المدار
أنهب ما تطرق أم جبار
نزلنا منزل الحسن بن وهب
وقد درست مغانيه القفار
يقول فيها يصف صبوحة كانوا قد اصطبحوه :

أقمنا ، أكلنا أكل استلاب
هناك وشربنا شرب يدار
تنازعنا المدامة وهي صيرف
وأعجلنا الطبايح وهي نار
ولم يك ذلك سخفاً غير أنني
رأيت الشرب سخفهم الوقار

أخبرني الصولي ، وذكر ذلك عن جماعة من الكتاب : أن الحسن بن وهب كان أشدّ تمسكاً بالنسب إلى بني الحارث بن كعب من أخيه سليمان ، وكان سليمان يُنكر ذلك ، ويعاتب عليه أخاه الحسن وابنه أحمد بن سليمان . وأصلهم من قرية من سواد واسط في جسر سابور يقال لها «سارقيقا» .

1 أنظر أخباره في : الفهرست : 136 ، والسمط 506 وابن خلكان 2 : 15-18 ومصورة ابن عساكر 4 : 604 وتهذيب ابن عساكر 4 : 256 والوافي 12 : 297 والقوات 1 : 367 وفي معجم الأدياء

[يتباهون بحفظ أشعاره]

أخبرني عمي : قال : حدثني عمر بن نصر الكاتب ، وكان من مشايخ الكتاب بسراً من رأى ، قال : كنا نتهادى ونحن في الديوان أشعار الحسن بن وهب ، وتباهى بحفظها ، قال : وأنشدني له ، وكتب بها إلى أخيه سليمان بن وهب من مدينة السلام وهو محبوس في أيام الوراق :

خطبُ أبا أيوبَ جلَّ محلُّه فإذا جزعتَ من الخطوبِ فمن لها
إنَّ الذي عَقَدَ الذي انعقدتَ به عَقْدُ المكارهِ فيكَ يُحسِنُ حلَّها
فاصبرْ لعلَّ الصبرَ يفتِّقَ ما ترى وعسى بها أن ينجلي ولعلَّها

قال : وكتب إليه أيضاً وهو في الحبس بسراً من رأى : [من الطويل]

خيلكي من عبد المدان تروحا ونصاً صدور العيس حسرى وطلحا¹
فإن سليمان بن وهب ببلدة أصاب صميم القلب مني فأقرحا
أسائلُ عنه الحارسين لحسه إذا ما أتوني : كيف أمسى وأصبحا
فلا يهنىء الأعداء أسر ابن حررة يراه العدا أندى يميناً وأسمحا
وأنهض للأمر الجليل بعزيمة وأقرع للباب الأصم وأفتحا

أخبرني محمد بن يحيى الصولي : قال : حدثني محمد بن موسى بن حماد : قال : وجه الحسن بن وهب إلى أبي تمام وهو بالوصل خلعاً فيها خز ووشي ، فامتدحه بقصيدة أولها :

أبو عليٍّ وسيميُّ منتجعهُ فأحلُّ بأعلى واديه أو جرعه
ثم وصف الخلعة فقال :

وقد أتاني الرسولُ بالليس الفخ سم لصيف امرئٍ ومُرْتَبِعُهُ
لو أنها جُلَّتْ أويساً لقد أسرعَ الكبرياء في ورعِهِ
رائقُ خَزٍّ أجيدَ سايرُهُ سَكَبُ تدين الصبا المَدْرِعُهُ
وسرُّ وشيِّ كأنَّ شعريَّ أحيا نأ نسيبُ العيونِ من بدعِهِ

تركتني ساهر الجفونِ على أزلْمِ دهرٍ بْحُسْنِهَا جَدَعَهُ

يعني الدهرَ ، والدهر يقال له : الأزلْمُ الجدَعُ ، والأزلْمُ : الطويل ، والجدَعُ : الجديد :
يقول : هو قديم سالف ، ويومُهُ جديد ، قال لقيطُ الإياديّ : [من البسيط]

يا قوم بيضتكم لا تفضحنَّ بها إني أخاف عليها الأزلْمُ الجدَعاً¹

[موقفه من سجن أخيه]

أخبرني الصوليّ : قال : حدّثنا محمد بن يزيد المبرد قال : لما حبس محمد بن عبد الملك
الزيات سليمان بن وهب ، وطالبه بالأموال وقت نكبته قال الحسن بن وهب : [من الطويل]

خليليّ من عبد المدان تروّحاً ونصّاً صدور العيسِ حَسْرَى وطلّحاً

فإنّ سليمان بن وهبٍ بمنزلٍ أصاب صميم القلب مني فأقرحاً

أسائل عنه الحارسيّين لحبسه إذا ما أتوني كيف أمسى وأصبحاً

فلا يُهنئ الأعداء حبسُ ابنِ حرّةٍ يراه العدا أُندي يميناً وأسماحاً

وقولا لهم صبراً قليلاً وأصبحوا فما أقرب الليلَ البهيمَ من الضّحاً

قال : وقيل له وسليمانُ محبوسٌ : كيف أصبحتَ ؟ قال . أصبحتُ والله قليلُ
النشاط ، كالّ القريجة ، صدّىءُ الذهن ، ميّت الخاطر من سوء فعل الزّمان ، وتواردُ
الأحزان ، وتغيّر الإخوان ، قال : وآلى الألاً يذوقَ طعاماً طيباً ، ولا شرب ماء بارداً ، ما
دام أخوه محبوساً ، فوفّى بذلك .

[من قوله في حاج]

أخبرني الصوليّ : قال : أخبرني أبو الأسود : قال : كان للحسن بن وهب جارٌّ هاشميّ ،
يلقّب بالطير ، فحجّ سنةً من السنين ، ورجع آخر الناس ، فقال فيه الحسنُ : [من الوافر]

أينقصُ أم يزيدُ من الرقاعةِ أخو حُمَيّ له الدُّنيا مشاعهُ

يحجّ على الجمالِ ولو تجلّى ملكةُ جاءها في بعضِ ساعةِ

[الدمع حزن محلول]

أخبرني الصوليّ : قال : حدّثنا الطالقانيّ : قال : حدّثنا أحمد بن سليمان بن وهب . قال :
رآني عمّي الحسن ، وأنا أبكي لفراقِ بعضِ الأبيّ فقال : [من السريع]

1 بيضة البلد : السيّد وبيضة القوم : أصلهم .

ابكُ فما أنْفَع ما في البكا
وهو إذا أنْت تأمَّلتَه
لأنَّه للوجد تَسهيلُ
حزن على الخَدَّين مَحلولُ

[لأنته عن خلق]

أخبرني الصوليُّ : قال : حدَّثنا علي بن الصَّبَّاح : قال بلغ الحسن بن رجاء أنَّ الحسن بن وهب عابه بحُبِّ العِلمان ، وكان الحسن بن وهب أشدَّ حُبًّا لهم منه ، فقال : مثلي ومثله كما قال حسان بن ثابت :

[من الطويل]

وإني لأغنى الناس عن فضلِ صاحبٍ
يرى الناس ضلَّالاً وليس بمُهتدٍ

[المسؤول أحوج من السائل]

أخبرنا محمد : قال : حدَّثنا الحزَنبَل : قال : كتب رجل إلى الحسن بن وهب يستمِحه ، فوقع في رُقعته :

[من البسيط]

الجودُ طَبِعي ولكن ليس لي مالُ
فكيف يَحْتالُ مَنْ بالرَّهْنِ يَحْتالُ

[نكره النار]

أخبرني الحسن بن عليُّ : قال : حدَّثني محمد بن موسى بن حمَّاد : قال : كنت أكتبُ في حدائتي بين يدي الحسن بن وهب ، وكان شديد الشَّغفِ بينات جارية محمد بن حمَّاد كاتب راشد ، فكنا يوماً عنده ، وهي تُغَنِّي ، وبين أيدينا كائونُ فحم ، فتأذت به ، فأمرتُ أن يباعَدَ ، فقال الحسن :

[من الكامل]

بأبي كرهتِ النارَ حتى أبعدتُ
هي ضرةٌ لك بالتماعِ ضيائها
فعلمتُ ما معنالكِ في إبعادها
وأرى صنيعك في القلوبِ صنيعها
وبحسن صورتها لدى إبعادها
شركتك في كلِّ الجهاتِ بحسنها
في شوكتها وسيلها وقتادها¹
وضيائها وصلاحتها وفسادها

[تفاجئه بنات]

أخبرني الصوليُّ : قال : حدَّثني الحسين بن يحيى : قال : كنا عند الحسن بن وهب ، فقال : لو ساعدنا الدَّهر لجاؤنا بناتُ ، فما تكلم بشيء حتى دخلتُ ، فقال : إني وإياك لكما قال علي بن أمية :

[من الكامل]

1 السَّيَّال : شجر سبط الأغصان عليه شوك أبيض ، وقيل إنه ما طال من السَّمر .

وفاجأتني والقلب نحوك شاخص
وذكرك ما بين اللسان إلى القلب
فيا فرحة جاءت على إثر ترحة
ويا غفلتنا عنها وقد نزلت قربي

[تخونه شجاعته أمام بنات]

قرأت في بعض الكتب : دخلت يوماً بنات على الحسن بن وهب ، وهو مخمور ،
فسلمت عليه ، وقبلت يده ، فأراد تقبيل يدها ، فمنعته فرعش ، فقال : [من الطويل]

أقول وقد حاولت تقبيل كفها
وبي رعدة أهتز منها وأسكن
فديتك إنني أشجع الناس كلهم
لدى الحرب إلا أنني عنك أجبن

[بنات داؤه ودواؤه]

أخبرني الصولي : قال : حدثني محمد بن موسى : قال : جاءت بنات تسأل الحسن بن
وهب من علة نالته ، فحين رآها دعا برطل ، فشربه على وجهها ، وقال : قد عوفيت ،
فأقيمي اليوم عندي ، فأبت وقالت : عند مولاي دعوة ، فأمر بإحضار مائتي دينار ،
فأحضرت فقال : هذه مائة لمولاك ، فابعثي بها إليه ومائة لك ؛ فقالت : أما هو فأبعث
بمائة إليه ؛ وأما أنا فوالله لا أخذت المائة الأخرى ، ولأنصدقن بمثلها لعافيتك ولكن
أكتبُ إليه رقعة تقوم بعذري ؛ فأخذ الدواة ؛ وكتب إلى مولاها : [من الخفيف]

ضرة الشمس والقمر
متعيني بجلسة
أشترها إن بعته
أذهب السقم سقم طر
فأديمي السرور لا
ليس يُبقي عليَّ حب
وأنا منه فأنعمي
وتغني فذاك كل
ربع سلمى بذي بقر
متعيني من النظر
منك يا أحسن البشر
يها بسمعي وبالبحر
فك ذي الغنج والحور
تمزجي الصفو بالكدر
ك هذا ولا يذر
بمقام على خطر
مغن لكى أسر
عرضة الريح والمطر

[عمه يحبّ بنات]

حدّثني أبو إسحاق بن الضحاك عن أحمد بن سليمان ، والحكايتان متفقتان متقاربتان ، أخبرني الصوليّ : قال : حدّثني الحسين بن يحيى : قال : حدّثني أحمد بن سليمان بن وهب قال : قال لي أبي : قد عزمت على معاتبة عمك في حبّه لبنات ، فقد شهّر بها وافتضح ، فكُن معي ، وأعني عليه ، وكان هواي مع عمّي ، فمضيتُ معه فقال له أبي ، وقد أطال عتابه : يا أخي ، جُعِلتُ فداك ! الهوى ألدُّ وأمتع ، والرأي أصوبُ وأنفع ، فقال عمّي متمثلاً :

[من الطويل]

إذا أمرتك العاذلاتُ بهجرها أبتُ كبدٌ عمّا يقلنَ صديعُ
وكيف أطيع العاذلاتِ وحبّها يُورّقني والعاذلاتُ هُجوعُ

[من الطويل]

فالتفت إليّ أبي ينظرُ ما عندي ، فتمثّلت :

وإني ليلحاني على فرطِ حبّها رجالٌ أطاعتهم قلوبُ صحاحُ

فنهض أبي مغضباً وضممني عمّي إليه ، وقبّلني ، وانصرفتُ إلى بناتٍ ، فحدّثتها بما جرى وعمّي يسمع ، فأخذتِ العودَ ، فغنّت :

[من الوافر]

يلومك في مودّتها أناسٌ لو أنّهم برأيك لم يلوموا

فيه ثقیل أول .

[عجوز لا تعود إلى لومه]

قال أحمد بن سليمان ، وعذّلتُه عجوزٌ لنا ، يقال لها : منى ، فقال لها : قومي ، فانظري إليها ، واسمعي غناءها ، ثم لوميني ، فقامت معه ، فرأتها ، وسمعت غناءها فقالت له : لستُ أعاودُ لومك فيما بعدَ هذا ، فأنشأ يقول :

[من الطويل]

ويومٍ سها عنه الزمانُ فأصبحتُ نواظره قد حار عنها بصيرها
خلوتُ بمن أهوى به فتكاملتُ سُعودٌ أدارَ النحاسَ عنّا مُديرها
أما تعذريني يا منى في صبايتي بمن وجهها كالشمس يلمع نورها

[تعمت الوسيلة بنات]

قال أحمد بن سليمان : كان لعمّي كاتب يعرف بإبراهيم : نصرانيٌّ يأنس به ، فسأل بناتَ مسألتها عمّي أن يجعل رزقه ألفَ درهم في الشهر ، فلما شرب أقداحاً ، وطربَ وتبّت قائمةٌ

وقالت : يا سيدي لي حاجة ، فوثب عمي ، فقام لقيامها ، فقالت : تجعل رزق إبراهيم ألف درهم في الشهر ، فقال : سمعاً وطاعة ، فجلست فأنشأ يقول :

قامت فقمت ولم أكن لو لم تقم لأجل خلقاً غيرها فأقوماً
شفعت لإبراهيم في أرزاقه فوددت أني كنت إبراهيماً
فأجبتها إني مطيع أمرها وأراه فرضاً واجباً محتوماً
ما كان أطيب يوماً وأسرّه لو لم يكن بفراقها محتوماً

قال : ثم إن عمي صار إلى أبي ، فأخبره الخبر ، فأمر أن يجعل لإبراهيم من ماله ألف درهم أخرى لشفاعتها .

[بنات لا تزوره في علته]

أخبرني الصولي : قال : حدثني إسماعيل بن الخصيب : قال : اعتل الحسن بن وهب فلم تعلم بنات بذلك ، وتأخرت عن عيادته ، فكتب إليها :

عليل أنتِ أعللتيه فلو أنك عللتيه
بوعد أن تزوريه إذا ما مُمكنُ نلتيه
قريباً لنفيت الداء عنه حين واعدته
وما ضرك لو جاء رسولُ منك أرسلته
فيحككي لك ما قال كما يحكي الذي قُلتيه
أما والله لو أن الـذي يُحمَلُ حُمَّلتيه
لما احتاج إلى التعلد ييم فيما قد تجاهلتيه

[في الشفانين الشفاء]

أخبرني الصولي : قال أحمد بن إسماعيل : قال : حدثني أحمد بن عبيد الله بن جميل : قال : أهدى الحسن بن وهب إلى بنات في علة اعتلتها هدايا حسنة وأهدى معها ققص شفانين¹ ، وكتب إليها :

شفاء أنين بالشفانين أملت لكم نفس من أهدى الشفانين عامداً

1 الشفانين : ضرب من الحمام جميل الصوت بهي المنظر .

كُلُّوْهَا يَكِلُ الداءِ عَنْكُمْ فَإِنِّي أَزورُكُمْ للشوق لا زرتُ عائداً

[يهجو سيدها]

أخبرني عمي : قال : حدثني ميمون بن هارون : قال : كتب الحسن بن وهب إلى بنات يوم الجمعة يستدعيها ، فكتبت إليه أن عند مولاها أصدقاءً له ، وقد منعها من المسير إليه ، فكتب إليها ثانياً يقول :

يومنا يوم الجمعة بأبي أن	تِ وَعِنْدَ الوضِيعِ لا كانَ قَوْمُ
سَفَلٌ مثله يسومونه الخس	فَ وَيرِضاه وهو للوعْدِ سَوْمُ
فامنعهم منك البشاشة حتى	يَتَغَشَّاهُمُ من البَرْدِ نَوْمُ
وليكن منك طول يومك لئلا	ه صلاةً إلى المساءِ وصَوْمُ
وارفعي عنهم الغناء وإن نا	لك عدلٌ من الوضِيعِ ولَوْمُ
واذكري مغرماً بحبك أمسي	هُمُ أن يُدِيلَه منك يومٌ ¹

[يصف البرق]

أخبرني عمي قال حدثني ميمون بن هارون ، قال : كان الحسن بن وهب يشرب عند محمد بن عبد الله بن طاهر ، فعرضت سحابة ، فبرقت ورعدت ، وقطرت ، فقال الحسن :

هطلتنا السماء هطلاً ذراكاً	عارض المرزمان فيها السماكاً ²
قلت للبرق إذ تألق فيها	يا زناد السماء من أوراكا
أحبياً نأيتَه فبكاكا	فهو العارضُ الذي استبكاكا
أم تشبهت بالأمر أبي العبد	اس في جوده فلست كذاكا

[بينه وبين ابن الزيات]

أخبرني عمي ، قال : حدثنا أبو العيلاء ، قال : طلب محمد بن عبد الملك الزيات الحسن بن وهب ، وكان قد اصطحب مع بنات فكتب إليه : يا سيدي ، أنا في مجلس بهي ، وطعام هنّي ، وشراب شهّي ، وغناء رضي ، أفأتحولُ عنه إلى كد الشقي ، ووثبت بنات لتقوم ، فردّها

1 أدالنا من عدونا : غلبنا عليه .

2 المرزمان : نجمان في السماء مع الشعريين .

وكتب :

[من المجتث]

ما بانَ عنكَ الذي يندُ تَ عنه لا عاشَ بَعْدَكَ
 إن لم يكن عنده الصب رُ والسألُو فَعِنْدَكَ
 وما وجدته إلا عبدَ الرجاءِ وعبدَكَ

[من المجتث]

فاستلمها الرسولُ ، ومضى بها إلى محمد ، فوقع فيها :

أبا عليٍّ أراك الإله في الأمرِ رُشدَكَ
 إن لم تكن عندي اليو مَ كنتُ بالشوقِ عندَكَ
 فاهدم محلّك عندي واجهَدْ لذلكِ جَهْدَكَ
 فلستُ أزدادُ إلا رعايَةَ لكِ وُدَّكَ
 وانعمَ بمنّ قلتَ فيها عبدَ الرجاءِ وعبدَكَ
 أزيلَ نحسُك فيها وأطاعَ اللهُ سَعْدَكَ

وردّ الرقعةَ إلى الحسن ، فلما قرأها خجل ، وحلفَ ألا يشربَ النبيذَ شهراً ، ولا يفارق

مجلسَ الوزير .

[آخر عهده بينات]

أخبرني عمي عن إبراهيم بن المدبر ، قال : ولدت بنات من مولاها ولدأ وسمته بإبراهيم ،

[من الخفيف]

فأبغضها الحسن بن وهب ، وكتبَ إليها :

تُجج المَهرة الهجانُ هجينا ثم سمى الهجينَ إبراهيميا
 بخليلِ الرحمنِ سميتَ عبدا أم قريعَ الفتيانِ ذاك الكريما

وبعثَ بالبيتين إليها ، وكان آخر عهده بها .

[بينه وبين أبي تمام]

أخبرني الصوليّ قال : حدثنا محمد بن موسى قال : كان الحسن بن وهب يعشق غلاماً

رومياً لأبي تمام ، وكان أبو تمام يعشقُ غلاماً خزرياً للحسن ، فرأى أبو تمام يوماً الحسنَ

يعبثُ بغلامه ، فقال له : والله لئن أعنقت إلى الروم لتركضن إلى الخزر ، فقال له الحسن : لو

شئت لحكمتنا واحتكمت ، فقال له أبو تمام : ما أشبهك إلا بدادود ، ولا أشبه نفسي إلا

بخصميّه ، فقال له : لو كان هذا منظوماً حفِظناه ، فأما المنشور فهو عارضٌ لا حقيقة له ، فقال

أبو تمام :

[من البسيط]

أبا عليٍّ لصرفِ الدهرِ والغيرِ
 أعندك الشمسُ لم يخطَ المغيبُ بها
 أذكرتني أمر داود وكتفتي
 إن أنت لم تترك السيرَ الحثيثَ إلى
 إن الغزال له مني محلُّ هوى
 ورُبُّ أَمْنَع منه جانباً وجمي
 جرّدتُ منه جنودَ العزمِ فأنكشفتُ
 سبحانَ من سبّحتَه كلُّ جارحةٍ
 أنت المقيمُ فما تعدو رواحلهُ
 وللحوادثِ والأيامِ والغيرِ
 وأنت مضطربُ الأحشاءِ للقميرِ
 مُصرفُ القلبِ في الأهواءِ والذُكرِ
 جاذرُ الرّومِ أعنقنا إلى الخزيرِ¹
 يحلّ مني محلّ السمعِ والبصرِ
 أمسى ولكنّه مني على خطيرِ
 منه غيابتها عن نكّة هدرِ
 ما فيك من طمّحانِ الأيرِ والنظرِ
 وأيرُهُ أبداً منه على سفرِ

[غلامه وغلام أبي تمام]

قال الصوليّ : فحدّثني أحمد بن إسحاق ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، قال : قلتُ لأبي تمام : غلامك أطوعٌ للحسن بن وهب من غلام الحسن لك ، قال : أجلُّ والله ؛ لأنّ غلامي يجد عنده ما لا يجده غلامه عندي ، وأنا أعطي غلامه قِيلاً وقِلاً ، وهو يعطي غلامي ثياباً ومالاً .

[ابن الزيات يتجسّس عليه]

أخبرني الصوليّ قال : حدّثني أبو الحسن الأنصاريّ ، قال : حدّثني أبي . وحدّثني الفضلُ الكاتبُ المعروف بفنجاج : أنّ الحسن بن وهب كان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات ، وهو وزيرُ الواثق ، وكان ابن الزيات قد وقف على ما بين الحسن بن وهب وبين أبي تمام في غلاميهما ، فتقدّم إلى بعض ولده ، وكانوا يجلسون عند الحسن بن وهب ، بأن يُعلموه بخبرهما ، وما يكون بينهما . قال : وعزم غلامُ أبي تمام على الحجامة ، فكتب إلى الحسن يُعلمه بذلك ، ويسأله التوجيه إليه بنبيذ مطبوخ ، فوجّه إليه بمائة دَنٍّ ومائة دينار ، وبخلعة حسنة وبخورٍ كثير ، وكتب إليه :

[من الخفيف]

ليت شعري يا أملح الناس عندي هل تداويت بالحِجامة بعدي
دفع الله عنك لي كلَّ سوء باكرٍ رائح وإن خنت عهدي
قد كتمتُ الهوى بمبلغ جهدي فبدا منه غير ما كنتُ أبدي
وخلعت العذار فليعلم النا س بأنِّي إِيَّاكَ أَصْفِي بُوْدِي
وليقولوا بما أُحِبُّوا إذا كن تَ وَصُولًا ولم ترُعني بصدِّ
مَنْ عذيري من مُقلتيك ومن إشد راق وجهه من دون حُمره خدِّ

قال : ووضع الرقعة تحت مُصلاه ، وبلغ محمد بن عبد الملك خبر الرقعة ، فوجه إلى الحسن ، فشغله بشيء من أمره ، وأمر من أخذ الرقعة من تحت مُصلاه ، وجاءه بها ، فقرأها ، وكتب في ظهرها :

[من الخفيف]

ليت شعري عن ليت شعرك هذا أبهزلٍ تقوله أم بجِدِّ
فلئن كنت في المقال مُحققاً يا ابن وهبٍ لقد تَغَيَّرت بعدي
وتشبهت بي وكنتُ أرى أنِّي أنا العاشقُ المتيمُّ وحدي
أتركُ القصدَ في الأمور ولولا غمراتُ الهوى لأبصرت رُشدي
وأحبُّ الأخ المشارك في الحبِّ وإن لم يكن به مثلُ وجدِي
كنديمي أبي عليٍّ وحاشا لنديمي مثل شِقوةِ وجدِي

صوت

إن مولاي عبد غيري ولولا شؤم جدِّي لكان مولاي عبدي
سيدي سيدي ومولاي من أو رثني ذلَّةً وأضرعَ خدي

في هذين البيتين الأخيرين لحن من الرمل ، أظنه لجحظة أو غيره من طبقته .

قال : ثم وضع الرقعة في مكانها ، فلما قرأها الحسن قال : إنا لله ! افتضحنا عند الوزير ، وحدثنا أبا تمام بما كان ، ووجه إليه بالرقعة ، فلقيا محمد بن عبد الملك ، وقال له : إنما جعلنا هذين سبباً للمكاتبة بالأشعار لا للريبة ، فتضحك وقال : ومن يظن بكما غير هذا ! فكان قوله أشدَّ عليهما من الخبرة .

[يتشاغل عن أبي تمام]

قرأتُ في بعض الكتب : كان الحسنُ بن وهب يعاشرُ أبا تمامَ عشرةً متصلةً ، فندب الحسنُ بن وهب للنظر في أمر بعض النواحي ، فتشاغلَ عن عشرةٍ أبي تمام ، فكتب إليه أبو تمام :

قالوا جفائك فلا عهدٌ ولا خبرٌ ماذا تراه دهاه ؟ قلتُ : أيلولُ
شهرٌ كأنَّ حبالَ الحجرِ منه فلا عقْدٌ من الوصلِ إلا وهو محلولُ

[من البسيط] فأجابه الحسن :

ما عاقني عنكَ أيلولُ بلذته وطيبه ولنعمَ الشهرُ أيلولُ
لكن توقعَ وشكَّ البينِ عن بليدٍ تحتله ووكاء العينِ محلولُ

[يهجو الغنوي وابن أبي داود]

وقرأتُ فيه : كان بين الحسنِ بن وهب وبين الهيثمِ الغنويِّ وأحمد بن أبي داود تباعدٌ ، فقال يهجوها :

سألتُ أبي وكانَ أبي خبيراً بسُكَّانِ الجزيرةِ والسَّوادِ
فقلتُ لهم : أهَيْثُمُ من غنيٍّ فقال كأحمدَ بنِ أبي داودِ
فإن يكُ هَيْثُمُ من جَذمِ قيسٍ فأحمدُ غيرَ شكٍّ من إبادِ

[مجالمة]

أخبرني عمِّي : قال : حدَّثني عُمر بن نصر الكاتب ، قال : كتب الحسنُ بن وهب إلى محمد بن معروف الواسطيِّ يسأله أن يصيرَ إليه فكتب إليه محمد :

وقيتك كلُّ مكروهٍ بنفسي وبالأذنينِ من أهلي وجنسي
أتأذن في التأخُّرِ عنكَ يومي على أن ليسَ غيرُكَ لي بأنسِ

[من الوافر] فأجابه الحسنُ بن وهب ، فقال :

أقيم لا زلتُ تُصبحُ في سرورٍ وفي نِعَمٍ مواصلةً وتُمسي
فما لي راحةً في حبسٍ من لا أراه يكونُ محبوساً بحبسي

وكان الحسنُ يومئذٍ معتقلاً في مُطالبةٍ يُطالب بها .
وجدتُ في بعض الكتب بغيرِ إسناد .

[صاحب غير مؤتمن]

كان الحسنُ بنُ وهب يعشق بناتَ ، جاريةَ محمد بن حمّاد الكاتب ، وكان له معها أخبارٌ كثيرة ، وكان لا يصبرُ عنها ، فقدم الحسنُ بن إبراهيم بن رباح من البصرة ، واتصل به خبرها ، ووصفها له الحسنُ بن وهب ، وصار به إليها ، فاتمّ ليلته معها ، ومرت بينهما أعاجيب ، ثم خالفه الحسنُ بن إبراهيم بن رباح ، وخاتله في أمرها ، فكتب إليه الحسنُ بن وهب :

لا جميلٌ ولا حسنٌ	خنتَ عهدي ولم أحنُ
كملتُ إذ فعلتَ هـ	لذا أعاجيبُ ذا الزمنُ
فإلى الله أشكّي	ما بقلبي من الحزنُ
رُبَّ شكوى من الصديـ	قٍ إلى غير ذي شجنُ
بأبي أنتَ يا حسنُ	يا أخوا الطولِ والمينُ
أيُّ رأيٍ أراك نختـ	لي في الشادينِ الأغنُ
يتخطّى إليه ذو	ني في حالِكِ الدُجنُ
فترى منه سنةً	تعالى عن السننُ
مع كشفي لك الحديدِ	ث الذي عنك لم يُصنُ
واعتمادي زعمتُ منـ	ك على أحصنِ الجننُ
وعلى خيرِ صاحبٍ	وعلى خيرِ ما سكنُ
خجلي من إساءةٍ	فضحتَ حسنَ كلِّ ظنّ
ثم ممّن جرّتُ إلى	من وفيمّن وعند من
إن تكنُ تلك هفوةً	فهي كالشيء لم يكنُ
أو تكن بعثَ خلّتي	بموافٍ من الثمنُ
درةً البحرِ من عدنّ	ذخر سيفِ بن ذي يزنُ
لم يكن قطُّ مثلها	في معدٍّ ولا عدنّ

فتغافل عن جوابه ، وأقام على مواصلتها وسماعها وحظر عليها ، فلم يكن الحسنُ بن وهب يلقاها ، فغلظ ذلك عليه ، وكتب إليها بهذه الآيات :

[من الكامل]

أنكرت معرفتي جعلتُ لك الفدا
 أنا ذو منعتِ جفونه أن ترفدا
 وبريت لحم عظامه فتجردا
 أنا ذا فإن لم تعرفيني بعد ذا
 أشكو إلى الله الفؤاد المقصدا
 وغريرة ما كنتُ من إشفاقها
 يا ظبية في روضة مؤلّية
 هل تجزين الودّ مني مثله
 إنني وإن جعل القريضُ يجولُ بي
 لعلّي يقين أن قلبك موجعُ
 وكما علمت إذا لبست المجسدا
 وحبوت جيدك من حليلك عسجداً
 وشكوت وجدك في الغناء شكايةً
 سيما إذا غنيتني بتعمدٍ
 أثوى فأقصر ليلةً ليزودا

[صاحبه يرثي لحاله]

فوقعت الأبيات في يد ابن رباح فقرأها ، وعلم أنه قد بلغ منه . فكتب إليه : [من الطويل]

فدى لك قصداً من ملامك لي قصداً
 فلا والذي أمسيتُ أدعى له عبداً
 فأعظم به عندي وأكرم به عهداً
 من الإثم ما حاولتُ هزلاً ولا جدّاً
 ويكسبني منك المودة والحمداً

أرى الغيَّ إن أومأت للغَيِّ طاعةً
 وأسعى لما تسعى وأتبعُ ما ترى
 إذا أنا لم أمتحك صفوَ مودتي
 ومن ذا الذي أرى وأشكرُ والذي
 وأنتِ ثِمالي والمعولُ والذي
 وآثرُ خلقِ الله عندي ومن له
 فلا تحسبني مائلاً عن خليقتي
 معاذ إلهي أن أرى لك خاذلاً
 بأحسن من أبصرتُ شخصاً وصورةً
 بمالكية أمري وإن كنتُ مالكاً
 إذا سألتني أن أقيم عشيّةً
 تراشيفني صفوَ المودّة تارةً
 فنتعتُ بها لما وثقتُ بحبها
 ولو بُدلتُ لي جنّة الخلد منزلاً

[الحسن يكتب إليها]

فلما قرأها الحسن بن وهب علم أنه نديم فكتب إليه : [من مجزوء الخفيف]

حسنٌ يشكو إلى حسن
 وهوى أمست مطالبه
 وحيبٌ في محلته
 فإذا ما رام زورته
 عجباً للشمس لم ترها
 أتراها بعدنا صرمت
 فقديماً كان مطلعها
 فقد طعم النوم والوسن
 قرنت بالأس في قرن
 معه في الدار لم يبين
 فهو كالغادين في الظعن
 مقلتي حولاً ولم ترني
 حبنا هذا من اليمن
 بيدي سيف بن ذي يزن

[من المديد]

فكتب إليه ابن رباح :

حَسَنٌ يَفِدِي بِمُهْجَتِهِ حَسَنًا مِنْ حَادِثِ الزَّمَنِ
وَيَقِيهِ مَا تَضَمَّنَهُ مِنْ دَخِيلِ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ
هَاكَ عَيْنِي فَاكِ وَاقِيَةً عَيْنِكَ الْعَبْرَى عَلَى الشَّنَجَنِ
وَفُوَادِي فَاْمَلُهُ حَزَنًا مِنْ صُرُوفِ الْهَمِّ وَالْفَتَنِ
إِنْ تَكُنْ شَمْسُ الضُّحَا حُجِبَتْ عَنْ سَلِيلِ الْمَجْدِ مَنْ يَمَنِ
فَهِيَ حَيْرَى عَنْ مَطَالِعِهَا فِي سَوَى قَوْمِ ابْنِ ذِي يَزَنِ

[رواية عن عشقه]

ثم اعتذر إليه ، ورجع إلى معاشرته ، وكان لا يحضر دار محمد بن حماد ، ولا يسمع غناء بنات جاريتيه إلا مع الحسن بن وهب لا يستأثرُ بها عليه .

وقال محمد بن داود الجراح : حدّثني بعض أصحابنا : أنّ الحسن بن وهب ، أتى أبا إسحاق إبراهيم بن العباس مستعدياً على أبي محمد الحسن بن مخلد في أمر بنات جارية محمد بن حماد ، وكان الحسن بن وهب يتعشّقها ، فأفسدها عليه الحسن بن مخلد ، ولم يذكر محمد بن داود من خبرهما غير هذا . وإنّما ذكرت هذه القصة على قلة الفائدة فيها ليتضح خبره مع بنات إذ كان ما مضى ذكره من خبرها لم يقع إليّ بروايته .

[أبو تمام يستسقيه]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدّثني عبد الرحمن بن أحمد ، قال : وجدت بخطّ محمد بن يزيد : كتب أبو تمام إلى الحسن بن وهب يستسقيه نبياً : [من الوافر]

جَعَلْتُ فِدَاكَ عَبْدَ اللَّهِ عِنْدِي بَعْقَبِ الْهَجْرِ مِنْهُ وَالْبَعَادِ
لَهُ لَمَةٌ مِنَ الْكُتَابِ بِيضٌ قَضَوْا حَقَّ الزِّيَارَةِ وَالْوِدَادِ
وَأَحْسِبُ يَوْمَهُمْ إِنْ لَمْ تَجِدْهُمْ مُصَادِفُ دَعْوَةٍ مِنْهُمْ جَمَادِ
فَكَمْ يَوْمٍ مِنَ الصَّهْبَاءِ سَارٍ وَآخَرَ مِنْكَ بِالْمَعْرُوفِ غَادِ
فَهَذَا يَسْتَهْلُ عَلَى غَلِيلِي وَهَذَا يَسْتَهْلُ عَلَى تِلَادِي
فَيْسِقِي ذَا مَذَانِبَ كُلِّ عِرْقٍ وَيَنْزِعُ ذَا قَرَارَةَ كُلِّ وَادِ
دَعْوَتُهُمْ عَلَيْكَ وَكُنْتَ مِمَّنْ نَعِيْنُهُ عَلَى الْعُقَدِ الْجِيَادِ

[هو وأبو تمام يزوران أبا نهشل]

قال : فوجّه إليه بمائة دينار ومائة دنّ نبيذاً .

قال محمد بن داود بن الجراح : زار الحسن بن وهب وأبو تمام أبا نهشل بن حُميد ، فبدأ أبو تمام ، فقال :

أَعْصَكَ اللهُ أبا نَهْشَلِ

ثم قال للحسن أجزّ : فقال :

بِخَدِّ رِيمِ شَادِنِ أَكْحَلِ

ثم قال : أجزّ يا أبا نهشل ، فقال :

نَطْمَعُ فِي الْوَصْلِ فَإِنْ رَمْتَهُ صَارَ مَعَ الْعَيُوقِ فِي مَنَزَلٍ¹

[من كسبه إلى أبي تمام]

أخبرني جعفر بن محمد بن قدامة بن زياد الكاتب : قال : كتب الحسن بن وهب إلى أبي تمام ، وقد قدم من سفر : جُعِلَتْ فِدَاؤُكَ وِوَقَاءُكَ وَأَسْعَدَنِي اللهُ بِمَا أَوْفَى عَلَيَّ مِنْ مَقْدَمِكَ ، وَبَلَغَ الْوَطْرُ كُلَّ الْوَطْرِ بِانْضِمَامِ الْيَدِ عَلَيْكَ . وَاحْطَاةُ الْمَلِكِ بِكَ ، وَأَهْلًا وَسَهْلًا ، فَقَرَّبَ اللهُ دَارًا قَرَبْتِكَ ، وَأَحْيَا رِكَابًا أَدَّتْكَ ، وَسَقَى بِلَادًا يَلْتَقِي لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا عَلَيْكَ ، وَجَعَلَكَ اللهُ فِي أَحْسَنِ مَعَاqِلِهِ ، وَأَيَقِظُ مَحَارِسِهِ وَأَبْعِدُهَا عَلَى الْحَوَادِثِ مَرَامًا بِرَحْمَتِهِ .

[يدافع عن أبي تمام]

أخبرني الحسن بن علي : قال : حدّثنا محمد بن موسى : قال : قال رجل للحسن بن وهب : إنَّ أبا تمام سَرَقَ مِنْ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ مُكَنَّفٌ مِنْ وَلَدِ زَهِيرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

كَأَنَّ بَنِي الْقَعْقَاعِ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومُ سَمَاءِ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ

تُوْفِّيتِ الْأَمَالَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَأَصْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ السَّقْرِ السَّقْرُ

فقال الحسن : هذا دِعْبِلُ حِكَاةٍ ، وَأَشَاعَهُ فِي النَّاسِ ، وَقَدْ كَذَبَ ، وَشَعْرُ مَكْنِفٍ عِنْدِي ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ ، وَأَخْرَجَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ بَعِينَهَا ، فَقَرَأَهَا الرَّجُلُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئًا مِمَّا قَالَهُ أَبُو تَمَامٍ فِي قَصِيدَتِهِ : ثُمَّ دَخَلَ دَعْبِلُ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أبا عَلِيَّ ، بَلَّغْنِي أَنَّكَ قَلْتَ فِي أَبِي

تَمَّامَ كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَهَبَهُ سَرَقَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ كُلَّهَا ، وَقَبَلْنَا قَوْلَكَ فِيهِ ، أَسْرَقَ شَعْرَهُ كُلَّهُ ؟
أَتَحْسِنُ أَنْتَ أَنْ تَقُولَ كَمَا قَالَ :

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقَوْتُ مَغَانِيكُمْ بَعْدِي وَمَحَّتْ كَمَا مُحَّتْ وَشَائِعٌ مِنْ بُرْدٍ¹
وَأَنْجَدْتُمْ مَنْ بَعْدَ إِتْهَامِ دَارِكُمْ فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدٍ

فَانخِزْ دِعْبِلَ وَاسْتَحْيَا ، فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ : النَّدْمُ تَوْبَةٌ ، وَهَذَا الرَّجُلُ قَدْ تَوَفَّى ، وَلَعَلَّكَ كُنْتَ تُعَادِيهِ فِي الدُّنْيَا حَسْداً عَلَى حِظِّهِ مِنْهَا ، وَقَدْ مَاتَ الْآنَ ، فَحَسِبُكَ مِنْ ذَكَرِهِ ، فَقَالَ لَهُ :
أَصْدَقُكَ يَا أَبَا عَلِيٍّ ، مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ قَطُّ إِلَّا أَنِّي سَأَلْتُهُ أَنْ يَنْزِلَ لِي عَنْ شَيْءٍ اسْتَحْسَنْتُهُ
مِنْ شَعْرِهِ ، فَبَخِلَ عَلَيَّ بِهِ ، وَأَمَّا الْآنَ فَأَمْسِكُ عَنْ ذَكَرِهِ ، فَجَعَلَ الْحَسَنُ يَضْحَكُ مِنْ قَوْلِهِ
وَاعْتَرَفَهُ بِمَا اعْتَرَفَ بِهِ .

[اليزيدي يهجو محمد بن حماد]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ : قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّخَعِيُّ : قَالَ كَسَبَ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ حَمَّادِ الْكَاتِبِ يَهْجُوهُ ، وَيَعْبِرُهُ بِعَشْقِ
الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمِ بْنِ رَبَاحٍ وَالْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ جَارِيَتِهِ وَتَغَايُرَهُمَا عَلَيْهَا : [من الخفيف]

لِي خَلِيطَانُ مُحْكَمَانِ يُجِيدَا نِ لِمَا يَعْمَلَانِهِ حَاذِقَانِ
وَاحِدٌ يَعْمَلُ الْقِسِيَّ فَيَأْتِي كَ بَهَا فِي اسْتِقَامَةِ الْمِيزَانِ
وَفَتَى يَعْمَلُ السَّكَائِينَ فِي الْقَرِّ نِ مَقَرٌّ بِحَدَقِهِ الثَّقْلَانِ
وَهُمَا يَطْلُبَانِ قَرْنًا عَلَى رَأْسِ كَ فَانظُرْ فِي بَعْضِ مَا يَسْأَلَانِ
قَلْتُ : هَلْ يُؤَلِّمُ الْفَتَى قَطْعُ مَا فِيهِ هَ تَرِيدَانِ أَيُّهَا الْفَتَيَانِ
فَأَجَابَا بِلُطْفِ قَوْلٍ وَفَهَّمِ قَمَ فَإِنَّا إِذَا لِنُوكِي مَدَانِ²
فَاقْطَعِ الْآنَ مَا بِرَأْسِكَ مِنْهَا إِنْ فِيمَا تَرَى لِحَضُّ بَيَانِ
ذَاكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُسَمَّى اسْمَ سَوْءٍ فَيَقَالُ انظُرُوا إِلَى الْقَرْنَانِ³

1 الوشيعة : المكوك .

2 نوكي : جمع أنوك .

3 القرنان : الديوث .

صوت

[من الكامل]

قد كان عتبك مرّةً مكنوما فاليوم أصبحَ ظاهراً معلوما
نال الأعداي سؤلهم لا هئتوا لما رأونا ظاعناً ومُقيماً
والله لو أبصرتني لأدّيتَ لي والدمع يجري كالجمانِ سُجوما¹
هيني أسأتُ فعادةً لك أن تُرى مُتجاوزاً مُطاولاً مَظَلوما

الشعر لأحمد بن يوسف الكاتب ، والغناء لعبيد بن الحسن الناطفي اللطفي ، ثاني ثقيل
بالوسط ، وفيه خفيف رمل يقال : إنه لَرَذَاذ ، وفيه ثقيل أول مجهول .

[507] - أخبار أحمد بن يوسف¹

[اسمه ونسبه]

هو أحمد بن يوسف بن صبيح الكاتب ، وأصله من الكوفة ، وكان مذهبه الرسائل والإنشاء ، وله رسائل معروفة ، وكان يتولّى ديوان الرسائل للمأمون ، ويكنى أبا جعفر ، وكان موسى بن عبد الملك غلامه وخريجّه ، فذكر محمد بن داود بن الجراح أنّ أحمد بن سعيد حدّثه عن موسى بن عبد الملك : قال : وهب لي أحمد بن يوسف ألف درهم تفاريق عن ظهر يد .

[أخوه القاسم يمدح البهائم ويرثيها]

وأخوه القاسم بن يوسف أبو محمد شاعر مليح الشعر ، وكان ينتمي إلى بني عجل ، ولم يكن أخوه أحمد يدعي ذلك .
وكان القاسم قد جعل وكّده² في مدح البهائم ومراثيها فاستغرق أكثر شعره في ذلك ، منها قوله يرثي شاة :

عينُ بكّي لعزنا السوداء كالعروس الأدماء يوم الجلاء³[من مجزوء الرمل] وقوله في الشاهمرك⁴ :

أقفرت منك أبا سعدٍ عِراضٍ وديارٍ

[من المتقارب] وقوله في السنور :

ألا قلّ لمجةً أو ماردةً تبكي على الهرة الصائدة

1 انظر أخباره في : كتاب بغداد لابن أبي طاهر : 128 وتاريخ بغداد 5 : 216 والجهشياري : 304 والفهرست : 139 ومصورة تاريخ ابن عساكر 2 : 287 وتهذيب ابن عساكر 2 : 124 ومختصر ابن منظور 2 : 330 وبغية الطلب 2 : 148 والوافي 8 : 279 وفي معجم الأدباء 2 : 560-569 .

2 الوكد : المراد والهم .

3 الأدماء : البيضاء .

4 الشاهمرك : الدجاج قبل أن يبيض .

وقوله في القُمريّ : [من المجتث]

هل لامرئ من أمانٍ من طارق الحدّثانِ

[يتبى جارية للمأمون]

أخبرني محمد بن خلف وكيع : قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد : قال : حدّثني رجل من ولد عبد الملك بن صالح أنّ الهشاميّ قال : كان أحمد بن يوسف قد تبنى جارية للمأمون اسمها مؤنسة ، فأراد المأمون أن يسافر ويحمّلها ، فكتب إليه أحمد بن يوسف بهذا الشعر على لسانها ، وأمر بعض المغنّين ، فغناه به ، فلما سمعه قرأ الكتاب أمر بإخراجها إليه ، وهو :

[من الكامل]

قد كان عتّبك مرّة مكتوما

[يعتب على جارية]

وقال محمد بن داود : حدّثني أحمد بن أبي خيثمة الأطروش قال : عتب أحمد بن يوسف

على جارية له ، فقال : [من المنسرح]

وعاملٍ بالفجور يأمرُ بال
أو كطبيبٍ قد شفّه سقمٌ
سِرّ كهادٍ يخوض في الظلمِ
وهو يُداوي من ذلك السقمِ
يا واعظُ الناسِ غير متعظ
نفسك طهر أو لا فلا تلُم

[يقول شعراً على لسان مؤنسة]

ووجدتُ في بعض الكتب بلا إسناد : عتب المأمون على مؤنسة ، فخرج إلى الشّمسائيّة¹ متنزّهاً ، وخلفها عند أحمد بن يوسف الكاتب فرجّت أن يذكرها إذا صار في متنزّهه ، فيرسل في حملها ، فلم يفعل ، وتمادى في عتبه ، فسألْتُ أحمد بن يوسف أن يقول على لسانها شعراً ترفعه فقال :

[من البسيط]

يا سيّدا فقدّه أغرى بيّ الحزنا
لا زلتُ بعدك مطويّاً على حرقٍ
لا ذقتُ بعدك لا نوماً ولا وسنا
أشنا المقامَ وأشنا الأهلَ والوطنا
ولا التذذتُ بكأسٍ في مُنادمةٍ
مذ قيل لي : إن عبد الله قد طعنا

ولا أرى حسناً تبدو محاسنه إلا تذكرتُ شوقاً وجهك الحسنَا

وبعثتُ به إلى إسحاق الموصليّ ، فغناه به ، وقيل : بل بعثتُ به إلى سُندُس ، فغنته به ؛
فاستحسن ذلك ، وقال : لَمَن هذا الشعر ؟ . فقال أحمد بن يوسف : لمؤنسة يا سيدي تترضّاك ،
وتشكو البعد منك ، فركب من ساعته ، حتى ترضّاها ، ورضيَ عنها .

ووجدت في هذا الكتاب قال : كنّا مع أحمد بن يوسف الكاتب في مجلس ؛ وعندنا
قيّنة ، فتحلاّها¹ أحمد بن يوسف ، فكتب إلى صاحب المنزل : [من مجزوء الرمل]

أنا رهنٌ للمنايا	بين إبرامٍ ونقضٍ
من هوى ظبي غريّرٍ	مونق المنظرِ غَضٍّ
ليتها جادت بتقيب	لِ لخدّيها وعَضٍّ
إن عجزتُم عن شراها	لي بفرضٍ أو بقرضٍ
فتمنّوا لي جميعاً	أنّها قبرٌ لبعضي

[يستسقي الفضل]

أخبرني عمي : قال : حدّثنا الحسن بن عُليل : قال : ذكر مسعود بن أبي بشر أنّ أحمد بن
يوسف دخل يوماً على الفضل بن سهل أو أخيه في يوم دجن ، فأطال مخاطبته ، وكان
أحمد بن يوسف آنساً به ، ففتح دواته وكتب إليه : [من الوافر]

صوت

أرى غيماً تؤلفه جنوبٌ	وأحسيه سيأتينا بهطلٌ
فوجهُ الرأي أن تدعو برطلٍ	فتشربه وتدعو لي برطلٍ

ودفعها إليه فقرأها ، وضحك ، وقال : إن كان هذا عين الرأي قبلناه ، ولم نردّه ، ثم دعا
بالطعام والشراب ، فأتموا يومهم .

الغناء في هذين البيتين للقاسم بن زرور ثاني ثقليل بالوسطى .

[يعشق محمد بن سعيد]

ومّا يغنى فيه من شعره : [من الخفيف]

1 تحلاّها : أي وجدها حلوة .

صوت

صدَّ عني محمدُ بنُ سعيدٍ أحسنَ العالمينَ ثانيَ جيدِ
ليس من جفوةٍ يصدُّ ولكنْ يتجنَّى لحسنه في الصدودِ

الغناء فيه لزرور خفيف رمل ، ذكر ذلك إبراهيم بن القاسم بن زرور عن أبيه ،
ومحمد بن سعيد هذا كان من أولاد الكتاب بسر من رأى ، وكان أحمد يتعشقه .
ومن شعره الذي يُغنى فيه :
[من المنسرح]

صوت

كم ليلةٍ فيك لا صباحَ لها أحببْتُها قابضاً على كيدي
قد غصَّت العينُ بالدموعِ وقد وضعتُ خدي على بنانِ يدي
كأنَّ قلبي إذا ذكرْتُكم فريسةٌ بين ساعدي أسدِ

الغناء لشارية من رواية طباع ، وفيه خفيف رمل ، ذكر حبش أنه لأحمد النضبي ، وهو
خطأ يشبه أن يكون لأحمد بن صدقة أو بعض طبقة .

صوت

[من الكامل]

الراحُ والنَّدمانُ أحسنُ منظرًا في كلِّ ملتفٍّ الحدائقِ رائقِ
فإذا جمعتَ صفاءه وصفاءها فارجمُ بكلِّ مُلمةٍ من حالقِ

الشعر للعطوي ، والغناء لبنان ثقيل أول بالوسطى ، وفيه لذكاء وجه الرزة خفيف
ثقيل .

[508] - أخبار العطوي

[نسبه]

هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ،
ويكنى أبا عبد الرحمن بصري المولد والمنشأ .

وكان شاعراً كاتباً من شعراء الدولة العباسية ، واتصل بأحمد بن أبي داود ، وتقرّب إليه
بمذهبه وتقدّمه فيه بقوة جداله عليه ، فلما توفيّ أحمد نقصت حاله . وله فيه مدائح يسيرة ،
ومراثٍ كثيرة .

[يرثي ابن أبي داود]

منها ما أنشدنيه الأخفش عن كثرة أخي العطوي :

أحظّته يا نصرُ بالكافورِ	وزففته للمنزلِ المهجورِ
هلاً ببعض خِصاله حنّطته	فيضوعُ أفقُ منازلٍ وقبورِ
تالله لو من نشرٍ أخلاقٍ له	يُعزى إلى التقديسِ والتطهيرِ
حنّطت من سكن الثرى وعلا الربا	لُتزوّدوه عُدةً لنشورِ
فاذهب كما ذهب الوفاء فإنه	ذهبت به ربحاً صباً ودبورِ
واذهب كما ذهب الشباب فإنه	قد كان خير مُصاحبٍ وعشيرِ
والله ما أبنته لأزيدَه	شرفاً ولكن نفثه المصدرِ

وأنشدني الأخفش للعطوي أيضاً يرثي أحمد بن أبي داود قال :

وليس صريرُ النعش ما تسمعونه	ولكنه أصلابُ قومٍ تقصّفُ
وليس نسيمُ المسك ريباً حنوطه	ولكنه ذاك الثناء المخفّفُ

[جعله الكتاب إماماً]

وذكر محمد بن داود في كتاب الشعراء ، فقال : كان له فنٌّ من الشعر لم يُسبق إليه ، ذهب
فيه إلى مذهب أصحاب الكلام ، ففاق جميع نظرائه ، وخفّ شعره على كل لسان ، ورؤي ،
واستعمله الكتاب ، واحتذوا معانيه ، وجعلوه إماماً .

[فذارة وإدمان]

قال ابن داود : وحَدَّثني المبرِّدُ : قال : كان العَطْوِيُّ ، وهو عندنا بالبصرة ، لا ينطَبِّعُ بالشعر ، ثم ورد علينا شعره لما صار إلى سُرَّ مَنْ رَأَى ، وكنا نتهاداه ، وكان مقترأً عليه رزقه ، دَفِرًا¹ وسيخًا ، منهومًا بالنبيذِ ، وله فيه في وصف الصُّبُوحِ وذكُر النَّدامي والمجالس أحسنُ قول ، وليس له قولٌ يَسْقُطُ ، فمن ذلك قوله : [من مجزوء الرجز]

فِيئِي إِلَى أَهْدَى السَّبِيلِ	قَوْلًا وَعِلْمًا وَعَمَلٌ
قَاتَلَهَا اللَّهُ لَقَدْ	سَامَتْكُمَا إِحْدَى الْعُضَلِ ²
تَقُولُ هَلَا رِحْلَةَ	تَنْقُلُنَا خَيْرَ نَقْلِ
أَخْشَى عَلَى جَائِلَةِ الْآمِ	سَالِ جَوَالِ الْأَجَلِ

[في جمع المال ونفاد العمر]

أخبرني عليُّ بن سليمان الأُخْفَشُ : قال : حَدَّثني محمد بن يزيد : قال : سمع العَطْوِيَّ رجلاً يحدِّثُ أنَّ رجلاً قال لعمر بن الخطَّابِ : إنَّ فلاناً قد جمعَ مالاً ، فقال عمر بن الخطَّابِ : فهل جمعَ له أيَّاماً ؟ فأخذ العَطْوِيَّ هذا المعنى فقال : [من البسيط]

أَرْفُهُ بَعِيشُ فَتَى يَغْدُو عَلَى ثِقَةٍ	إِنَّ الَّذِي قَسَمَ الْأَرْزَاقَ يَرْزُقُهُ
فَالعِرْضُ مِنْهُ مَصُونٌ لَا يُدْنِسُهُ	وَالوَجْهَ مِنْهُ جَدِيدٌ لَيْسَ يَخْلُقُهُ
جَمَعَتْ مَالاً فَفَكَرَّ هَلْ جَمَعْتَ لَهُ	يَا جَامِعَ الْمَالِ أَيَّاماً تُفَرِّقُهُ
الْمَالُ عِنْدَكَ مَخزُونٌ لَوَارِثُهُ	مَا الْمَالُ مَالُكَ إِلَّا حِينَ تُنْفِقُهُ

[يتمنى كأساً وندماناً]

ومن قوله في النَّدْمَانِ والنَّبِيدِ مَّا يَغْنَى فِيهِ مَا أَتَشْدِينِيه الأُخْفَشُ وغيره من شيوخنا :

صوت

فَكَمْ قَالُوا تَمَنَّ فقلتُ كَاسٌ	يَطُوفُ بِهَا قَضِيبٌ فِي كَثِيبِ
وَنُدْمَانٌ تُسَاقِطُنِي حَدِيثًا	كَلْحِظِ الحِبِّ أَوْ غَضِّ الرَقِيبِ

الغناء في هذين البيتين لذكاء وجه الرزة خفيف رمل .

1 دفر : تنن .

2 العضل : جمع عضلة وهي الداهية .

[يستقي نبياً]

أخبرني عمي : قال : حدثني كثرة أخو العَطَوِي قال : كان أخي أبو عبد الرحمن يشرب مع أصدقاء له من الكتاب ، ومعهم قينة يقال لها : مصباح ، من أحسن الناس وجهاً ، وأطيبهم غناء ، فما زالوا في قصف وعزف إلى أن انقطع نبذهم ، فبقوا حيارى ، وكانوا قريباً من منزل أبي العباس أحمد بن الحسين بن موسى بن جعفر بن محمد العلوي ، وكان صديقاً لأبي عبد الرحمن فكتب إليه :

يا ابن من طاب في المواليد مذآ ٤ دم جراً إلى الحسين أبيه
 أنا بالقرب منك عند كريم ١ قد ألحت عليه شهب سنيه
 عنده قينة إذا ما تغنت عاد منا الفقيه غير فقيه
 تزدهيني وأين مثلي في الفهم سم تغنيه ثم لا تزدهيه
 مجلس كالرياض حسناً ولكن ليس قطب السرور واللهو فيه
 فأقمه بما به يمترى دن عجزوز خمارة ممتريه
 وبأشياخك الكرام إلى السؤدد موسى بسن جعفر وأبيه
 إن تحشمتني وإن كان إلا مثل ما يأنس الفتى بأخيه

قال : فلما وصلت الرقعة إلى أبي العباس أرسل إليهم براوية شراب ، فلم يزلوا يشربون مجتمعين ، حتى نفذت في أخفض عيش .
 [كأس وقينة]

حدثني أبو يعقوب إسحاق بن الضحاک بن الخصيب الكاتب : قال : جاءني يوماً أبو عبد الرحمن العَطَوِي بعد وفاة عمي أحمد بن الخصيب بسنتين ، وكان صديقه وصنيعته ، فجلس عندي يحادثني حديثه ، ويبكي ساعة طويلة ، ثم تغيمت السماء وهطلت ، فسألته أن يقيم عندي ، فحلف ألا يفعل إلا بعد أن أحضره من وقتي ما راج من الطعام ، ولا أتكلف له شيئاً ، ففعلت وجئته بما حضر ، فقال لي : ما فعلت عقد ؟ قلت : باقية ، وهي في يومنا هذا مقيمة عندي ، والساعة تسمع غناءها ، فقال لي : عجل إذن فإن النهار قصير ، ثم أنشأ يقول :

أدر الكأس قد تعالی النهار ما يُميتُ الهموم إلا العقار

صاح هذا الشتاء فاغدُ عليها
أي شيء ألدّ من يوم دجنٍ
وقيانٌ كأنهنَّ ظيَاءُ
فإذا قلنَ قالتِ الأوتارُ
إنَّ أيامه لـ إذاً قصارُ
فيه كأس على الندامى تُدارُ

[أحسن يوم وأطيبه]

حدّثني عمي : قال : حدّثني كوثرة : قال : كان لأبي عبد الرحمن صديقٌ من الأدباء ، وكان يتعشّق جارية من جواري القيان يقال لها : عثعث ، وكان لا يقدر عليها إلا على لقاء عسير ، واجتماعٍ يسير ، فأرسل إليها يوماً ، فأحضرها وأصلح جميع ما يحتاج إليه ، واتفق أن كان ذلك في يوم رذاذ به من الطيب والحسن ما الله به عليم ، فكتب إلى صديقه يعرفه الخبر ، ويسأله المصيرَ إليه ووصف له القصة بشعرٍ ، فقال :

[من المتقارب]

يوم مطيرٌ وعيش نضيرُ
وكأسٌ تدورُ وقدرٌ تفورُ
وعثعثُ تأتي إذا جئتنا
فتسمع منها غناءً يَصورُ¹
وعندي وعندك ما تشتهي
ه شعرٌ يمرُّ وعلمٌ يدورُ
وإذ كان هذا كما قد وصفتُ
فإن التفريقَ خطبٌ كبيرُ
فقم نصطيحُ قبل فوتِ الزمانِ
فإن زمانَ التلهي قصيرُ

قال : فسار إليه صاحبه فمرّ لهما أحسنُ يوم وأطيبه .

[أعرابي يصف مجلس شراب]

وهذا الشعر أخذَه العَطويّ من كلام إسحاق ، أخبرني به وسوسة بن الموصليّ عن حماد عن أبيه : قال : كان يألّفني بعضُ الأعراب وكان طيباً ، فجاءني يوماً ، فقلت له : لم أرك أمس ، فقال : دعاني صديق لي ، فقلت : صف لي ما كنتم فيه ، فقال لي : كنا في مجلسٍ نظامه سرور بين قدورٍ تفور ، وكأسٍ تدور ، وغناءٍ يصور ، وحديثٍ لا يجور وندامى كأنهم البُدور .

قال إسحاق : وقلت لأعرابي : كان يألّفني : أين كنت بالأمس ؟ قال : كنت عند بعض ملوكٍ سرّ من رأى ، فأدخلني إلى قبة كايوان كسرى ، وأطعمني في قصاعٍ تترى ، وغنتني جاريةٌ سكرى ، تلعب بالمضرب كأنه مِدرى ، فيا ليتني لقيتها مرّةً أخرى .

قال إسحاق : وقلت لبعض الأعراب : طلبتُك أمس فلم أجذك فأين كنت ؟ قال : كنتُ

عند صديق لي ، فأطعمني بناتِ التناير ، وأطعمني أمهات الأبايزر¹ وحلواء الطناجير² ،
وسقاني زعاف القوارير ، وأسمعي غناء الشادينِ الغرير ، على العيدانِ والطنابير ، قد ملكتُ
بأوقار الدراهمِ والدنانير .

[في مجلس شراب وغناء]

قرأت في بعض الكتب بغير إسنادٍ : أنَّ العطويَّ كان يوماً جالساً في منزله ، وطره صديقٌ
له ممن كان يعني بسراً من رأى ، فقال له : قد أهديتُ إليك جوارِيَّ اليوم ونيبداً يكفيك ،
وحسبُك بالكفاية . وأقام عنده ، فدخل عليه غلامٌ أمردٌ أحسنُ من القمر ، فاحتبسوه وكتب
العطويُّ إلى صديقٍ له من أهل الأدب :

يومنا طيب به حسنُ القصِّدِ ف وحثُّ الأبطالِ والكاساتِ
ما ترى البرقَ كيف يلمعُ فيه ورشاشاً يبلُّ في الساعاتِ
ولدينا ظبيٌّ غريرٌ ظريفٌ قد غنينا به عن القيناتِ
إن تخلصت بعد ما تصلُّ الرقع عةً عنّا فانت في الأمواتِ

فأجابه الرجلُ فقال :

أنا في إثر رُفعتي فاعلمنْ ذا ك على أنسي من البياتِ
فافهم الشرطَ بيننا لا تقل لي قد تفاقلت فانصرفْ بحياتي
لا لسوء لكن لأمتع نفسي بحديثِ الظبي الغرير المواتي

صوت

[من الطويل]

أيا بيتَ ليلى إنَّ ليلى مريضةً برادان لا خالٌ لديها ولا ابنُ عمِّ
ويا بيتَ ليلى لو شهدتك أعولتُ عليك رجالٌ من فصيح ومن عجمِ
ويا بيتَ ليلى لا يبستَ ولا تزَلْ بلادك سقياها من الواكفِ الدميمِ

الشعر لمرة بن عبد الله النهدي ، والغناء لأحمد النصيبيّ ثقيل أول بالوسطى ، يقال إنه
لحنين .

1 الأبايزر : جمع أبايزر وهي التوايل .

2 الطناجير : القذور .

[509] - أخبار مرّة ونسبه

[نسبه]

هو مرّة بن عبد الله بن هليل بن يسار : أحد بني هلال بن عصم بن نصر بن مازن بن خزيمة بن نهد ؛ وليلى هذه من رهطه ، يقال لها : ليلي بنت زهير بن يزيد بن خالد بن عمرو بن سلمة .

[يهجو من يخطبها]

نسختُ خبرها من كتاب ابن أبي السريّ قال : حدّثني ابن الكلبيّ عن أبيه : قال : كانت امرأة من بني نهد ، يقال لها : ليلي بنت زهير بن يزيد ، وكان لها ابن عمّ يقال له مرّة بن عبد الله بن هليل يهاواها ، واشتدّ شغفه بها فخطبها ، وأبوا أن يزوّجوه ، وكان لا يخطبها غيره إلاّ هجاه ، فخطبها رجل من بني نهشل ، يقال له : إران ، فقال مرّة يهجوّه : [من الطويل]

وما كنتُ أخشى أن تصيرَ بمرّة
من الدهر ليلي زوجةً لإران
لمن ليس ذا لبٍّ ولا ذا حفيظةٍ
لعرس ولا ذا منطوقٍ وبيان
لقد بليتُ ليلي بشرًّا بليّةٍ
وقد أنزلتُ ليلي بدار هوانٍ

[تنمى إليه فبرئها]

قال : فتزوّجها المنجابُ بن عبد الله بن مسروق بن سلمة بن سعد ، من بني زوي بن مالك بن نهد ، فخرج إلى البعثِ براذان ، وهي إذ ذاك مسلّحةٌ لأهل الكوفة ، فخرج بها معه ، فماتت براذان ودُفنتُ هناك . فقدم رجلان من بجيله من مكّتهما براذان من بني نهد ، وكانت بجيله جيران بني نهد بالكوفة ، فمرا على مجلسهم ، فسألوهما عن براذان من بني نهد ، فأخبراهم بسلامتهم ، ونعيا إليهم ليلي ومرّة في القوم ، فأنشأ يقول :

[من الطويل]

أيا ناعيّ ليلي أما كان واحدٌ
من الناس ينعاه إلى سواكما
ويا ناعيّ ليلي ألم نك جيرة
ندامى ذوي حقّ فألاً نهاكما

ويا ناعبي ليلي لقد هجئنا لنا
ويا ناعبي ليلي لجلت مُصيبةٌ
ولا عشتما إلا حليفِي بِلِيَّةِ
فأشمتَ والأيامَ فيها بوائِقُ
تجاوبَ نوحٍ في الدِّيارِ كلاكُما
بنا فقدُ ليلي لا أُمرتُ قواكُما¹
ولا ميتٌ حتى يُشترى كَفناكُما
بموتكما إنني أُحبُّ رداكُما

وقال فيها أيضاً :

كأنك لم تُفجع بشيءٍ تعدُّه
ولم ترَ بؤساً بعد طولِ غضارَةٍ
سقى جانبي راذان والساحةَ التي
ولا زال خِصْبٌ حيث حلتْ عظامها
وإن لم تكلمنا عظام وهامةٌ
ولم تصطبِرْ للنائباتِ من الدهرِ
ولم ترمكِ الأيامُ من حيثُ لا تدري
بها دَفَنُوا ليلي مُلثٌ من القَطْرِ²
براذان يُسقى الغيثَ من هَطَلِ غَمْرٍ
هناك وأصداءَ بَقِينَ مع الصخرِ

وقال فيها :

أيا قبر ليلي لا يَبِسَتْ ولا تَزَلُ
ويا قبر ليلي غُيِّتْ عنك أمُّها
ويا قبر ليلي كم جمالٍ تُكِنُّه
بلاذِكُ تَسْقِيها من الواكفِ الدِّيمِ
وخالَّتْها والناصحون ذَوو الذَّمِّ
وكم ضَمَّ فيك من عَفافٍ ومن كرمِ

وساق باقي الأبياتِ التي فيها الغناء .

[أهل كان تزوجها]

وحكي الهيثم بن عدي عن شيخ من بني نهد : أنَّ مرةً كان تزوجها ، وكان مكتبه براذان ، وأخرجها معه ، ثم ضُرب عليه البعث إلى خراسان ، فخلفها عند شيخ من أهل منزله هناك ، وأفرد لها الشيخ داراً كانت فيها ، ومضى لبعثه ، ثم قدم بعد حول ، فلقي فتى من أهل راذان قبل وصوله إلى دارها ، فسأله عنها ، فقال : أترى القبرَ الذي يَفناء الدَّار ؟ قال : نعم ، قال : هو والله قبرها ، فجاء ، فأكبَّ عليه يبكي ، ويندبها ، وترك مكتبه ، ولزم قبرها يغدو ويروح إليه ، حتى لحق بها .

1 أُمرتُ : اشتدَّت .

2 مُلثٌ : دائم ، شديد الهطل .

صوت

[من مجزوء الخفيف]

بأبي أنتَ يا ابنَ مَنْ لا أُسمِّي لبعضِ ما
 يا شبيهةَ الهلالِ مثلكَ في الأفقِ أنجُما
 راقبِ اللهَ في أسِّ بركِ إن كنتَ مُسلِما

الشعر لعليّ بن أمية والغناء لعمر الميدانيّ رَمَل مطلق .

[510] - أخبار علي بن أمية

[نسبه]

علي بن أمية بن أبي أمية ، وكان أبوه يكتب للمهدي على ديوان بيت المال وديوان الرسائل والخاتم ، وكان منقطعاً إلى إبراهيم بن المهدي ، وإلى الفضل بن الربيع ، وقد تقدم خبر أخيه محمد في مواضع من هذا الكتاب .

[لحن بغير ضجة]

فحدثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار : قال : حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات : قال : حدثني محمد بن علي بن أمية : قال : لما قدم علي بن أمية ، وقال : [من مجزوء البسيط]

صوت

يا ريحُ ما تصنعين بالدمن ؟	كم لك من محوٍ منظرٍ حسنٍ
محوت آثارنا وأحدثت آ	ثاراً برنع الحبيب لم تكن
إن تك يا ربيعُ قد بليت من	الريحِ فإني بال من الحزن
قد كان يا ربيعُ فيك لي سكنٌ	فصرت إذ بانَ بعده سكني
شبهت ما أبلت الرياح من آ	ثار حبيبي الثأى بلا بدن
يا ريحُ لا تطمسي الرموس ولا	تمحي رسومَ الديار والدمن
حاشاك يا ريحُ أن تكوني على	العاشق عوناً لحادث الزمن

كثر الناس فيه ، وغناه عمرو الغزال ، فقال أبو موسى الأعمى : [من مجزوء البسيط]

يا ربّ خذني وخذ علياً وخذ	يا ريح ما تصنعين بالدمن
عجل إلى النار بالثلاثة والرا	بع عمرو الغزال في قرن

ثم ندم ، وقال : هؤلاء أهل بيت ، وهم إخوتي ، ولا أحب أن أنشب بيني وبينهم عداوةً وشرّاً ، فأتى أمية فقال : إنني قد أذنت فيما بيني وبينكم ذنباً ، وقد جئتكم مستجيراً بك من

فتيانك ، فدعا بعلي بن أمية ، فقال : يا هذا ، عمك أبو موسى قد أتاك معذراً من الشعر الذي قاله ، قال : وما هو ؟ فأنشده ، فقال : قد ضَجِرنا نحن والله منه كما ضَجِرْتَ أنت وأكثر ، وأنت آمنٌ من أن يكون منا جوابٌ ، وأتى محمد بن أمية ، فقال له مثل ذلك ، ومضى أبو موسى ، فأخذ علي بن أمية رقعة فكتب فيها :
[من مجزوء البسيط]

كم شاعرٍ عند نفسه فطِنٌ ليس لدينا بالشاعر الفطِن
قد أحرَجَتْ نفسه بغُصَّتْها يا ريحُ ما تصنعين بالدمن

ودفع الرقعة إلى غلام له ، وقال : ادفعها إلى غلام أبي موسى ، وقُل له : يقول لك مولاك : اذكرني بهذا إذا انصرفت إلى المنزل ، فلما انصرف إلى المنزل أتاه غلامه بالرقعة ، فقال : ما هذه ؟ فقال : التي بعثت بها إلي ، فقال : والله ما بعثت إليك رقعة ، وأظن الفاسق قد فعلها ، ثم دعا ابنه ، فقرأها عليه ، فلما سمع ما فيها قال : يا غلام ، لا تنزع عن البغلة . فرجع إلى علي بن أمية ، فقال : نشدتك الله أن تريد علي ما كان ، فقال له : أنت آمن .

لحن عمرو الغزال في أبيات علي بن أمية رمل بالوسطى .

[بش المغني عمرو الغزال]

وقال يوسف بن إبراهيم : حدَّثني إبراهيم بن المهديّ : قال : حدَّثني محمد بن أيوب المكيّ : أنه كان في خدمة عبيد الله بن جعفر بن المنصور ، وكان مستخفياً لعمرو الغزال ، محباً له ، وكان عمرو يستحق ذلك بكل شيء ، إلا ما يدعيه ويتحقق به من صناعة الغناء ؛ وكان ظريفاً أدبياً نظيفَ الوجه واللباس ، معه كل ما يحتاج إليه من آلة الفتوة ، وكان صالح الغناء ، ما وقف بحيث يستحق ، ولم يدع ما لا يستحقه ، وأنه كان عند نفسه نظير ابن جامع وإبراهيم وطبقتهما ، لا يرى لهم عليه فضلاً ولا يشك في أن صنعتهم مثل صنعتيه ، وكان عبد الله قليل الفهم بالصناعة ، فكان يظن أنه قد ظفر منه بكنز من الكنوز ، فكان أخطى الناس عنده من استحسان غناء عمرو الغزال وصنعتيه ، ولم يكن في ندمائه من يفهم هذا ، ثم استزار عبيد الله بن جعفر أخاه عيسى ، وكان أفهم منه ، فقلت له : استعن برأي أخيك في عمرو الغزال ؛ إنه أفهم منك ، وكانت أم جعفر كثيراً ما تسأل الرشيد تحويل أخيها عبيد الله وتقديمه والتنويه به ، فكان عيسى أخوه يعرف الرشيد أنه

ضعيف عاجز لا يستحق ذلك ، فلما زاره عيسى أسمعاه غناء عمرو ، فسمع منه سُخْنَةً عين¹ ، فأظهر من السرور والطرب أمراً عظيماً ، ليزيد بذلك عبيد الله بصيرةً فيه ، ويجعله عيسى سبباً قوياً يشهد عند الرشيد بضعف عقله ، وعلمت ما أراد ، وعرفت أن عمراً الغزال أول داخل على الرشيد ، فلما كان وقت العصر من اليوم الثاني ، لم نشعر إلا برسول الرشيد قد جاء يطلب عمراً الغزال ، فوجه إليه وأقبل يلومني ويقول : ما أظنك إلا قد فرقت بيني وبين عمرو ، وكنت غنياً عن الجمع بينه وبين عيسى ، واتفق أن غنى عمرو الرشيد في هذا الشعر صنعته :

يا ريح ما تصنعين بالدمن كم لك من محو منظرٍ حسن

وكان صوتاً خفيفاً مليحاً فأطربه ، ووصله بألف دينار ، وصار في عداد مُعْنِي الرشيد ، إلا أنه كان يلزم عبيد الله إذا لم يكن له نوبة ، فأقبلتُ أتعجب من ذلك ، واتصلت خدمته إياه ثلاث سنين ، ثم انصرفا يوماً من الشماسية مع عبيد الله بن جعفر ، فلقية الخضر بن جبريل ، وكان في الناس في العسكر ، فعاتبه عبيد الله على تركه وانقطاعه عنه ، فقال : والله ما أفعل ذلك جهلاً بحقك ، ولا إخلالاً بواجبك ، ولكننا في طريقين مُتباينين لا يمكن معهما الاجتماع ، قال : وما هما ويحك ؟ قال : أنت على نهاية السرف في محبة عمرو الغزال ، وأنا على نهاية السرف في بغضه وأنت توهّم أنه لا يطيب لك عيش إلا به ، وأنا أتوهّم أنني إن عاشرتُه ساعة متّ ، وتقطعت نفسي غيظاً وكمداً ، وما يستقيم مع هذا بيننا عشرة أبداً ، فقال له عبيد الله : إذا كان هذا هكذا فانا أعفيك منه إذا زرتني ، فصرّ إليّ آمناً ، ففعل ، ولم يجلس عبيد الله حتى قال للحاجبه لا تدخل اليوم أحداً ، ولا تستأذن عليّ لخلق بتة ودخلنا ، فلما وضعت المائدة لم يأكل ثلاث لقم ، حتى دخل الحاجب فوقف بين يديه ، وأقبل عمرو الغزال خلفه ، فرآه من أقصى الصحن ، فقال له عبيد الله : ثكلتك أمك ! ألم أقل لك لا تدخل عليّ أحداً من خلق الله ؟ فقال له الحاجب : امرأته طالق ثلاثاً إن كان عنده أن عمراً عندك في هذا المجرى ، ولو جاء جبريل وميكائيل وكل من خلق الله لم يدخلوا عليك إلا بإذن سوى عمرو ؛ فإنك أمرتني أن آذن له خاصة وأن يدخل متى شاء ، وعلى كل حال . قال : ولم يفرغ الحاجب من كلامه حتى دخل عمرو ، فجلس على

1 سخنة عين : ضد القرة والارتياح .

المائدة وتغيّر وجهه الخضر ، وبانت الكراهة فيه ، فما أكل أكلاً فيه خير ، وتبين عبيد الله ذلك ، ورُفعت المائدة وقُدّم النبيذ ، فجعل الخضر يشرب شرباً كثيراً لم أكن أعهده يشرب مثله ، فظننت أنه يريد بذلك أن يستتر من عمرو الغزال ، وعمرو يتغنى ، فلا يقتصر وكلما تغنى قال له عبيد الله : لمن هذا الصوت يا حبيبي ؟ فيقول : لي وعندنا يومئذ جوار مطربات محسنات ، وهو يقطع غناءهن بغناهن ، وتبينت في وجه الخضر العريضة إلى أن قال عمرو بعقب صوت : هذا لي ، فوثب الخضر وكشف استه وخري في وسط المجلس على بساط خبز لم أر لأحد مثله ، ثم قال : إن كان هذا الغناء لك ، فهذا الخراء لي ، فغضب عبيد الله ، وقال له : يا خضر أكنت تستطيع أن تفعل أكثر من هذا ؟ قال إي والله أيها الأمير ، ثم وضع رجليه على سلحه ، ثم أخرجهما فمشى على البساط مقبلاً ومُدبراً ، حتى خرج وقد لوّثه ، وهو يقول : هذا كله لي ، وتفرقتنا عن المجلس على أقبح حال وأسوئها ، وشاع الخبر ، حتى بلغ الرشيد ، فضحك حتى غلب عليه ، ودعا الخضر ، وجعله في نُدماؤه منذ يومئذ ، وقال : هذا أطيب خلق الله ، وانكشف عنده عوار عمرو الغزال واسترحنا منه ، وأمر أن يُحجَب عنه ، فسقط منذ يومئذ ، وقد كان الجوّاري والغلمان أخذوه ولَهجوا به ، وكان الرشيد يكأيد به إبراهيم الموصلي وابن جامع قبل ذلك فسقط غناؤه أيضاً منذ يومئذ ، فما ذكر منه حرفٌ بعد ذلك اليوم إلا صنعته في :

يا ريحُ ما تصنعين بالدّمّن

ولولا إعجابُ الرشيد به لسقط أيضاً .

[أية ريح يعني]

حدّثني الحسن بن عليّ عن محمد بن القاسم عن أبي هيفان : قال : كنا في مجلس ، وعندنا قينة تغنينا ، وصاحب البيت يهواها ، فجعلت تكأيدته ، وتومىء إلى غيره بالمرح والتجميش¹ ، وتغيظه بجهداها ، وهو يكاد يموت قلقاً وهماً وتغص عليه يومه ، ولجّت في أمرها ، ثم سقط المضرب عن يدها ، فأكبّت على الأرض لتأخذه ، فضرطت ضرطَةً سمعها جميع من حضر ، وخجّلت ، فلم تدّر ما تقول فأقبلت على عشيقها فقالت : أيش

1 التجميش : الملاعبة .

تشتهي أن أغني لك ؟ فقال : غني :

[من مجزوء البسيط]

يا ريحُ ما تصنعين بالدمن

فخجلت وضحك القوم وصاحبُ الدار : حتى أفرطوا ، فبكت وقامت من المجلس ، وقالت : أنتم والله قوم سيفل ، ولعنة الله عليّ من يُعاشركم ، وغضبت وخرجت ، وكان ، علم الله ، سبب القطيعة بينهما وسلو ذلك الرجل عنها .

[من الرسول]

أخبرني ابن عمّار وعمي الحسن بن عليّ ، قالوا : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثنا الحسين بن الضحّاك : قال : كنت في مجلس قد دعينا إليه ، ومعنا عليّ بن أمية ، فعلقت نفسه بقينة دعيت لنا يومئذٍ ، فأقبل عليها فقال لها : اتغنين قوله : [من الخفيف]

خبريني من الرسول إليك ؟ واجعليه من لا ينم عليك
وأشيرني إليّ من هو باللحظ ليخفي على الذين لديك

فقلت : نعم ، وغنته لوقتها وزادت فيه هذا البيت ، فقلت :

وأقلبي المزاح في المجلس اليو م فإن المزاح بين يديك

ففطن لما أرادت وسر بذلك ، ثم أقبلت على خادم واقف فقالت له : يا مسرور ، اسقني ، فسقاها ، وفطن بن أمية أنها أرادت أن تعلمه أن مسروراً هو الرسول ، فخاطبه ، فوجده كما يريد ، وما زال ذلك الخادم يتردد في الرسائل بينهما .

[511] - أخبار عمر الميداني

[متقدم في الصنعة والأداء]

هو رجل من أهل بغداد كان ينزل الميدان¹ فعرف به ، وكان لا يفارق محمداً وعلياً ابني أمية وأبا حشيشة ، ينادمهم ويغني في أشعارهم ، وكان منزله قريباً منهم ، وهو أحد المحسنين المتقدمين في الصنعة والأداء .

حدثني جحظة : قال : سمعتُ ابنَ دقاق في منزل أبي العتبس بن حمدون يقول : سمعتُ أبا حشيشة والمسدود ، ومن قبلهما من الطنبوريين ، فما سمعتُ منهم أصحَّ غناءً ولا أكثرَ تصرُّفاً من عُمر الميداني .

[مائدة إسحاق وجائزته]

حدثني جحظة : قال : حدثني علي بن أمية : قال : دخلتُ يوماً على عمر الميداني ، وكان له بقال على باب داره ينادمه ولا يفارقه ، ويقارضه إذا أعسر ، ويتصرف في حوائجه ، فإذا حصلت له دراهم دفعها إليه يقبض منها ما رأى ، لا يسأله عن شيء ، فوجدتُ عنده يومئذٍ هذا البقال ، فقال لنا عمر : معي أربعة دراهم تُعطوني منها لعلف حماري درهماً ، والثلاثة لكم ، فكلوا بها ما أحببتم . وعندني نبيذٌ ، وأنا أغنيكم ، والبقال يُحضرنا من الأبقال اليابسة ما في حانوته . فوجهنا بالبقال . فاشتري لنا بدرهم لحماً ، وبدرهم خبزاً ، وبدرهم فاكهةً وريحاناً . وجاءنا من حانوته بجوائح السكباج² ونُقِل . فبينما نحن نتوقع الفراغ من القدر إذا بفراق³ يدق الباب . فأدخله عمر : فقال له : أجب الأمير إسحاق بن إبراهيم . فحلف علينا عمر بالطلاق الألبس ، ومضى هو ؛ وأكلنا السكباج وشربنا وانصرف عشاء . وبكر إليّ رسوله في السحر أن صير إليّ ، فصرت إليه ، فقلت : أعطني خبرك من النعل إلى النعل⁴ . قال : دخلتُ فوضعتُ بين يديّ مائدة

1 الميدان : محلة ببغداد .

2 السكباج : لحم يطبخ بخل .

3 الفراق : الرسول .

4 من النعل إلى النعل : أي القصة من البداية إلى النهاية .

كَأَنَّهَا جَزْعَةٌ¹ يَمَانِيَّةٌ قَدْ فُرِشَتْ فِي عِرَاصِهَا الْحَبِيرُ فَأَكَلْتُ وَسُقَيْتُ رَطْلِينَ ، وَدُفِعَ إِلَيَّ طُنْبُورٌ . فَدَخَلْتُ إِلَى إِسْحَاقَ ، فَوَجَدْتَهُ فِي الصَّدْرِ جَالِسًا ، وَخَلْفَهُ سِتَارَةٌ . وَعَنْ يَمِينِهِ مُخَارِقٌ وَعَنْ يَسَارِهِ عُلْوِيَّةٌ . فَقَالَ لِي : أَنْتَ عُمَرُ الْمِيدَانِيِّ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ : أَأَكَلْتَ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ قَالَ : هَاهُنَا أَوْ فِي مَنْزِلِكَ ؟ فَقُلْتُ : بَلْ هَاهُنَا ، قَالَ : أَحْسَنْتَ ، فَغَنَّ بِصَوْتِكَ الَّذِي صَنَعْتَهُ فِيَّ :

يا شبيهه الهلال كُؤِّلُ ل في الأفق أنجُما

وهو رَمَلٌ مَطْلَقٌ ، فَغَنَيْتَهُ فَضَرَبَ السِتَارَةَ . وَقَالَ : قَوْلُهُ أَنْتُمْ ، فَقَالُوهُ ، فَقَالَ : لِمَخَارِقَ وَعُلْوِيَّةٌ : كَيْفَ تَسْمَعَانِ ؟ فَقَالَا : هَذَا وَاللَّهِ ذَا ، وَذَا ذَاكَ . فَرَدَدْتُهُ مَرَارًا . وَشَرِبَ عَلَيْهِ . وَقَالَ لِي : أَنَا الْيَوْمَ عَلَى خَلْوَةٍ وَلِكِ عَلِيٌّ دَعَوَاتٌ ، فَانصَرَفَ الْيَوْمَ بِسَلَامٍ . فَخَرَجْتُ وَدَفَعْتُ إِلَى الْغَلَامِ خَمْسَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ . فَهِيَ هَذِهِ ، وَاللَّهِ لَا اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمْ مِنْهَا بَدْرَهُمْ . فَلَمْ نَزَلْ عِنْدَهُ نَقْصِيفٌ حَتَّى نَفِدَتْ .

صوت

[من الهزج]

أَمِينَ الْخَالِقِ الْبَارِي وَرَاعِي كُلِّ مَخْلُوقٍ
أَدِرُّ رَاحَكَ فِي الْمَعشُوقِ ق مِنْ رَاحَةٍ مَعشُوقِ

الشعر لأبي أيوب سليمان بن وهب . والغناء للقاسم بن زُرُورٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْبِنَصْرِ مِنْ جَامِعِ غَنَائِهِ الْمَأْخُوذِ عَنْ أَبِيهِ أَبِي الْقَاسِمِ عبيد الله بن القاسم .

1 الجزع اليماني : من الأحجار الثمينة .

[512] - أخبار سليمان بن وهب وجمل من أحاديثه

تصلح لهذا الكتاب¹

[ينكر الانتساب إلى الحارث]

قد تقدّم نسبه في أخبار الحسن بن وهب أخيه وانتمائه في بني الحارث بن كعب . وأن أصلهم من قرية يقال لها : سار قرمقا من طسوج² خسروسابور من سواد واسط ، وكان سليمان بن وهب ينكر الانتساب إلى الحارث بن كعب على أخيه الحسن وعلى ابنه أبي الفضل أحمد بن سليمان بن وهب لشدة تعلقهما به ، أخبرني بذلك محمد بن يحيى وغيره من شيوخنا ومن مشيخة الكتاب .

أخبرني الصوليّ : قال : حدّثني الحسن بن يحيى وعون بن محمد الكنديّ ، أنّ جعفر بن محمد كان وزير المهديّ في أول أمره ، فبلغه عنه تشييع فكرهه ، وقال : هذا رافضيّ لا حاجة لي فيه ، واستوزر جعفر بن محمد بن عمّار ، فلم يزل على وزارته حتى مضت سنة من خلافة المهديّ ، ثم قديم موسى بن بعا من الجبل ، وكاتبه سليمان بن وهب وابنه عبید الله ، فاستوزر المهديّ سليمان بن وهب ولقب الوزير حقاً ؛ لأنّ من كان قبله كان غير مستحقّ للوزارة ، ولا مستقلاً بها .

[يصفه ويعطيه]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدّثني الحسن بن يحيى بن الجمّاز : قال : لما استوزر سليمان بن وهب جلس للنّاس ، فدخل عليه شاعر يقال له : هارون بن محمد بالباليّ ، فذكر مظلمة له ببلده ، ثم أنشده :

زيد في قدرك العليّ علوّ
يا ابن وهب من كاتبٍ ووزيرٍ

1 انظر أخباره في ترجمة الحسن بن وهب التي مرّت آنفاً وللسليمان بن وهب ترجمة ضمن ترجمة الحسن بن وهب في معجم الأدباء 3 : 1019-2022 .

2 طسوج : الناحية .

أسفر الشرق منك والغرب عن ضو
أنشر الناس غيثكم بعدما كا
شرد الجور عدلكم فسرحننا
[أنت عين الإمام والقرم مو
من العدل فاق ضوء البدور
نوا رفاتاً من قبل يوم النشور
بينكم بين روضة وغدير
سى بك تفتت عابسات الأمور]

فوقع في ظلامته [بما أراد] ووصله بمائتي دينار .

[يزيد المهلبى يمدحه فيزيد جائزته]

أخبرني محمد بن يحيى : قال : حدثنا أحمد بن الخصب : قال : لعهدى يزيد بن محمد المهلبى عند سليمان بن وهب بعد ما استوزره المهتدي ، وقد أجلسه إلى جانبه ، وهو ينشده قوله :

[من الطويل]

وهبتم لنا يا آل وهب مودة
فمن كان للآثام والذل أرضه
رأى الناس فوق المجد مقدار مجديكم
يقصر عن مسعائكم كل آخر
بلغت الذي قد كنت أملت لكم
فأبقت لنا جاهاً ومجداً يوئل
فأرضكم للأجر والعز منزل
فقد سألوكم فوق ما كان يسأل
وما فاتكم ممن تقدم أول
وإن كنت لم أبلغ بكم ما أوئل

فقطع عليه سليمان الإنشاد ، وقال له : يا أبا خالد ، فانت والله عندي كما قال عمارة بن

عقيل لابنه :

[من الطويل]

أهفه مسروراً إذا أبت سالماً
وأبكي من الإشفاق حين تغيب

فقال له يزيد : فيسمع مني الوزير آخر الشعر لا أوله ، وتمم فقال :

[من الطويل]

ومالي حق واجب غير أنني
وأنكم أفضلتم وبررتم
وأوليتم فعلاً جميلاً مقدماً
وكم ملحف قد نال ما رام منكم
بجودكم في حاجتي أتوسل
وقد يستم النعمة المتفضل
فعودوا فإن العود بالحر أجمل¹
ويمنعنا من مثل ذاك التجمل

وعودتمونا قبل أن نسأل الغني ولا بذل للمعروف والوجه يُذللُ
فقال له سليمان: لا تبرح والله إلا بقضاء حوائجك كائنة ما كانت، ولو لم أستفد من
كتبة أمير المؤمنين إلا شكرتك لرأيت جنابي بذلك مُمرعاً، وغرسي مُثمراً، ثم وقع له في رِقاع
كثيرة كانت بين يديه.

[رجل من ذوي حرفته يطلب عملاً]

أخبرني محمد: قال: حدثنا الحزنبيل: قال: لما ولى المهدي سليمان بن وهب وزارته قام
إليه رجل من ذوي حرفته، فقال: أنا، أعز الله الوزير، خادمك، المؤمل دولتك، السعيد
بأيامك، المطوي القلب على ودك، المنشور اللسان بمدحك، والمرتهن بشكر نعمتك، وقد
قال الشاعر:

وفيت كل أديب ودني ثمناً
فإنني ضامنٌ ألا أكافه
إلا المؤمل دولاتي وأيامي
إلا بتسويغه فضلي وإنعامي

وإنني لكما قال القيسي: ما زلت أمتطي النهار إليك، وأستدل بفضلك عليك، حتى إذا
جنتي الليل، فقبض البصر، ومحا الأثر، أقام بدني؛ وسافر أمني، والاجتهاد [عذر]، وإذا
بلغتك فهو مرادي فقط. فقال له سليمان: لا عليك: فإنني عارف بوسيتك، محتاج إلى
كفائتك، ولست أؤخر عن أمري النظر في أمرك وتوليتك ما يحسن أثره عليك.
[القاضي أحد شهودها]

وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه قال: ما رأيت أظرف من سليمان بن وهب، ولا
أحسن أدباً: خرجنا نلتقاه عند قدومه من الجبل مع موسى بن بعا، فقال لي: هات الآن يا أبا
الحسن، حدثني بعجائبكم بعدي، وما أظنك تحدثني بأعجب من خبر ضرطة أبي وهب
بحضرة القاضي، وما سير من خبرها، وما قيل فيها، حتى قيل: [من الكامل]

ومن العجائب أنها بشهادة الـ قاضي فليس يُزيلها الإنكارُ

وجعل يضحك.

[يعترف بفضل ابن ثوبة]

قال علي بن الحسين الأصفهاني: حضرت أبا عبد الله الباقراني، وهو يتقلد ديوان
المشرق، وقد تقلد ابن أبي السلاسل ماسيدان ومهرجان قذف¹، وجاءه يأخذ كتبه،

1 ماسيدان ومهرجان قذف: كورتان من نواحي الجبل في طريق القاصد من حلوان العراق إلى همدان.

فجعل يوصيه كما يوصي أصحاب الدواوين العُمَّالَ ، فقال ابن أبي السلاس : كأنك استكثرت لي هذا العمل أنت أيضاً ! قد كنت تكتب لأبي العباس بن ثوبة ، ثم صرت صاحب ديوان ، فقال له الباقراني : يا جاهل يا مجنون ، لولا أنه قبيح عليّ مكافأة مثلك لراجعت الوزير ، أيده الله ، في أمرك ، حتى أزيل يدك ، ومن لي أن أجد مثل ابن ثوبة في هذا الوقت ، فأكتب له ، ولا أريد الرياسة ! ثم أقبل علينا يحدثنا ، فقال : دخلت مع أبي العباس بن ثوبة إلى المهدي ، وكان سليمان بن وهب وزيره ، وكان يدخل إليه الوزير وأصحاب الدواوين والعُمَّال والكتّاب ، فيعملون بحضرته ، فيوقع إليهم في الأعمال ، فأمر سليمان أن يكتب عنه عشرة كتب مختلفة إلى جماعة من العُمَّال ، فأخذ سليمان بيد أبي العباس بن ثوبة ، ثم قال له : أنت اليوم أخذت ذهنًا مني فهلّم نتعاون ، فدخلنا بيتاً ، ودخلتُ معهما ، وأخذ سليمان خمسة أنصاف وأبو العباس خمسة أنصاف آخر ، فكتبا الكتب التي أمر بها سليمان ما احتاج أحدهما إلى نسخة ، وقد أكمل كل واحد منهما ما كتب به صاحبه ، فاستحسنه وقرّظه ، ثم وضع سليمان الكتب بين يدي المهدي ، فقال له وقد قرأها : أحسنت يا سليمان ، ونعم الرجل أنت لولا المعجل والموجل ، وكان سليمان إذا وليّ عاملاً أخذ منه مالاً معجلاً ، وأجل له مالاً إلى أن يتسلم عمله ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا قول لا يخلو من أن يكون حقاً أو باطلاً ، فإن كان باطلاً فليس مثلك من يقوله ، وإن كان حقاً ، وقد علمت أن الأصول محفوظة ، فما يضر من يساهمني من عمالي على بعض ما يصل إليهم من برٍّ ؛ من غير تحيف للرعية ولا نقص للأموال ؟ فقال : إذا كان هكذا فلا بأس ، ثم قال له : اكتب إلى فلان العامل يقبض ضيعة فلان المصروف المعتقل في يده ، بياقي ما عليه من المصادرة ، فقال له أبو العباس بن ثوبة : كلنا يا أمير المؤمنين خدمك وأولياؤك ، وكلنا حاطب في حبلك ، وساع فيما أرضاك وأيد ملكك ، أنمضي ما تأمر به على ما خيَّلت أم نقول بالحق ؟ قال : بل قل الحق يا أحمد فقال : يا أمير المؤمنين ، الملك يقين ، والمصادرة شك ، أفترى أن أزيل اليقين بالشك ؟ قال : لا ، قال : فقد شهدت للرجل بالملك ، وصادرته عن شك فيما بينك وبينه ، وهل خانك أم لا ، فتجعل المصادرة صلحاً ! فإذا قبضت ضيعته بهذا فقد أزلت اليقين بالشك ، فقال له : صدقت ، ولكن كيف الوصول إلى المال ؟ فقال له : أنت لا بد لك من عمال على أعمالك ، وكلهم يرتزق ، ويرتفق ، فيحوز رفقه ورزقه إلى منزله ، فاجعله أحد عمالك ؛ ليصرف

هذين الوجهين إلى ما عليه ويسعفه معاملوه ، فیتخَلَصَ بنفسه وضيعته ويعودَ إليك مالك ، فأمر سليمان بن وهب بأن يفعلَ ذلك ، فلَمَّا خرجا من حضرة المهدي قال له سليمان : عهدي بهذا الرجل عدوك ، وكلّ واحد منكما يسعى على صاحبه ، فكيف زال ذلك ، حتى نُبِتَ عنه في هذا الوقت نياةً أُحِيته بها ، وَتَخَلَّصَتَ نفسَه ونعمته ؟ فقال : إنما كنتُ أعاديه ، وأسعى عليه وهو يقدر على الانتصاف مني ، فأما وهو فقير إليّ فلا . فهذا ممّا يحظره الدين والصناعة والمروءة . فقال له سليمان : جزاك الله خيراً ، أما والله ، لأشكرن هذه النية لك . ولأعتقدنك من أجلها أخواً وصديقاً . ولأجعلن هذا الرجل لك عبداً ما بقي . ثم قال الباقطاني : أفمن كان هذا وزنه وفعله يُعاب من كان يكتبُ له ؟ [من شعره في نكته]

أخبرني محمد بن يحيى الباقطاني : قال : حدثنا الحسين بن يحيى الباقطاني قال : كنت ألف سليمان بن وهب كثيراً ، وأخدمه وأحادثه . وكان يخصني ويأنس بي . فأنشدني لنفسه يذكر نكته في أيام الواثق :

صوت

نوائبُ الدهر أدبتني وإنما يُوعظُ الأريبُ
قد ذقتُ حُلواً وذقتُ مرّاً كذاك عيشُ الفتى ضروبُ
ما مرَّ بؤسٌ ولا نعيمٌ إلا وليّ فيهما نصيبُ

فيه رمل محدث لا أعرف صانعه .

[بينه وبين علي بن يحيى]

وذكر يحيى بن علي بن يحيى أنّ جفوةً نالت أباه من سليمان بن وهب فكتب إليه :

جفاني أبو أيوب نفسي فداؤه فعاتبته كيما يريع ويُعْتَبَا
فوالله لولا الضنُّ مني بوّده لكان سهيلٌ من عتايه أقربَا

فكتب إليه سليمان :

ذكرت جفائي وهو من غير شيمتي وإنّي لدانٍ من بعيدٍ تقرّبا
فكيف بخيلٍ لي أضين بوّده وأصفيه وداً ظاهراً ومُعْتَبَا

[من الطويل]

عليّ بن يحيى لا عدمتُ إخوانه فما زال في كلّ الخصال مهذباً
ولكنّ أشغالاً عَرَتُ وتواترت فلما رأيت الشغلَ عاق وأتعبا
وكنتُ إلى عذر الأخلَاءِ إنهم كراماً وإن كان التواصلُ أوجبا
فإن يطلّبُ منّي عتابك أوبةً يرّ تجدني بالأمانة مُعتباً

[قبلة بقيلة]

أخبرني محمد بن العباس الزبيدي عن عمّه : قال : كان سليمان بن وهب ، وهو حَدَث ، يتعشّق إبراهيم بن سوار بن شداد بن ميمون ، وكان من أحسنِ النَّاسِ وجهاً وأملحهم أديباً وظرفاً ، وكان إبراهيم هذا يتعشّق جاريةً مُعْنِيَةً ، يقال لها رُخاص ، فاجتمعوا يوماً فسكّر إبراهيم ، ونام ، فرأت رُخاصُ سليمانَ يقبله ، فلما انتبه لامته ، وقالت : كيف أصفو لك وقد رأيتُ سليمانَ يقبلُك ؟ فهجره إبراهيم ، فكتب إليه سليمان :

[من المجتث]

قل للذي ليس لي من جوى هواه خلاصُ
أئن لثمتك سراً وأبصرتني رُخاصُ
وقال لي ذاك قوم على اغتيابي حِراسُ
هجرتني وأتني شتيمَةٌ وانتقاصُ
وسرّ ذاك أناساً لهم علينا اختِراسُ
فهاك فاقصّ مني إنَّ الجُروحَ قِصاصُ

وأهدى سليمانُ إلى رُخاصَ هدايا كثيرة ، فكانوا بعد ذلك يتناوبون يوماً عند سليمان ، ويوماً عند إبراهيم ، ويوماً عند رُخاص .

[مساجلة بينه وبين أحد أصحابه]

أخبرني الصولي عن أحمد بن الخصيب : قال : حضرتُ سليمان بن وهب ، وقد جاءته رُقعة من بعض مَنْ وعده أن يصرفه من أصحابه ، وفيها :

[من الرجز]

هَبني رَضيتُ منك بالقليل أكانَ في التَّأويلِ والتَّنزيلِ
أو خبيرِ جاء عن الرُّسولِ أو حُجَّةٍ في فِطْرِ العقولِ
مستحسنٌ من رجلِ جليل عالٍ له حظٌّ من الجميلِ

ينقصُ ما أشاع بالتطويل والقول دون الفعل بالتحصيل
ليس كذا وصف الفتى النبيل

قال : فكتب له بولاية ناحية ، وأنفذ إليه مائتي دينار وكتب في رقعة : [من الرجز]

ليس إلى الباطل من سبيل إلا لمن يعدل عن تعديل
وقد وفينا لك بالتحصيل فاطو الذي كان عن الخليل
فضلاً عن الخليط والنزير وعُد من القول إلى الجميل
وعف في الكثير والقليل تحظ من الرتبة بالجزيل

[هل كان مرثياً]

أخبرني محمد بن يحيى عن عبد الله بن الحسين بن سعد عن بعض أهله أنه كتب إلى
سليمان بن وهب ، وهو يتولى شيئاً من أعمال الضياع : [من الهزج]

أطال الله إسهادك في الآجل والعاجل
أما ترعى لمن أمّـ وعندي عاجل من رشد
ل فضلاً حرمة الآمل وأنت العالمُ الشاهد
وإني كاتب عاملُ قول الكافل الباذ
ل دون العاجز الباخل فما أفشي لك السرّ
فعال الأخرق الجاهل

قال : فضحك وأجلسه وكتب في رقعته : [من الهزج]

أين لي ما الذي تخطبُ شرحاً أيّها الباذل
وما تُعطي إذا وليت تعجلاً وما الآجل
أفي الإسلاف تنقيص أم الوزن له كامل
وفي الموقوف تضمين أم الوعد به حاصل
وهل ميقاته الغلّة في العام أو القابل
أين لي ذاك وردد رُقعتي يا كاتباً عامل

[مع سلة رطب]

فلما قرأها الرجلُ قطع ما بينه وبينه ، وردَّ الرقعة عليه ، وولاه سليمانُ ما التمس . أخبرني محمد بن يحيى عن موسى البربري قال : أهدى سليمانُ بنُ وهب إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر سلالَ رُطب من ضيعته وكتب إليه يقول :

أذن الأميرُ بفضله ويجوده وبنيله
لوليِّه في برِّه بجناه سُكَّرَ نخله
فبعثتُ منه بسلةً تحكي حلاوةَ عدله

[قلبه يصم السمع]

أخبرني محمد الباقراني : قال : كتب سليمانُ بنُ وهب بقلم صُلب ، فاعتمد عليه اعتماداً شديداً ، فصرَّ القلمُ في يده ، فقال :

إذا ما حدَّدنا وانتضينا قواطعاً أصمَّ الذكيَّ السمع منها صريرها
تظلَّ المنايا والعطايا شوارعاً تدورُ بما شئنا وتمضي أمورُها
تساقطُ في القرطاس منها بدائعُ كمثل اللَّالي نَظْمُها وتثيرها
تَقوِّدُ أيباتِ البيانِ بفظنة تَكشِّفُ عن وجه البلاغة نورها
[إذا ما خطوبُ الدهر أُرخت ستورها تجلَّت بنا عمَّا تُسرِّ ستورها]

[يرثي أخاه الحسن]

قال : وأنشدني له يرثي أخاه الحسن :

مضى مذ مضى عزُّ المعالي وأصبحت لآلي الحجا والقول ليس لها نظمُ
وأضحى نجىُّ الفكر بعدَ فراقه إذا همَّ بالإفصاح منطقه كظمُ

وذكر ابن المسيَّب أنَّ جماعة تذاكروا لما قبضَ الموفق على سليمان بن وهب وابنه عبد الله : أنه إنما استكتبهما ليقف منهما على ذخائر موسى بن بغا وودائعهم ، فلما استقصى ذلك نكبهما لكثرة ما لهما ، فقال ابن الرومي وكان حاضراً :

ألم ترَّ أنَّ المالَ يُتلف ربه إذا جمَّ آتیه وسدَّ طريقه
ومن جاور الماء الغزير مجمه وسدَّ مفيضُ الماء فهو غريقه

[من الطويل]

[البحترى يرثيه]

ومات سليمان بن وهب في محبسه وهو مُطالب ، فرثاه جماعة من الشعراء ، فممن جود
في مرثيته البحتريّ حيث يقول :

[من الكامل]

طالت مساعيه النجوم سُموكا	هذا سليمان بن وهب بعدما
سبعين حولاً قد تَمَمَّن دكيكا ¹	وتنصف الدنيا يدبر أمرها
ما كان رسٌ حديثها مأفوكا	أغرّت به الأقدارُ بعتْ مُلمّة
شرفاً ومُعطي فضّلها تَمليكا	أبلغ عبيد الله فارغ مذحج
جزعٌ بلبك فالرزية فيكا	إن الرزية في الفقيد فإن هفا
لحميمه في التراب أو متروكا	ومتى وجدت الناس إلا تاركاً
وتودُّ لو تفديسه لا يفديكا	بلغ الإدارة إذ فداك بنفسه
جلل لأضحكك الذي يبكيكا	لو ينجلي لك ذخرها من نكيّة

صوت

[من الطويل]

يُسامي من الغايات ما كان أرفعا	لقد برز الفضل بن يحيى ولم يزل
كفيلاً لما أعطى من العهد مقنعا	يراه أمير المؤمنين ملكه
وأحيت ليحيى نفسه فتمتعا ²	قضى بالتى شدت هارون ملكه
وآل عليّ مثل زندي يدٍ معا	فأمست بنو العباس بعد اختلافها
لقد صاغ إبراهيم فيه فأوقعا	لئن كان من أسدى القريض أجاده

الشعر لأبان بن عبد الحميد اللاحقيّ يقوله في الفضل بن يحيى لما قدم يحيى بن عبد الله بن
الحسين على أمان الرشيد وعهده . والغناء لإبراهيم الموصليّ ثانيّ ثقيل بالنصر عن أحمد بن
المكيّ ، وكان الرشيد أمره أن يغني في هذا الشعر ، وإياه عنى أبان بقوله :

لقد صاغ إبراهيم فيه فأوقعا

1 دكيكا : تاماً .

2 نفسه في ل : ملكه .

[513] - أخبار أبان بن عبد الحميد ونسبه

[نسبه]

أبانُ بنُ عبد الحميد بن لاحق بن عَفِير مولى بني رَقَاش ، قال أبو عبيدة : بنو رقاش ثلاثة نفر يُنسبون إلى أمهم ، واسمها رَقَاش ، وهم : مالك ، وزيد مناة ، وعامر ، بنو شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعَب بن علي بن بكر بن وائل .

[صنيعة البرامكة]

أخبرني عمِّي : قال : حدَّثنا الحسين بن عُليل العَنَزِيّ : قال : حدَّثني أحمد بن مهران مولى البرامكة : قال : شكَا مروانُ بن أبي حفصة إلى بعض إخوانه تَغَيَّر الرشيد عليه وإمساكَ يده عنه ، فقال له : ويحك ! أتشكو الرشيدَ بعد ما أعطاك ؟ قال : أو تعجبُ من ذلك ؟ هذا أبان اللاحقيّ ، قد أخذَ من البرامكة بقصيدةٍ قالها واحدةٍ مثلَ ما أخذته من الرشيد في دهري كلّه ، سوى ما أخذَه منهم ومن أشباههم بعدها ، وكان أبانُ نقلَ للبرامكة كتابَ كليلَةَ وِدْمَنَة ، فجعله شعراً ، ليسهل حفظه عليهم ، وهو معروف ، أوّلُه :

هذا كتابُ أدبٍ ومحنةٌ وهو الذي يُدعى كليلَةَ وِدْمَنَة
فيه احتيالاتٌ وفيه رُشدٌ وهو كتابٌ وضعته الهِنْدُ

فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار ، وأعطاه الفضلُ خمسة آلاف دينار ، ولم يعطه جعفر شيئاً ، وقال : ألا يكفيك أن أحفظه فأكونَ راويتك ؟ وعمل أيضاً القصيدة التي ذكر فيها مبدأ الخلق وأمر الدنيا وشيئاً من المنطق ، وسماها ذات الحُلل ، ومن الناس من ينسبها إلى أبي العتاهية ، والصحيح أنها لأبان .

[بينه وبين أبي نواس]

أخبرني محمدُ بنُ جعفر النحويّ صهرُ المبرِّد : قال : حدَّثنا أبو هِفَّان : قال : حدَّثني الجَمَّاز ، قال : كان يحيى بن خالد البرمكيّ قد جعل امتحان الشعراء وترتيبهم في الجوائز إلى أبان بن عبد الحميد ، فلم يرضَ أبو نواس المرتبة التي جعله فيها أبانُ ، فقال يهجوهُ

بذلك :

[من المجتث]

جالستُ يوماً أباناً لا درّ درُّ أبانٍ
حتى إذا ما صلاة الأ ولى دنت لأوانٍ
فقام ثمّ بها ذو فصاحة وبيانٍ
فكلّما قال قلنا إلى انقضاء الأذانِ
فقال : كيف شهدتم بذا بغير عيانٍ
لا أشهدُ الدهرَ حتى تعاينَ العينانِ
فقلت : سبحانَ ربِّي فقال : سبحانَ ماني

فقال أبانُ يجيبه :

[من مجزوء الرمل]

إن يكن هذا النواصي بلا ذنبٍ هجانا
فلقد نكناه حيناً وصفعناه زمانا
هانئ الجربى أبوه زاده الله هوانا
سائل العباسَ واسمع فيه من أمك شانا
عجنوا من جُلنارٍ ليكيذك عجانا

جُلنار أم أبي نواس ، وتزوجها العباسُ بعد أبيه .

[هو والمعدل يتهاجيان]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ : قال : حدّثنا أبو قلابة عبدُ الملك بن محمد : قال : كان أبانُ اللاحقيّ صديقاً للمعدّل بن غيلان ، وكانا مع صداقتهما يتعابثان بالهجاء ، فيهجوه المعدّلُ بالكفر وينسبه إلى الشؤم ، ويهجوه أبان ، وينسبه إلى الفسء الذي تُهجى به عبدُ القيس ، وبالقِصر ، وكان المعدّلُ قصيراً ، فسعى في الإصلاح بينهما أبو عيينة المهلبيّ ، فقال له أخوه عبدُ الله ، وهو أسنّ منه : يا أخي إن في هذين شراً كثيراً ولا بدّ من أن يُخرجاه ، فدعهما ؛ ليكون شرهما بينهما ، وإلا فرّقه على الناس ، فقال أبان يهجو المعدّل :

[من الطويل]

أحاجيكم ما قوس لحم سهاؤها من الريح لم توصل بقيد ولا عقب¹

وليس بشريانٍ وليس بشَوْحَطٍ
 ألا تلك قوسُ الدَّحْدَحِيِّ معذَّلٍ
 وليست بنبعٍ لا وليست من الغُرب¹
 بها صار عبدياً وتمَّ له النسب²
 وإن كان راميهما يريد بها العُقبُ
 وبالقوس مضموماً لكسرى بها العربُ
 فإن تفتخر يوماً تميمٌ بحاجبٍ
 فحَيُّ ابن عمرو فاحرون بقَوْسه
 وأسهمه حتى يغلب مَنْ غلبُ

قال أبو قلابة : فقال المعذَّل في جواب ذلك :

رأيتُ أباناً يوم فطُرِ مصلياً
 وكيف يصلي مظلماً القلب ، دينه
 فقسّم فكري واستفزني الطربُ
 على دين ماني إن ذاك من العجبُ

[يهجو أبا النضير]

أخبرني محمد بن يحيى : قال : حدثنا عَوْن بن محمد الكندي : قال : كان لأبي النضير
 جوارٍ يغني ، ويخرجن إلى جِلَّة أهل البصرة ، وكان أبان بن عبد الحميد يهجوهم بذلك ، فمن
 ذلك قوله :

غضِب الأحمقُ إذ مازحهُ
 أو ذكرنا أنَّه لاعبها
 كيف لو كنا ذكرنا المزدغهُ³
 لعبة الجِدِّ بمزح الدغدغهُ³
 سَوَّدَ اللهُ بخمسٍ وجهه
 دُغِنَ أمثال طين الرذغهُ⁴
 خنفساوان وبتنا جعلُ
 والتي تفتُرُ عنها وزغهُ
 يكسر الشُّعرَ وإن عاتبته
 في مجالٍ قال : هذا في اللغهُ

وأنشدني عمِّي : قال : أنشدني الكُراني : قال : أنشدني أبو إسماعيل اللاحقي لجده أبان في
 هجاء أبي النضير ، [وأخبرني الصولي أنه وجدها بخط الكُراني] :

إذا قامت بواكيك وقد هتكن أستارك

1 الشريان والشوحط والنبع . أشجار تصنع منها القسي .

2 الدحدحي : القصير .

3 الدغدغة : الرزغة .

4 دغرن : سود ، جمع دغناء .

[من الهزج]

أَيْثِينَ عَلَى قَبْرِ كَ أُمِّ يَلْعَنُ أَحْجَارَكَ
وَمَا تَتْرَكَ فِي الدُّنْيَا إِذَا زَرْتِ غَدَاً نَارَكَ
تَرَى فِي سَقَرِ الْمَثْوَى وَابْلِيسَ غَدَاً جَارَكَ
لَمَنْ تَتْرَكَ زَقِيكَ وَذَنِيكَ وَأَوْتَارَكَ
وَخَمْسًا مِنْ بَنَاتِ اللَّيْلِ لَقَدْ أَلْسِنَ أَطْمَارَكَ
تَعَالَى اللَّهُ مَا أَقْبَحَ إِذْ وَلَّيْتَ أَدْبَارَكَ

وقال فيه أيضاً : [من الوافر]

قِيَانُ أَبِي النَّضِيرِ مَثَلَّجَاتُ غِنَاءٍ مِثْلَ شَعْرِ أَبِي النَّضِيرِ
فَلَا هَمْدَانَ حِينَ نَصِيفِ نَبِغِي وَلَا الْمَاهَيْنِ أَيَّامِ الْحَرُورِ¹
وَلَا نَبِغِي بِقَرْمِيسِينَ رَوْحَا وَلَا نُبْلِي الْبِغَالَ مِنَ الْمَسِيرِ
فَإِنْ رَمَتِ الْغِنَاءَ لَدَيْهِ فَاصْبِر إِذَا مَا جِئْتَهُ لِلزَّمْهَرِيرِ

[يهجو المعدل]

أخبرني محمد بن يحيى : قال : حدثنا أبو خليفة وأبو ذكوان والحسن بن علي النهدي : قالوا : كان المعدل بن غيلان المهري يجالس عيسى بن جعفر بن المنصور ، وهو يلي حينئذ إمارة البصرة من قبل الرشيد ، فوهب للمعدل بن غيلان له بيضة عنبر وزنها أربعة أرتال ، فقال أبان بن عبد الحميد :

[من السريع]

أَصْلَحَكَ اللَّهُ وَقَدْ أَصْلَحَا إِنِّي لَا آلُوكَ أَنْ أَنْصَحَا
عِلَامٌ تُعْطِي مَنْوِيَّ عَنَبِرٍ وَأَحْسِبُ الْخَازِنَ قَدْ أَرْجَحَا
مَنْ لَيْسَ مِنْ قِرْدٍ وَلَا كَلْبَةٍ أَبْهَى وَلَا أَحْلَى وَلَا أَمْلَحَا
[رَسُولٌ يَأْجُوجُ أَتَى عَنْهُمْ يَخْبِرُ أَنَّ الرُّومَ قَدْ أَقْبَحَا]
مَا بَيْنَ رَجْلَيْهِ إِلَى رَأْسِهِ شَيْءٌ فَلَا شَبَّ وَلَا أَفْلَحَا

[على باب الفضل بن يحيى]

أخبرني الصولي : قال : حدثنا أبو العيلاء : قال : حدثني الحرمازي : قال : خرج أبان بن

1 همدان والماهين وقرميسين : بلاد فارسية معروفة .

عبد الحميد من البصرة طالباً للاتصال بالبرامكة ، وكان الفضلُ بنُ يحيى غائباً ، فقصده ، فأقام ببابه مدةً مديدة لا يصل إليه فتوسَّلَ إلى مَنْ وصلَ له شعراً إليه ، وقيل : إنه توسَّلَ إلى بعض بني هاشم ممن شخص مع الفضل ، وقال له :

يا غزير الندى ويا جوهراً الجو
 إنَّ ظنِّي وليس يُخْلِفُ ظنِّي
 إن من دونها لمُصمَّتُ بابٍ
 تاقت النفسُ يا خليلَ السَّماحِ
 نحو بحرِ الندى مُجاري الرياحِ
 ثم فكَّرتُ كيف لي واستخرتُ اللد
 ه عند الإساءة والإصباحِ
 ه بشعرٍ مشهَّر الأوضاحِ
 وامتدحتُ الأميرَ أصلحَه اللد

فقال : هاتِ مدحك ، فأعطاه شعراً في الفضل في هذا الوزن وقافيته : [من الخفيف]

أنا مَنْ بُغِيَةُ الأميرِ وكنزُ
 كاتبُ حاسبٍ خطيبُ أديبٍ
 من كُنوزِ الأميرِ ذو أرياحِ
 ناصحٌ زائدٌ على النصَّاحِ
 شاعرٌ مُفلقٌ أخفُّ من الرِّيشِ
 ه مِمَّا يكونُ تحتَ الجَناحِ

وهي طويلة جداً يقول فيها :

إن دَعاني الأميرُ عاين منِّي
 شمريّاً كالْبُلْبُلِ الصَّيَّاحِ¹

قال : فدعا به ، ووصله ، ثم خصَّ بالفضل ، وقُدِّم معه ، فقُرِّب من قلب يحيى بن خالد وصار صاحب الجماعة وزمام أمرهم .

[يصل إلى الرشيد على حساب آل علي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبِّي : قال : حدَّثني علي بن محمد النوفلي : أنَّ أبان بن عبد الحميد عاتب البرامكة على تركهم إيصاله إلى الرشيد وإيصال مدحِه إليه ، فقالوا له : وما تريدُ من ذلك ؟ فقال : أريدُ أن أحظى منه بمثل ما يحظى به مروانُ بنُ أبي حفصة ، فقالوا له : إنَّ لمروانَ مذهباً في هجاء آل أبي طالب وذمِّهم ، به يحظى وعليه يُعطى ، فاسلُكُه حتى نفعل ، قال : لا أستحلُّ ذلك ، قالوا : فما تصنع ؟ لا يجيء طلبُ الدُّنيا إلا بما لا

يحلّ ، فقال أبان : [من الطويل]

نشدتُ بحقّ الله مَنْ كان مسلماً
أعمُّ بما قد قتلته العُجمَ والعربُ
أعمُّ رسولِ الله أقربُ زلفَةً
لديه أم ابنُ العمِّ في رتبة النسبِ
وأيهما أولى به وبعهده
ومن ذا له حقُّ التُّراثِ بما وجبُ
فإن كان عباسٌ أحقُّ بتلكمُ
وكان عليٌّ بعد ذلكَ على سببِ
فأبناءِ عباسٍ همُ يرثونه
كما العمُّ لابن العمِّ في الإرثِ قد حجبُ

وهي طويلة ، قد تركت ذكرها لما فيه ، فقال له الفضل : ما يرِدُ على أمير المؤمنين اليومَ شيءٌ أعجب إليه من أبياتك ، فركب فأنشدها الرّشيدَ ، فأمر لأبان بعشرين ألفَ درهم ، ثم اتصلت بعد ذلكَ خدمته الرّشيد ، وخصَّ به .

[بينه وبين عنان]

أخبرنا أبو العباس بن عمار عن أبي العيّن عن أبي العباس بن رستم قال : دخلت مع أبان بن عبد الحميد على عنانَ جاريةِ النّاطقيّ ، وهي في خيش ، فقال لها أبان :

[من المجتث]

العيشُ في الصيفِ خيشُ

فقلت مُسرعة : [من المجتث]

إذ لا قتالٌ وجيشُ

فأنشدتها أنا لجرير قوله : [من الطويل]

طللتُ أوارِي صاحبيّ صبابتي وهل علقنتني من هواك علقوُ

فقلت مُسرعة : [من الطويل]

إذا عقل الخوفُ اللسانَ تكلمتُ بأسراره عينٌ عليه نطوقُ

[مائدة بطيئة]

أخبرني الصوليّ : قال : حدّثنا محمد بن سعيد ، قال : حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن عبد الله بن محمد بن عثمان بن لاحق : قال : أولمَ محمد بن خالد ، فدعا أبان بن عبد الحميد والعتبيّ ، وعبيد الله بن عمرو ، وسهل بن عبد الحميد ، والحكم بن قنبر ، فاحتبس عنهم الغداء ، فجاء محمد بن خالد فوقف على الباب فقال : ألكم أعزكم الله حاجة ؟

يمازحهم بذلك ، فقال أبان : [من السريع]

حاجتُنَا فاعجَل علينا بها من الحشاوي كلَّ طُردين¹

فقال ابن قنبر بعد ذلك : [من السريع]

ومن خبيصٍ قد حَكَت عاشقاً صُفرتَه زِيَنَ بتلويِن

فقال عبيد الله بن عمرو : [من السريع]

وأَتَبِعُوا ذاكَ بَابِيَّةٍ فَإِنكُم آيِنُ آيِن²

فقال سَهْلٌ : [من السريع]

دَعْنَا من الشعرِ وأوصافه واعجَلْ علينا بالأخاوين³

فأحضر الغداء ، وخلع عليهم ووصلهم .

[يشبب بسلام تركي]

أخبرني الصولي : قال : حدثنا محمد بن زياد : قال : حدثني أبان بن سعيد الحميدي بن

أبان بن عبد الحميد : قال : اشترى جازاً لجدِّي أبان غلاماً تركياً بألف دينار ، وكان أبان

يهواه ويُخفي ذلك عن مولاه ، فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

ليتني ، والجاهلُ المغرورُ مَنْ غُرَّ بليتٍ

نلتُ مِمَّنْ لا أُسمِّي وهو جاري بَيْتَ بَيْتٍ

قُبلةٌ تُنعشُ مَيْتاً إِنني حَيٌّ كَمَيْتٍ

نتساقى الريقَ بعد الشرب من راحِ كُمَيْتٍ

لا أُسمِّيهِ ولكنْ هو في كَيْتٍ وكَيْتٍ

وكان اسمه يتك .

[بعض عمارة على الحرب من زوجها]

وقال أبو الفيَّاض سُوَّار بن أبي شُراعة : كان في جوار أبان بن عبد الحميد رجل من ثقيف

يقال له محمد بن خالد ، وكان عدواً لأبان ، فتزوَّج بعمارة بنت عبد الوهَّاب الثقفي ، وهي

1 الحشاوي : لم ترد في المعاجم ، ولعلها ما يُحشى . وطردين : طعام للأكراد .

2 الآيين : العادة ، والعرف المتبع في جماعة من الناس .

3 الأخاوين : جمع إخوان .

أخت عبد المجيد الذي كان ابن مُناذر يهواه ، وورثاه ، وهي مولاة جنان التي يُشَبَّبُ بها أبو نواس ، ويقولُ فيها :

خرجتُ تشهّدُ الزفافَ جِنانُ فاستمالتُ بحُسنها النَّظَّارةُ
قال أهلُ العروسِ لَمَّا رأوها ما دهانا بها سوى عَمَّارةُ

قال : وكانت موسرة ، فقال أبان بن عبد الحميد يهجوه ويحذرها منه : [من السريع]

لَمَّا رأيتَ البَزَّ والشارهَ والفرشَ قد ضاقتُ به الحارَهَ
واللوزَ والسكَّرَ يُرْمَى به من فوق ذي الدار وذي الدارَهَ
وأحضروا المُلْهينَ لم يتركوا طبلاً ولا صاحبَ زَمَّارةُ
قلت : لماذا ؟ قيل أعجوبةُ محمد زُوجِ عَمَّارةُ
لا عَمَّرَ اللهُ بها بيتَه ولا رآته مُدْرِكاً ثارَهَ
ماذا رأتَ فيه وماذا رجَّتْ وهي من النسوانِ مُختارَهَ
أسودَ كالسَّفودِ يُنسى لدى التَّنُّ نور بل محراكُ قَيَّارةُ¹
يُجْرِي على أولاده خمسةُ أرغفةُ كالرَّيشِ طيَّارةُ
وأهله في الأرض من خوفه إن أفرطوا في الأكل سيَّارةُ
ويحكُ فِرِّي وأعصبي ذاك بي فهذه أختك فرَّارةُ
إذا غفا بالليل فاستيقظي ثم اطفِري إنك طفَّارةُ
فصعَّدتِ نائلةً سلَّما تخافُ أن تصعده الفارةُ
سُرورُ غرَّتْها فلا أفلحتُ فإنها اللِّخْماءُ غرَّارةُ
لو نلتَ ما أبعدتَ من ريقها إن لها نَفْثَةَ سَحَّارةُ

قال : فلَمَّا بلغتُ قصيدتهُ هذه عَمَّارة هربتُ فحَرِّمَ الثَّقَفِيَّ من جهتها مالا عظيماً ، قال :

والثلاثة الأبيات التي أولها :

فصعَّدتِ نائلةً سلما

زادها في القصيدة بعد أن هربت .

1 القَيَّارة : أصله القير وهو الرفت .

[ابن مناذر يهجو]

أخبرني الأخفش عن المبرد عن أبي وإيالة ، قال : كان أبان اللاحقى يُولعُ بابن مُناذر ، ويقول له : إنما أنت شاعر في المراثي ، فإذا متَّ فلا ترثني ، فكثرت ذلك من أبان عليه ، حتى أغضبه ، فقال فيه ابنُ مُناذر :

عُنجُ أبانٍ ولينُ منطقَه يخبر النَّاسَ أنَّه حَلَقِي¹
 داءُ به تُعرَفونَ كُلُّكمُ يا آلَ عبدِ الحميدِ في الأفُقِ
 حتَّى إذا ما المساءُ جَلَّلُه كانَ أَطبَّأوهُ على الطُّرُقِ
 ففرَّجوا عنه بعضَ كربتِه بمسبِطٍ مُطوَّقِ العُنُقِ

قال : وهجاه بمثل هذه القصيدة ، ولم يجبه أبانُ خوفاً منه ، وسُعيَ بينهما ، فأمسك عنه .

[أكان يهودياً]

أخبرني الصُّولي ، عن محمد بن سعيد ، عن عيسى بن إسماعيل : قال : جلس أبانُ بن عبد الحميد ليلة في قوم ، فثلب أباً عبيدة فقال : يقدحُ في الأنساب ولا نَسبَ له . فبلغ ذلك أباً عبيدة فقال في مجلسه : لقد أغفل السلطانُ كلَّ شيءٍ حتى أغفل أخذَ الجزية من أبان اللاحقى ، وهو وأهله يهود ، وهذه منازلهم فيها أسفار التوراة ، وليس فيها مُصحف ، وأوضحُ الدلالة على يهوديتهم أن أكثرهم يدعي حفظَ التوراة ، ولا يحفظُ من القرآن ما يُصلِّي به ، فبلغ ذلك أباناً فقال :

[من الخفيف]

لا تَيمَنَنَّ عنُ صديقِ حديثاً واستعِذْ من تسرُّرِ النَّمَامِ
 واحفضِ الصَّوتَ إن نطقتَ بليلٍ والتفتِ بالنَّهارِ قبلَ الكلامِ

[أكان كافراً]

أخبرني أبو الحسن الأسدِي قال : حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة : قال : كنا في مجلسِ أبي زيد الأنصاري ، فذكروا أبان بن عبد الحميد ، فقالوا : كان كافراً ، فغضب أبو زيد ، وقال : كان جاري ، فما فقدتُ قرآنَه في ليلة قطُّ .

[يقضي علي، جاره المريض]

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي عن دَماذ : قال : كان لأبان جارٌ ، وكان يعاديه ، فاعتلَّ
 علّةً طويلةً وأرجف أبانُ بموته ، ثم صَحَّ من علته ، وخرج ، فجلس على بابه ، فكانت علته
 من السُّلِّ ، وكان يكنى أبا الأطول ، فقال له أبان :

[من الهزج]

أبا الأطولِ طَوَّلْتَ	ومسا يُنجيك تطويلُ
بك السُّلُّ ولا والدُ	هـ ما يبرأ مسلولُ
فلا يغرركَ من طيِّبٍ	ك أقوالُ أباطيلُ
أرى فيكَ علاماتٍ	وللأسبابِ تأويلُ
هُزلاً قد برى جسـ	حك والمسلولُ مهزولُ
وذيَّباناً حوائِكَ	فموقودٌ ومقتولُ ¹
وحُمى منك في الظَّهرِ	فأنت الدهرَ مملولُ
وأعلاماً سوى ذاك	تواريهـا السراويلُ
ولو بالفيلِ ممَّا بـ	ك عُشرٌ ما نجا الفيلُ
فما هذا على فيكَ	قُلاعٌ أم دَماملُ ²
وما زال مُناجيكَ	يُولِّي وهو مَبْلولُ
لئن كان من الجَوْفِ	لقد سالَ بِك النُّيلُ
وذا داءٌ يُزجِّيكَ	فلا قالَ ولا قيلُ

فلَمَّا أنشده هذا الشعرَ أُرِيدُ ، واضطرب ، ودخل منزله ، فما خرج منه بعد ذلك ، حتى

. مات .

صوت

[من الخفيف]

ما تزال الديارُ في بُرقةِ النَّجِّ مد لسعدى بقرقرى تُبكي³

1 الموقود : الصريع .

2 القلاع : داء يصيب الفم .

3 قرقرى : موضع باليمامة .

قد تحيلتُ كي أرى وجهَ سَعْدِي فإذا كلَّ حيلةَ تعينِي
 قلتُ لما وقفتُ في سُدَّةِ البَا ب لسَعْدِي مَقَالَةَ المِسْكِينِ
 افعلي بي يا رَبَّةَ الخِدرِ خَيْراً ومن المَاءِ شَرِبَةً فاسقِينِي
 قالتِ : المَاءِ فِي الرَّكِيِّ كَثِيرٌ قلتُ : مَاءِ الرَّكِيِّ لَا يُروِينِي
 طرحتُ دونيَ السُّتورَ وقالتُ : كلُّ يَوْمٍ بعلَّةٍ تَأْتِينِي

الشعر لتويت اليماميّ ، والغناء لأبي زكار الأعمى ، رَمَل بالوسطى ، ابتداؤه نشيد من

رواية الهشاميّ .

[514] - أخبار تويت ونسبه

[نسبه]

تُوِّت لقب ، واسمه عبدُ الملك بن عبد العزيز السَّلُولِيّ من أهل اليمامة ، لم يقع لي غير هذا وجدته بخط أبي العباس بن ثوابة ، عن عبد الله بن شبيب من أخبار رواها عنه .

وتُوِّت أحدُ الشعراء اليماميين من طبقة يحيى بن طالب وبني أبي حفصة وذويهم ، ولم يَفِدْ إلى خليفة ، ولا وجدتُ له مديحاً في الأَكابر والرؤساء فأخمل ذلك ذكره ، وكان شاعراً فصيحاً نشأ باليمامة وتوفي بها .

[حبيته تضره]

قال عبد الله بن شبيب : كانت تويت يهوى امرأةً من أهل اليمامة يقال لها : سَعْدَى بنتُ أزهر ، وكان يقول فيها الشعر ، فبلغها شعره من وراء وراء ، ولم تره ، فمرَّ بها يوماً ، وهي مع أتراب لها ، فقلن : هذا صاحبك ، وكان دَمِيماً ، فقامت إليه وقمن معها ، فضرته ، وخرقن ثيابه ، فاستعدى عليهن فلم يُعدهِ الوالي ، فأنشأ يقول : [من المنسرح]

إنَّ الغواني جرحنَ في جسدي من بعد ما قد فرغنَ من كيدي
وقد شققنَ الرِّداءَ ثُمَّتَ لم يُعدي عليهنَّ صاحبُ البلدِ
لم يُعديني الأحولُ المشومُ وقد أبصرَ ما قد صنعنَ في جسدي

[ترق له]

قال : فلما جرى هذا بينه وبينها عقد له في قلبها رقة ، وكانت تتعرض له إذا مرَّ بها ، واجتاز يوماً يفنائها فلم تتوار عنه ، وأرته أنها لم تره ، فلما وقف ملياً سترت وجهها بخمارها ، فقال تويت : [من الطويل]

ألا أيُّها الثارُ الذي ليسَ نائماً على ترةٍ إن مُتَّ من حُبِّها غداً
خذوا بدمي سَعْدَى فسعدى منيتها غداة النقا صادتُ فؤاداً مقصداً¹

بآية ما ردت غداة لقيتها على طرف عينيها الرداء المورداً

[فانثله تحج]

قال ابن شبيب: ولقيها راحلة نحو مكة حاجة، فأخذ بخظام بعيرها وقال: [من الكامل]

قل للتي بكرت تريد رحيلا للحج إذ وجدت إليه سيلا
ما تصنعين بحجة أو عمرة لا تقبلان وقد قتلت قتيلا
أحبي قتيلك ثم حجي وانسكي فيكون حجك طاهراً مقبولاً

فقلت له: أرسل الخظام، خييك الله وقبحك، فأرسله، وسارت.

[يهجو زوجها]

قال عبد الله بن شبيب: ثم تزوجها أبو الجنوب يحيى بن أبي حفصة، فحججها،

وانقطع ما كان بينها وبين تويت، فطفق يهجو يحيى فقال: [من الوافر]

عناء سيق للقلب الطروب فقد حجبت معذبة القلوب
أقول وقد عرفت لها محلاً ففاضت عبرة العين السكوب
ألا يا دار سعدى كلمينا وما في دار سعدى من مجيب
ولما ضمها وحوى عليها تركت له بعاقبة نصيب
وقلت: زحام مثلك مثل يحيى لعمرك ليس بالرأي المصيب
فما لك مثل لئته تدرى وما لك مثل بخل أبي الجنوب¹
إذا فقد الرغيف بكى عليه وأتبع ذاك تشقيق الجيوب
يعذب أهله في القرص حتى يظلوا منه في يوم عصب²

وقال أيضاً:

ألا في سبيل الله نفس تقسمت شعاعاً وقلباً للحسان صديق
أفاقت قلوب كُنْ عذبن بالهوى زماناً وقلبي ما أراه يُفبق
سرق فوادي ثم لا ترجعينه وبعض الغواني للقلوب سروق

1 لئته تدرى في ل: ما جنيت بدأ.

2 القرص: أي قرص العجين.

عَرُوفُ الهوى بالوعد حتى إذا جرتُ
ورُدَّتْ جمالُ الحيِّ وانشَقَّتِ العصا
ندمتُ على ألاَّ تكوني جزيتني
لعلَّك أن نناى جميعاً بغلَّة
عصيتُ بكِ الناهين حتى لو أنني
ببَيِّنِكَ غريبانُ لهن نَعِيقُ
وَأَذَنَ بالبين المُشِتُّ صَدُوقُ
زَعَمَتِ وكلُّ الغانياتِ مَذُوقُ
تذوقين من حرِّ الهوى وأذوقُ¹
أموتُ لما أرعى عليَّ شَفِيقُ

[من مختار قوله في سعدى]

ومن مختار قول تويت في سعدى هذه مما أخذته من رواية عبد الله بن شبيب من قصيدة
أولها :
[من الوافر]

سُرْضِي فِي سَعِيدِي عَادِلِينَا
يقول فيها :

لَقِيتُ سَعِيدَ تَمَشِي فِي جَوَارِ
سَلَبِنَ الْقَلْبَ ثُمَّ مَضِينَ عَنِّي
فَقَلْتُ وَقَدْ بَقِيَتْ بِغَيْرِ قَلْبِ
فَمَا تَجْزِينَ يَا سَعِيدِي مُجِبًا
وَقَالَتْ إِذْ شَكُوتَ الْمَطْلَ مِنْهَا
وَمَنْ هَذَا الَّذِي إِنْ جَاءَ يَشْكُو
فَهَنْ فَوَاعِلٌ بِي غَيْرَ شَكِّ
بِعُرْوَةٍ وَالَّذِي بِسَهَامٍ هِنْدِ

ومن مختار قوله فيها :

سَلِ الْأَطْلَالَ إِنْ نَفَعَ السُّؤَالُ
عَنْ الْخَوْذِ الَّتِي قَتَلْتِكِ ظَلْمًا
أَصَابَكَ مُقْلَتَانِ لَهَا وَجِيدُ
وإن لم يربح الركبُ العِجَالُ
وليس بها إذا بَطَشْتَ قِتَالُ
وأشنبُ باردٌ عذبٌ زُلَالُ

1 نأى في ل : بنا .

2 يقصد عبد الله بن عجلان وصاحبه هند .

أَعَارِكِ مَا تَبَلَّتْ بِهِ فُوَادِي
 أَيْسَا ثَارَاتِ مَنْ قَتَلْتَهُ سَعْدِي
 أَرْقُ لَهَا وَأَشْفِقُ بَعْدَ قَتْلِي
 وَمَا جَادَتْ لَنَا يَوْمًا يَبْذُلُ
 مِنَ الْعَيْنِينَ وَالْجِيدِ الْغَزَالُ
 دَمِي ، لَا تَطْلُبُوهُ ، لَهَا حَلَالُ
 عَلَى سَعْدِي وَإِنْ قَلَّ النَّوَالُ
 يَمِينٌ مِنْ سَعَادَ وَلَا شِمَالُ

[من الكامل]

بَدْمِي غَدَاً وَالثَّأْرُ أَجْهَدُ طَالِبُ
 يَنْعَى قَتِيلَكَ فَافْرَعِي لِلرَّكَابِ
 عَنْ قَوْسٍ مَتَلَفَّةٍ بِسَهْمٍ صَائِبِ
 وَتَرَكْتِ صَاحِبَهُمْ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ
 يَهْوَى فَإِنْ هَوَاكِ أَصْبَحَ غَالِبِي
 لَمَّا اغْتَرَّرْتُ وَأَوْمَاتُ بِالْحَاجِبِ
 حَتَّى يُزَوِّدَ أَوْ يَرْوَحَ بِصَاحِبِ

[من الكامل]

وَصَبَا الْقَلْبُ إِلَى أُمِّ عُمَرَ
 وَبِحَ هَذَا الْقَلْبِ مِنْ طُولِ الْفِكْرِ
 أَيْنَ مَنْ يَمْلِكُ أَسْبَابَ الْقَدَرِ
 إِنْ نَجَتْ نَفْسِي مِنَ الْمَوْتِ هَدَرُ

[من الكامل]

وَالْعَيْنُ إِنْ تَرَّ بَرْقَ نَجْدٍ تَذْرِفِ
 كَبْرَتْ فَرْدُ رَسُولُهَا لَمْ يُسْعَفِ
 خَيْرًا عَلَى وَدِّي لَكُمْ وَتَلْطُفِي
 فِي طَرَفِ عَيْنِكَ هَكَذَا لَمْ تَطْرِفِ
 مِثْلَ الْجَنَاحِ مَعْلَقًا فِي نَفْنَفٍ¹

ومن قوله فيها أيضاً :

يَا بِنْتَ أَزْهَرَ إِنْ ثَارِي طَالِبُ
 فَإِذَا سَمِعْتَ بِرَاكِبٍ مُتَعَصِّبِ
 فَلَأَنْتِ مِنْ بَيْنِ الْأَنْامِ رَمِيْتِي
 لَا تَأْمَنِي شَمُّ الْأَنْوَفِ وَتَرْتَهُمْ
 مَنْ كَانَ أَصْبَحَ غَالِبًا لَهْوَى الَّتِي
 قَالَتْ وَأَسْبَلَتْ الدَّمْعُوعَ لِتَرْبِهَا
 قَوْلِي لَهُ : بِاللَّهِ يُطْلِقُ رَحْلَهُ

وقال فيها أيضاً :

أَرْقُ الْعَيْنَ مِنَ الشَّقْوِ السَّهْرُ
 وَاعْتَرَّتْنِي فِكْرَةٌ مِنْ حُبِّهَا
 قَدْرٌ سَيِّقَ فَمَنْ يَمْلِكُهُ
 كُلُّ شَيْءٍ نَالْنِي مِنْ حُبِّهَا

وقال أيضاً :

يَا لِلرِّجَالِ لِقَلْبِكَ الْمُتَطَرِّفِ
 وَلِحَاجَةِ يَوْمِ الْعَبِيرِ تَعَرَّضْتَ
 يَا بِنْتَ أَزْهَرَ مَا أَرَاكِ مُثَيِّبَتِي
 إِنِّي وَإِنْ خُبِرْتِ أَنَّ حَيَاتِنَا
 لِيُظَلُّ قَلْبِي مِنْ مَخَافَةِ بَيْنِكُمْ

وَلِيُظَلَّ فِي هَجْرِ الْأَحْبَةِ طَالِبًا لِرِضَاكِ تَمَّا جَارِ إِنْ لَمْ تُسْعَفِي
كَأَخِي الْفَلَاةَ يَغْرَهُ مِنْ مَائِهَا قَطَعُ السَّرَابِ جَرَى بِقَاعِ صَفْصَفِ
أَهْرَاقَ نُطْفَتِهِ فَلَمَّا جَاءَهَا وَجَدَ الْمَيْتَةَ عِنْدَهَا لَمْ تُخْلِفِ

صوت

[من الطويل]

أَمِنْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ حَادِثٍ بِقَرِيكَ مِنْ خَيْرِ الْوَرَى يَا ابْنَ حَارِثِ
إِمَامٌ حَوَى إِرْثَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَأَكْرِمُ بِهِ مِنْ ابْنِ عَمٍّ وَوَارِثِ

الشعر والغناء لمحمد بن الحارث بن بسخر، خفيف رمل بالبنصر مطلق من جامع أغانيه

وعن الهشامي .

[515] - أخبار محمد بن الحارث

[مروءة أبيه]

مولى المنصور ، وأصله من الرّبيّ من أولاد المرازبة ، وكان الحارث بن بسخرّ أبوه رفيع القدر عند السلطان ، ومن وجوه قواده وولاه الهادي ، ويقال الرشيد ، الحرب والخراج بكور الأهواز كلها .

فأخبرني حبيب المهلبيّ : قال حدّثني النوفليّ عن محمد بن الحارث بن بسخرّ : قال : كنت بالدّير ، وكان رجل من أهلها يعرض عليّ الحوائج ويخدمني فيكرّمني ، ويذكر قديمنا ، ويترحم على أبي ، فقال لي رجل من أهل تلك الناحية : أتعرف سبب شكر هذا لأبيك ؟ قلت : لا ، قال : فإن أباه حدّثني ، وكان يعرف بابن بانه ، بأن أباك الحارث بن بسخرّ اجتاز بهم يريد الأهواز فتلقاه بدجلة العوراء ، وأهدى له صقوراً وبواشق صائدة ، فقال له : الحقّ بي بالأهواز ، فقال له يوماً : إنني نظرت في أمور الأعمال بالأهواز ، فلم أجد شيئاً منها يرتفق منه بما قدّرت أن أبرك به ، وقد ساومني التّجار بالأهواز بالأرز ، وقد جعلته لك بالسعر الذي بذلوه ، وسيأتونني ، فأعلمهم بذلك ، فقلت : نعم ، فجاءوا ، وخلصوه منه بأربعين ألف دينار ، فصرت إلى الحارث فأعلمته ، فقال لي : أرضيتَ بذلك ؟ فقلت : نعم ، قال : فانصرف .

ولما قفل الحارث من الأهواز مرّ بالمدائن ، فلقيه الحسين بن مُحَرِّز المدائنيّ المغنيّ فغناه :

قد علم الله علا عرشه أني إلى الحارث مشتاق

فقال له : دعني من شوقك إليّ ، وسلني حاجة فإني مُبادر ، فقال له : عليّ دين مائة ألف درهم ، فقال : هي عليّ ، وأمر له بها ، وأصعد .

[كان من أصحاب إبراهيم بن المهديّ ويسير على منهاجه]

وكان محمد بن الحارث من أصحاب إبراهيم بن المهديّ والمتعصّبين له على إسحاق ، وعن إبراهيم بن المهديّ أخذ الغناء ، ومن بحره استقى ، وعلى منهاجه جرى .

[جاسوس غير أمين]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق ، عن محمد بن هارون الهاشمي ، عن هبة الله بن إبراهيم بن المهدي : قال : كان المأمون قد أزم أبي رجلاً ينقل إليه كل ما يسمعه من لفظ جدياً وهزلاً شعراً وغناء ، ثم لم يثق به ، فألزمه مكانه محمد بن الحارث بن بسخر ، فقال له : أيها الأمير ، قل ما شئت واصنع ما أحببت ، فوالله لا بلغتُ عنك أبداً إلا ما تحب ، وطالت صحبته له ، حتى أمنه وأنس به ، وكان محمد يغني بالمعزفة فنقله أبي إلى العود ، وواظب عليه حتى حذقه ، ثم قال له محمد بن الحارث يوماً : أنا عبدك وخريجك وصنيعتك ، فإخصمني بأن أروي عنك صنعتك ، ففعل ، وألقى عليه غناءه أجمع ، فأخذته عنه ، فما ذهب عليه شيء منه ولا شدة .

[يغني للوائق]

وقال العتابي : حدثني محمد بن أحمد بن المكّي : قال : حدثني أبي : قال : كان محمد بن الحارث قليل الصنعة ، وسمعتُه يغني اللوائق في صنعته في شعر له مدحه به وهو : [من الطويل] أمّنتَ بإذنِ الله من كلِّ حادثٍ بقربك من خير الوري يا ابنَ حارثٍ فأمر له بألفي دينار .

وذكر علي بن محمد الهشامي ، عن حمدون بن إسماعيل ، قال : كان محمد بن الحارث قد صنع هزجاً في هذا الشعر :

[من مجزوء الكامل]

صوت

أصِحتُ عبداً مُسترقاً أبكي الألى سكنوا دِمَشقاً
أعطيتهم قلبي فَمَنْ يَبقى بلا قلبٍ فأبقي

[يهب لحنه لغيره]

وطرحه على المسدود ، فغناه ، فاستحسنه محمد بن الحارث منه لطيب مسموع المسدود ، ثم قال : يا مسدود ، أتحبُّ أن أهبه لك ؟ قال : نعم ، قال : قد فعلتُ ، فكان يُغنيه ، ويدعيه ، وهو لمحمد بن الحارث .

وقال العتابي : حدثني شروين المغني المدادي . أن صنعة محمد بن الحارث بلغت عشرة أصوات ، وأنه أخذها كلها عنه ، وأن منها في طريقة الرمل ، قال : وهو أحسن ما صنعه .

صوت

[من المقارب]

أيا مَنْ دَعَانِي فَلَيْبَتُهُ يبذلُ الهوى وهو لا يبذلُ
يُبدِلُ عَلَيَّ بِحُبِّي لَهُ فَمَنْ ذاكِ يَفْعَلُ ما يَفْعَلُ

لَحْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ فِي هَذَا الصَّوْتِ رَمَلٌ مُطْلَقٌ ، وَفِيهِ لِيَزِيدَ حَوْرَاءَ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ وَفِيهِ لِسُلَيْمٍ لَحْنٌ وَجَدْتَهُ فِي جَمِيعِ أَغَانِيهِ غَيْرِ مُجَنَّسٍ .

[مع ابن العباس الربيعي]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ : قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ : قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو تَوْبَةَ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَمْرٍو بْنِ بَانَةَ : قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ بَسْخَرٍ فِي مَنْزِلِهِ ، وَنَحْنُ مُصْطَبِحُونَ فِي يَوْمِ غَيْمٍ ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَتْنَا رُقْعَةٌ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ الرَّبِيعِيِّ ، وَقَدْ اجْتَازَ بِنَا مُصْعِدًا إِلَى سُرٍّ مَنْ رَأَى ، وَهُوَ فِي سَفِينَةٍ ، فَفَضَّهَا مُحَمَّدٌ ، وَقَرَأَهَا ، وَإِذَا فِيهَا :

[من الطويل]

مُحَمَّدٌ قَدْ جَادَتْ عَلَيْنَا بَوَدِّقِهَا سَحَائِبُ مُزْنٍ يَرْقُهَا يَتَهَلَّلُ
وَنَحْنُ مِنَ الْقَاطُولِ فِي مُتَرَبِّعٍ لَهُ مَسْرَحٌ سَهْلُ الْحَلَّةِ مُبْقِلُ¹
فَمُرٌّ فَائِزًا تَقْدِيكَ نَفْسِي يُغْنِي أَعْنُ ظُعْنِ الْحَيِّ الْأَلَى كُنْتَ تَسْأَلُ
وَلَا تَسْقِنِي إِلَّا حَلَالًا فَإِنِّي أَعَافُ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَا يُحَلَّلُ

فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ مُسْتَعْجِلًا حَافِيًا ، حَتَّى نَزَلَ إِلَيْهِ فَتَلَقَّاهُ ، وَحَلَفَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مَعَهُ ، وَسَارَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَاصْطَبَحَا يَوْمَئِذٍ ، وَغَنَّا فَائِزًا غَلَامُهُ هَذَا الصَّوْتَ ، وَكَانَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ ، وَغَنَّا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ وَجَوَارِيهِ وَكُلٌّ مِنْ حَضَرَ يَوْمَئِذٍ ، وَغَنَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ الرَّبِيعِيِّ أَيْضًا أَصَوَاتًا وَصَنَعَ يَوْمَئِذٍ هَذَا الْهَزَجَ ، فَقَالَ :

[من الكامل]

يَا طَيْبَ يَوْمِي بِالْمَطِيرَةِ مُعْمِلًا² لِلْكَأْسِ عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ²

1 القاطول : موضع على دجلة .

2 المطيرة : قرية من نواحي سامراء وكانت من منزهات بغداد .

في فِتْيَةٍ لا يسمعون لعاذلٍ قولاً ولا لمسوفٍ أو رائثٍ

[عجائز أبيه أساتذة مخارق]

حدَّثني وسواسه¹ : قال : حدَّثني حماد بن إسحاق : قال : كان أبي يستحسنُ غناء جوارِي الحارث بن بسخنر ، ويعتمدُ على تعليمهنَّ لجواريه ، وكان إذا اضطربَ على واحدة منهنَّ أو على غيرهنَّ صوتٌ ، أو وقع فيه اختلاف ، اعتمدَ على الرجوع فيه إليهنَّ . ولقد غنَّي مُخارقٌ يوماً بين يديه صوتاً ، فتزايد فيه الزوائدُ التي كان يستعملها ، حتى اضطرب . فضحك أبي ، وقال : يا أبا المهنَّا ، قد ساء بعدي أدبُك في غنائِك فالزم عجائز الحارث بن بسخنر يُقومنَ أوداك .

صوت

[من الوافر]

بنانُ يدٍ تُشيرُ إلى بنانٍ تجاوبتا وما يتكلمانِ
جرى الإيماءُ بينهما رسولاً فأحكم وحيهُ المتناجيانِ
فلو أبصرته لغضضتَ طرفاً عن المتناجيينَ بلا لسانِ

الشعر لِماني المَوْسوس ، والغناء لعُمر المَيْداني هزَج ، وفيه لعَرِيب لَحْنٌ من الهزَج أيضاً .

1 وسواسه : هو محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي .

[516] - أخبار ماني الموسوس

[نسيه]

هو رجلٌ من أهل مصر ، يكنى أبا الحسن واسمه محمدُ بنُ القاسم ، شاعرٌ لَين الشعر رقيقه ، لم يقل شيئاً إلا في الغزل ، وماني لقب غلب عليه ، وكان قديم مدينة السلام ، ولقيه جماعةٌ من شيوخنا ، منهم أبو العباس محمد بن عمّار وأبو الحسن الأسدي وغيرهما .

[ينشد للريان البصري]

فحدّثني أبو العباس بن عمّار ، قال : كان ماني يألُفني ، وكان مليحَ الإنشاد حلوه ، رقيقَ الشعر غزله ، فكان يُنشدني الشيء ، ثم يُخالط ، فيقطعه ، وكان يوماً جالساً إلى جنبي ، فأنشدني للريان البصري :

[من المنسرح]

ما أنصفتك العيون لم تكف	وقد رأيت الحبيب لم يقف
فابك دياراً حلّ الحبيب بها	فباع منها الجفاء باللطف
ثم استعارت مسامعاً كسد اللد	وم عليها من عاشق كلف
كاتها إذ تقنعت بيلي	شمطاء ما تستقل من خرف
يا عين إما أرتني سكناً	غضبان يزوي بوجه منصرف
فمثليه للقلب مُتسماً	في شخص راض علي منصرف
إن تصفيه للقلب منقبضاً	فانت أشقى منه به فصفي
يقال بالصبر قتل ذي كلف	كيف وصبري يموت من كلف
إذا دعا الشوق عبرة لهوى	فأي جن يقول لا تكفي
ومستراي للهو تنفسح الـ	مقلّة في حافيه مؤتلف
قصرت أيامه على نفر	لا منن بالندی ولا أسف
بجيت إن شئت أن ترى قمراً	يسعى عليهم بالكأس ذا نطف ¹

قال : فسألتُه أن يملئها عليّ ، ففعل ، ثم قال : اكتب ، فعارضه أبو الحسن المصري : يعني «ماني» نفسه فقال :

[من المنسرح]

أقفرَ مَغْنَى الديارِ بالنَّجْفِ	وحُلَّتْ عمّا عهدتُ من لَطْفِ
طويتُ عنها الرِّضا مذمّمةً	لَمَّا انطوى غَضُّ عيشِها الأنْفِ
حَلَلْتُ عن سَكْرَةِ الصَّبَابَةِ من	خوفِ إلهي بمعزلٍ قُدْفِ ¹
سَمِعْتُ وِرْدَ الصُّبَا فقد يَمَسْتُ	مَنِّي بناتُ الخدورِ والخَرْفِ ²
سلوتُ عن نُهْدِ نُسَيْنَ إلى	حسنِ قَوامٍ واللحظِ في وَطْفِ
يمددَن حَبِلَ الصُّبَا لَمَن أَلْفَتْ	رجلاه قَدَّ المحولِ والدَّنْفِ
ومُدْنَفٍ عادَ في النحولِ من الوجـ	د إلى مثلِ رِقَّةِ الألفِ
يشاركُ الطيرَ في النَّحيبِ ولا	يَشْرِكَنه في النُّحولِ والقَضْفِ ³
ومُسمِعاتٍ نَهَكْنَ أعْظَمَهُ	فهو من الضيمِ غيرُ متَصِفِ
مفتخراتٍ بالجورِ عَجْباً كما	يفخرُ أهلُ السِّقاهِ بالجَنْفِ
وقهوةٍ من نِتاجِ قُطْرُبُلِ	تخطفِ عقلَ الفتى بلا عُنْفِ
ترجعُ شَرخَ الشبابِ للخَرْفِ الـ	فاني وتُدني الفتى من الشَّعْفِ

[يصفع المؤذن]

قال : فبينما هو يُنشد إذ نظر إلى إمام المسجد الذي كُنّا بإزائه قد صعد المئذنة ليؤذّن فأمسك عن الإنشاد ، ونظر إليه ، وكان شيخاً ضعيفاً الجسم والصوت ، فأذّن أذناً ضعيفاً بصوت مرتعش ، فصعد إليه ماني مُسرِعاً ، حتى صار معه في رأس الصَّومعة ، ثم أخذ بلحيته ، فصفعه في صلّعته صفعَةً ظننتُ أنّه قد قلع رأسه ، وجاء لها صوتٌ منكرٌ شديد ، ثم قال له : إذا صعدت المنارة لتؤذّن ، فعَطِطْ⁴ ، ولا تَمَطِّطْ ، ثم نزل ومضى يعدو على وجهه . ولقيتُ عنتاً من عتب الشيخ وشكواه إياي إلى أبي ومشاخي الجيران ،

1 بمعزل : بمعرك

2 الخرف : هز اليدين في تبختر .

3 القفض : النحافة .

4 عطط من العططة وهي تتابع الأصوات واختلافها ، وهي أيضاً حكاية صوت .

يقول لهم : هذا ابن عمّار يجيء بالمجانين ، فيكتبُ هَدْيَانَهُمْ ، ويسلّطهم على المشايخ فيصفعونهم في الصوامع إذا أذّنوا ، حتى صرتُ إلى منزله ، فاعتذرت وحلفت أنّي إنّما أكتب شيئاً من شعره ، وما عرفت ما عمله ولا أحيطُ به علماً .
[الجارية تغني وهو يضيف]

ونسخت من كتاب لابن البراء : حدّثني أبي قال : عزم محمد بن عبد الله بن طاهر على الصَّبوح ، وعنده الحسن بن محمد بن طالوت ، فقال له محمد : كُنّا نحتاج أن يكون معنا ثالثٌ نأنسُ به ونلذُّ في مجاورته فَمَنْ ترى أن يكون ! فقال ابن طالوت : لقد خَطَرَ ببالي رجل ليسَ علينا في منادمته ثِقَل ، قد خلا من إبرام المجالسين ، وبريء من ثِقَل المؤانسين ، خفيف الوطأة إذا أدنيتَه ، سريع الوثبة إذا أمرته ، قال : مَنْ هو ؟ قال : ماني الموسوس ، قال : ما أسأت الاختيار ، ثم تقدّم إلى صاحب الشرطة بطلبه وإحضاره ، فما كان بأسرع من أن قبض عليه صاحب الشرطة بربع الكرخ فوافى به باب محمد بن عبد الله ، فأدخل ، ونظّف ، وأخذ من شعره ، وألبس ثياباً نظافاً ، وأدخل على محمد بن عبد الله ، فلما مثل بين يديه سلّم ، فردّ عليه ، وقال له : أما حان لك أن تزورنا مع شوقنا إليك ؟ فقال له ماني : أعزّ الله الأمير : الشوق شديد ، والودُّ عتيد ، والحجابُ صعب ، والبواب فظٌّ ، ولو تسهّل لنا الإذن لسهّلت علينا الزيارة ، فقال له محمد : لقد لطفت في الاستئذان ، وأمره بالجلوس . فجلس ، وقد كان أطمع قبل أن يدخل ، فأتى محمد بن عبد الله بجارية لإحدى بنات المهديّ ، يقال لها : منوسة ، وكان يحبّ السماع منها ، وكانت تُكثر أن تكونَ عنده ، فكان أوّل ما غنّته :

ولستُ بناسٍ إذ غدوا فتحملّوا دُموعي على الخدين من شدّة الوجدي
وقولي وقد زالت بعيني حمولهم بواكرُ تحدى لا يكن آخر العهد

فقال ماني : أيّاذن لي الأمير ؟ قال : في ماذا ؟ قال : في استحسان ما أسمع ، قال : نعم ، قال :
أحسنت والله ، فإن رأيت أن تريدي مع هذا الشعر هذين البيتين :

وقمتُ أداري الدمع والقلب حائرٌ بمقلةٍ موقوفٍ على الضّرّ والجهد
ولم يُعدني هذا الأميرُ بعدله على ظالمٍ قد لَجَّ في الهجرِ والصدّ

فقال له محمد : ومن أيّ شيء استعديتَ يا ماني ؟ فاستحيا ، وقال : لا من ظلم أيّها الأمير ،
ولكن الطّربَ حرّك شوقاً كان كامناً ، فظهر . ثم غنّت : [من الخفيف]

حجّبوها عن الرياح لأنّي قلت : يا ريحُ بلّغيها السّلاما
لو رضوا بالحجاب هان ولكنّ منعوها يوم الرياح الكّلاما

قال : فطرب محمد ، ودعا برطل فشربه فقال ماني : ما كان على قائل هذين البيتين لو
أضاف إليهما هذين البيتين : [من الخفيف]

فتنفّستُ ثم قلتُ لطيفي : ويك إن زرتَ طيفها إلماما
حيّها بالسلام سرّاً وإلّا منعوها لشقوتَي أن تناما

فقال محمد : أحسنت يا ماني ، ثم غنّت : [من الخفيف]

يا خليلي ساعة لا تريما وعلى ذي صباية فأقيما
ما مررنا بقصر زينب إلّا فضح الدّمع سيرك المكتوما

قال ماني : لولا رهبة الأمير لأضفت إلى هذين البيتين بيتين لا يردان على سمع سامع ذي
لبّ فيصدران إلّا عن استحسانٍ لهما ، فقال محمد : الرغبة في حُسن ما تأتي به حائلة عن كلِّ
رهبة ، فهات ما عندك ، فقال : [من الخفيف]

ظبية كاللّلال لو تلاحظ الصخر بطرف لغادرته هشيما
وإذا ما تبسمت خلت ما يبدو من الثغر لؤلؤاً منظوما

[اللعن الحسن يطيب الشعر]

فقال محمد : إن أحسن الشعر ما دام الإنسان يشرب ما كان مكسوّاً لحناً حسناً تُعني
به منوسة وأشباهاها ، فإن كسيت شعرك من الألحان مثل ما غنّت قبله طاب ، فقال : ذلك
إليها .

[يصف منوسة]

فقال له ابن طالوت : يا أبا الحسين ، كيف هي عندك في حسنها وجمالها وغنائها وأدبها ؟
قال : هي غاية ينتهي إليها الوصف ، ثم يقف ، قال : قل في ذلك شعراً ، فقال : [من السريع]

وكيف صبر النفس عن غادة تظلمها إن قلت طاووسه

وَجُرَتْ إِنْ شَبَّهَتْهَا بَانَةً فِي جَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ مَغْرُوسَةٌ
وغيرُ عَدْلٍ إِنْ عَدَلْنَا بِهَا لَوْلَاؤُهُ فِي الْبَحْرِ مَنْفُوسَةٌ
جَلَّتْ عَنِ الْوَصْفِ فَمَا فِكْرَةٌ تَلَحُّفُهَا بِالنَّعْتِ مَحْسُوسَةٌ

فقال له ابنُ طالوت : وجب شكرُك يا ماني ، فساعدك دهرُك ، وعطف عليك إلفُك ،
ونلتَ سرورُك ، وفارقتَ محذورُك ، واللهُ يديم لنا ولك بقاء من ببقائه اجتمع شملنا ، وطاب
يومنا .

[إذا زرت فخفف]

فقال ماني : [من المديد]

مُدْمِنٌ التَّخْفِيفِ مَوْصُولٌ وَمُطِيلٌ اللَّبِثِ مَمْلُولٌ

فأنا أستودعُكمُ الله ، ثم قام فانصرف ، فأمر له محمد بن عبد الله بصيلة ، ثم كان كثيراً ما
يبعث يطلبه إذا شرب ، فيبهره ، ويصله ، ويقيمُ عنده .

[يشبب بـغلام]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدَّثني المبرِّد ، قال : حدَّثني بعض الكتاب مَنَّ كان
ماني يلزمه ، ويكثرُ عنده ، قال : لقيني يوماً ماني بعد انقطاع طويل عني ، فقال : ما
قطعني عنك إلا أنِّي هائم ، قلت : بِمَنْ ؟ قال بِمَنْ إِنْ شئتَ أَنْ تراه الساعةَ رأيتَه
فعدرتني ، قلتُ : فأنا معك ، فمضى ، حتى وافى بابَ الطَّاق ، فأراني غلاماً جميلَ الوجه
بين يدي بزَّاز في حانوته ، فلما رآه الغلام عدا ، فدخل الحانوتَ ، ووقف ماني طويلاً
ينتظره ، فلم يخرج ، فأنشأ يقول :

[من البسيط]

ذَنبِي إِلَيْهِ خَضُوعِي حِينَ أُبْصِرُهُ وَطُولُ شَوْقِي إِلَيْهِ حِينَ أُذْكَرُهُ
وَمَا جَرَحْتُ بِطَرْفِ الْعَيْنِ مُهْجَتَهُ إِلَّا وَمَنْ كَبَدِي يَقْتَصُّ مَحْجَرُهُ
نَفْسِي عَلَى بُخْلِهِ تَفْدِيهِ مِنْ قَمَرٍ وَإِنْ رَمَانِي بِذَنْبٍ لَيْسَ يَغْفِرُهُ
وَإِذَا بَاصْطَبَارِ الْقَلْبِ يَا مُرْنِي فَقَلْتُ : مَنْ أَيْنَ لِي قَلْبٌ أَصْبِرُهُ¹

ومضى يعدو ويصيح : الموت مخبوء في الكتب .

1 قلبٌ أصبره في ل : صبر فأهجره .

صوت

[من الرجز]

وشادني قلبي به مَعْمُودُ شيمته الهجرانُ والصُدُودُ
 لا أسأَمُ الحِرْصَ ولا يَجُودُ والصبرُ عن رؤيته مَفْقُودُ
 زَنارُهُ في خَصْرِهِ مَعْقُودُ كأنه من كَيْدِي مَقْدُودُ

عروضه من الرجز ، والشَّعْرُ لِيكْرِ بْنِ خَارِجَةَ ، وَالغِنَاءُ لِلْقَاسِمِ بْنِ زُرُّورٍ ، خَفِيفَ رَمَلٍ

بِالْوَسْطِيِّ .

[517] - أخبار بكر بن خارجه

[كان وراقاً]

كان بكر بن خارجه ، رجلاً من أهل الكوفة ، مولى لبني أسد ، وكان وراقاً ضيق العيش ، مقتصرأ على التكبب من الوراقه ، وصرف أكثر ما يكسبه إلى النيذ ، وكان معاقراً للشرب في منازل الخمارين وحاناتهم ، وكان طيب الشعر مليحاً مطبوعاً طبعاً ماجناً .

[يتعشق هدهداً]

فذكر أبو العنبس الصيمري أن محمد بن الحجاج حدثه قال : رأيت بكر بن خارجه يبكر في كل يوم بقنيتين من شراب إلى خراب من خرابات الحيرة ، فلا يزال يشربه فيه على صوت هدهد كان يأوي إلى ذلك الخراب ، إلى أن يسكر ، ثم ينصرف ، قال : وكان يتعشق ذلك الهدهد .

وحدثني عمي عن ابن مهرويه عن علي بن عبد الله بن سعد ، قال : كان بكر بن خارجه يتعشق غلاماً نصرانياً ، يقال له : عيسى بن البراء العبادي الصيرفي ، وله فيه قصيدة مزدوجة يذكر فيها النصارى وشرائعهم وأعيادهم ، ويسمي دياراتهم ، ويفضلهم .

[دعبل يحسده على بيتين قالهما]

قال : وحدثني [من شهد دعبلاً] وقد أنشدني قوله في عيسى بن البراء النصراني العبادي :

زُتاره في خصره معقود كأنه من كيدي مقود

فقال دعبل : ما يعلم الله أنني حسدت أحداً قط كما حسدت بكراً على هذين البيتين .

[الجاحظ يكتب أياتاً له وهو قائم]

وحدثني عمي عن الكرائي ، قال : حرّم بعض الأمراء بالكوفة بيع الخمر على خماري الحيرة ، وركب فكسر نبيذهم ، فجاء بكر يشرب عندهم على عادته ، فرأى الخمر مصبوبة في الرحاب والطرق ، فبكى طويلاً ، وقال :

[من الخفيف]

يا لقومي لما جنى السلطانُ لا يكوننُ لما أهانَ الهوانُ
 قهوةٌ في التراب من حَلَبِ الكَرِّ مِ عُقاراً كأنَّها الزعفرانُ
 قهوةٌ في مكانٍ سوءٍ لقد صا دف سعدَ السعودِ ذاكَ المكانُ
 من كُميتٍ يُبدي المِزاجُ لها لَوِّ لوَ نظمٍ والفصلُ منها جُمانُ
 فإذا ما اصطبحتُها صُغرتُ في الـ قَدْرِ تختالُها هي الجردانُ
 كيفَ صبري عن بعضِ نفسي وهل يصدُّ برُّ عن بعضِ نفسه الإنسانُ

قال : فأنشدتها الجاحظ ، فقال : إن من حقِّ الفتوة أن أكتب هذه الأبيات قائماً وما أقدر على ذلك إلا أن تَعَمِدَنِي ، وقد كان نقرسَ ، فعمدته ، فقام ، فكتبها قائماً .
 [الخمر تفسد عقله]

وقال محمد بن داود بن الجراح في «كتاب الشعراء» : قال لي محمد بن الحجاج : كانت الخمرُ قد أفسدتَ عقلَ بكر بن خارجة في آخر عمره ، وكان يمدح ويهجو بدرهم وبدرهمين ونحو هذا فاطرح ، وما رأيت قطُّ أحفظَ منه لكلِّ شيء حسن ، ولا أروى منه للشعر .

قال : وأنشدني بعضُ أصحابنا له في حال فساد عقله :

هَبْ لِي فِدَيْتِكَ دِرْهَمًا أَوْ دِرْهَمَيْنِ إِلَى الثَّلَاثَةِ
 إِنِّي أَحَبُّ بَنِي الطَّفِيلِ لَوْلَا أُحِبُّ بَنِي عُلَاثَةِ¹

قال ابنُ الجراح حَدَّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حَدَّثني بعضُ أصحابنا الكوفيِّين قال : حضرنا دعوة لِيحيى بن أبي يوسف القاضي وبتنا عنده ، فنمت فما أُنبهني إلا صياح بكر يستغيث من العطش ، فقلت له : ما لك ؟ فاشرب فالدار مليئة ماء ، قال : أخاف ، قلت : من أي شيء ؟ قال : في الدار كلب كبير ، فأخاف أن يظنني غزلاً فيشب عليّ ويقطعني ويأكلني ، فقلت له : ويحك يا بكر ! فالحمير أشبه منك بالغزال ، قم فاشرب إن كنت عطشان وأنت آمن ، وكان عقله قد فسد من كثرة الشراب .

قال : وأنشدني له ، وقد رأى صديقاً له قرأ رقعة من صديق له آخر ثم حرقها : [من البسيط]

لم يقو عندي على تحريق قرطاسي إلا امرؤ قلبه من صخرة قاسي

1 بنو الطافيل : نسبة إلى عامر بن الطفيل ، وبنو علانة نسبة إلى علقة بن علانة .

إنَّ القَراطيسَ من قَلبي بمنزلة تحويه كالسمع والعينين في الرأس
ومما يَغنى فيه من شعر بَكر بن خارجة : [من السريع]

صوت

قَلبي إلى ما ضَرَّني داعي يُكثِرُ أحزاني وأوجاعي
لَقَلَّ ما أبقي على ما أرى يوشك أن ينعاني الناعي
كيفَ احتراسي من عدوِّي إذا كان عدوِّي بين أضلاعي
أسلمني الحبُّ وأشياعي لما سعى بي عندها الساعي
لما دَعاني حُبُّها دعوةً قلت له : لبيك من داع
الغناء لإبراهيم بن المهديّ ثَقيل أوَّل ، وفيه لعبدِ الله بن العباس هَزَج ، جميعاً عن
الهشاميّ ، وقيل : إن فيه لحناً لابن جامع .
وقد ذكر الصوليّ في أخبار العباس بن الأحنف وشعره أن هذه الأبيات للعباس بن
الأحنف ، وذكر محمد بن داود بن الجراح عن أبي هفان أنّها لبكر بن خارجة .

صوت

وَيْلي على ساكن شَطِّ الصِّراءِ من وجنتيه شِمْتُ برُقَ الحياه¹
ما ينقضي من عجب فِكرتي في خَصلة فرَطَ فيها الوَلاه
تركُ المحبِّينَ بلا حاكمٍ لم يُقعدوا للعاشقين القضاء
الشعرُ لإسماعيل القراطيسيّ والغناء لعباس بن مقام خفيف رَمَل بالوسطى .

[518] - أخبار إسماعيل القراطيسي

[كان مألفاً للشعراء]

هو إسماعيلُ بن مَعَمَّر الكوفيّ ، مولى الأشاعثة ، وكان مألفاً للشعراء ، فكان أبو نواس وأبو العتاهية ومُسلم وطبقتهم يقصدون منزله . ويجتمعون عنده ، ويقصِفون ، ويدعو لهم القيان وغيرهن من الغلمان ، ويساعدُهم .

وإياه يعني أبو العتاهية بقوله : [من الهزج]

لقد أمسى القراطيسي رئيساً في الكشّاحين¹

[وجهه في المرآة]

وفي هذه الأبيات التي فيها الغناء يقول القراطيسيّ :

وقد أتاني خبرٌ ساءني مقالها في السرِّ واسوأته
أمثلَ هذا بيتغي وصلنا أما يرى ذا وجهه في المرآة

[وجه أبي العتاهية أيضاً]

أخبرني ابنُ عمّار عن ابن مهرويه ، عن عليّ بن عمران ، قال : قال القراطيسيّ : قلت للعبّاس [بن الأحنف] : هل قلتَ في معنى قولي :

وقد أتاني خبرٌ ساءني مقالها في السرِّ : واسوأته

قال : نعم ، وأنشدني : [من السريع]

جارية أعجبها حسنُها فمثلها في الناس لم يُخلق
خبرتها أنّي مُحبٌّ لها فأقبلتْ تضحكُ من منطقي
والتفتتْ نحو فتاةٍ لها كالرُشا الوَسنانِ في قرطُ²

1 الكشّاحين : جمع كشّاح وهو الديوث .

2 قرطق : القباء .

قالت لها : قولي لهذا الفتى انظر إلى وجهك ثم اعشق

[يهجو الفنبل]

أخبرني الحسن بن مهرويه ، قال . حدثني أحمد بن بشر المرتدي ، قال : مدح إسماعيلُ القراطيسيّ الفضل بن الربيع ، فحرمه فقال :

[من الهزج]

ألا قلّ للذي لم يهد ه الله إلى نفع
لكن أخطأت في مدحي لك ما أخطأت في منعي
لقد أحللت حاجاتي بوادٍ غير ذي زرع

[بيته متدى العاين]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهر المبرد عن أبي هفان عن الجمّاز ، قال : اجتمع يوماً أبو نواس وحسين الخليع وأبو العتاهية في الحمام وهم مخمورون ، فقالوا : أين نجتمع ؟ فقال القراطيسيّ :

[من الهزج]

ألا قوموا بأجمعكم إلى بيت القراطيسي
لقد هيأ لنا النزل غلاماً فارة طوسي
وقد هيأ الرجاجات لنا من أرض بلقيس
والوانا من الطير والوانا من العيس
وقينات من الحور كأمثال الطواويس
فنيكوهن في ذاكم وفي طاعة إبليس

صوت

[من البسيط]

أبكي إذا غضبت حتى إذا رضيت بكيت عند الرضا خوفاً من الغضب
فالويل إن رضيت والعول إن غضبت إن لم يتم الرضا فالقلب في تعب

الشعر لأبي العير الهاشمي ، أنشدنيهِ الأخصف وغيره من أصحابنا ، وذكره له محمد بن داود بن الجراح ، والغناء لعليّة بنت المهديّ ثاني ثقليل بالوسطى عن الهشاميّ .

[519] - أخبار أبي العبر ونسبه

[نسبه]

هو أبو العباس محمد بن أحمد ، ويلقب حمدوناً الحامض بن عبد الله بن عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان صالح الشعر مطبوعاً يقول الشعر المستوي في أول عمره منذ أيام الأمين وهو غلام ، إلى أن ولي المتوكل الخلافة ، فترك الجِدِّ ، وعاد إلى الحُقم والشهرة به ، وقد نيف على الخمسين ، ورأى أن شعره مع توسّطه لا ينفقُ مع مشاهدته أبا تمام الطائي والبحري وأبا السمط بن أبي حفصة ونظراءهم .

[شاعر هازل]

حدّثني عمّ أبي عبد العزيز بن أحمد ، قال : سمعت حمدون الحامض يذكر أن ابنه أبا العبر* ولد بعد خمس سنين خلت من خلافة الرشيد ، قال : وعمرّ إلى خلافة المتوكل ، وكسب بالحُقم أضعافاً ما كسبه كلُّ شاعر كان في عصره بالجِدِّ ، ونفقَ نفاقاً عظيماً ، وكسب في أيام المتوكل مالاً جليلاً ، وله فيه أشعارٌ حميدة ، يمدحه بها ، ويصف قصره وبرج الحمام والبركة كثيرة الحال ، مُفرطة السقوط ، لا معنى لذكرها ، سيما وقد شهرت في الناس .

فحدّثني محمد بن أبي الأزهر ، قال : حدّثني الزبير بن بكّار ، قال : قال لي عمّي : ويحك ! ألا يأنف الخليفة لابن عمّه هذا الجاهل ممّا قد شهّر به نفسه وفضح عشيرته ! والله إنّه ليعرُّ بني آدم جميعاً ، فضلاً عن أهله والأدنين ! أفلا يردّعه ويمنعه من سوء اختياره !

فقلت : إنّه ليس بجاهل كما تعتقد ، وإنّما يتجاهل ، وإن له لأدباً صالحاً وشعراً طيباً ، ثم أنشدته :

[من المديد]

لا أقول الله يظلمني	كيف أشكو غير متهم
وإذا ما الدهر ضعضعني	لم تجدني كافر النعم
قنعت نفسي بما رزقت	وتناهت في العلا همي

ليس لي مال سوى كرمي وبه أمني من العدم

فقال لي : ويحك ! فلم لا يلزم هذا وشبهه ؟ فقلت له : والله يا عمّ لو رأيت ما يصل إليه بهذه الحماقات لعذرتّه ، فإن ما استملحت له لم ينفق به ، فقال عمّي ، وقد غضب ، أنا لا أعذره في هذا ولو حاز به الدنّيا بأسرها ، لا عذرتني الله إن عذرتّه إذن !
[الهزل ينفق]

وحدّثني مدرك بن محمد الشيباني ، قال : حدّثني أبو العنّيس الصّيمريّ ، قال : قلت لأبي العبر ونحن في دار المتوكّل : ويحك ! أيش يحملك على هذا السّخف الذي قد ملأت به الأرض خطباً وشعراً وأنت أديب ظريف مليح الشعر ؟ فقال لي : يا كشخان ، أتريد أن أكسد أنا وتنفق أنت ؟ أنت أيضاً شاعر فهمّ متكلّم فليم تركت العِلْمَ ، وصنعت في الرّقاعة نيّفاً وثلاثين كتاباً ، أحبُّ أن تخبرني لو نفق العقلُ أكنتَ تُقدّم على البُحتريّ ، وقد قال في الخليفة بالأمس :

عن أيّ ثغرٍ تبسم وبأيّ طرفٍ تحكّم

فلما خرجت أنت عليه وقلت :

في أيّ سلحٍ ترتطم وبأيّ كفّ تلتطم

أدخلت رأسك في الرّجم وعلمت أنّك تنهزم

فأعطيتَ الجائزة وحُرِمَ ، وقرّيتَ وأبعد ، في حِرِّ أمك وحِرِّ أمّ كلّ عاقل معك ! فتركته ، وانصرفتُ .

[لا خير في الشعر الفاتر]

قال مدرك : ثم قال لي أبو العنّيس : قد بلغني أنّك تقول الشعر ، فإن قدرت أن تقولهُ جيّداً ، جيّداً ؟ وإلاّ فليكن بارداً ، بارداً ، مثل شعر أبي العبر وإياك والفاتر فإنّه صنع كلّهُ .
[مذهبان متناقضان]

حدّثني جعفر بن قدامة ، قال : حدّثني أبو العيناء ، قال : أنشدتُ أبا

[من مجزوء الكامل]

العبر :

ما الحبُّ إلاّ قبلة أو غمزُ كفٍّ وعَضُدُ

أو كُتبٌ فيها رُقَى أنفذُ من نفث العَقْدُ

مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا حُبِّهِ فَإِنَّمَا يَبْغِي الْوَلَدُ
مَا الْحُبُّ إِلَّا هَكَذَا إِنْ نُكِّحَ الْحُبُّ فَسَدُّ

فقال لي : كذب المأبون : وأكل من خراي رطلين وربعا بالميزان ، فقد أخطأ وأساء ، ألا قال كما قلت :

بِاضَ الْحُبُّ فِي قَلْبِي فَوَاوِيلِي إِذَا فَرَخَ
وَمَا يَنْفَعُنِي حُبِّي إِذَا لَمْ أَكُنْسِ الْبَرِيخَ
وَإِنْ لَمْ يَطْرَحْ الْأَصْدَ عُرْجُ خُرْجِيهِ عَلَى الْمَطْبُخِ

ثم قال : كيف ترى ؟ قلت : عجباً من العجب ، قال : ظننت أنك تقول : لا ، فأبلُ يدي وأرفعها . ثم سكت ، فبادرت ، وانصرفتُ خوفاً من شره .
[يُملَى على من معه]

حدثني عبد العزيز بن أحمد عم أبي ، قال : كان أبو العبر يجلس بسرَّ من رأى في مجلس يجتمع عليه فيه المُجَّان يكتبون عنه ، فكان يجلس على سُلَّمٍ وبين يديه بلاعة فيها ماء ، وحمأة ، وقد سُدَّ مجراها ، وبين يديه قصبةٌ طويلة ، وعلى رأسه خفٌّ ، وفي رجله قَلَنْسِيَّتَانِ ، ومُستَمَلِيه في جوفِ بئرٍ ، وحوله ثلاثة نفرٍ يدقُّون بالهواوين ، حتى تكثر الجَلْبَةُ ، ويقلَّ السماع ، ويصيح مُستَمَلِيه من جوف البئر من يكتب¹ ، عذَّبك الله ، ثم يملئ عليهم ، فإن ضحك أحدٌ من حضر قاموا فصبُّوا على رأسه من ماء البلاعة إن كان وضعياً ، وإن كان ذا مروءة رشَّشَ عليه بالقصبة من مائها ، ثم يجلس في الكنيف إلى أن ينفض المجلسُ ، ولا يخرج منه حتى يغرم درهمين . قال : وكانت كنيته أبا العباس ، فصيرها أبا العبر ، ثم كان يزيد فيها في كلِّ سنة حرفاً ، حتى مات ، وهي أبو العبر طرد طيل طليري بك بك بك .
[أبوه يحلف ألا يكلمه أبداً]

حدثني جحظة ، قال : رأيت أبا العبر بسرَّ من رأى ، وكان أبوه شيخاً صالحاً ، وكان لا يكلمه ، فقال له بعض إخوانه : لم هجرت ابنك ؟ قال : فضحني ، كما تعلمون ، بما يفعله بنفسه ، ثم لا يرضى بذلك ، حتى يُهَجَّنِي ويؤذيني ، ويضحك الناس مني ، فقالوا له : وأيِّ

شيء من ذلك؟ وبماذا هجنتك؟ قال: اجتاز عليّ منذ أيامٍ ومعه سلّم، فقلت له: ولأبيّ شيء هذا معك؟ فقال: لا أقول لك، فأخجلني، وأضحك بي كلّ من كان عندي، فلمّا أن كان بعد أيامٍ اجتاز بي ومعه سمكة، فقلت له: إيش تعمل بهذه؟ فقال: أنيكها، فحلفت لا أكلمه أبداً.

[مذهبه في الكتابة]

أخبرني عمّ أبي عبد العزيز، قال: سمعتُ رجلاً سأل أبا العبر عن هذه المحاللات التي لا يتكلّم بها: أيّ شيء أصلها؟ قال: أبكر، فأجلس على الجسر، ومعني دواة ودرج، فأكتب كلّ شيء أسمعُه من كلام الذاهب والجائي والملاحين والمكارين، حتى أملاً الدرّج من الوجهين، ثم أقطعه عرضاً وطولاً وأصقه مخالفاً، فيجيء منه كلام ليس في الدنيا أحق منه.

[مذهبه في الصيد]

أخبرني عمّي، قال: رأيت أبا العبر واقفاً على بعض آجام سرّ من رأى، ويده اليسرى قوس جلاّح¹، وعلى يده اليمنى باشق، وعلى رأسه قطعة رثة في حبل مشدود بأنشوطة، وهو عريان، في أيره شعر مفتول مشدود فيه شيصّ قد ألقاه في الماء للسمك، وعلى شفّته دوشاب² ملطّخ، فقلت له: خرب بيتك، أيش هذا العمل؟ فقال: أصطاد يا كَشْخَان يا أحقّ بجميع جوارحي، إذا مرّ بي طائر رميته عن القوس، وإن سقط قريباً منّي أرسلتُ إليه الباشق، والرثة التي على رأسي يجيء الحداً ليأخذها فيقع في الوهق³ والدوشاب أصطاد به الذباب، وأجعله في الشصّ، فيطلبه السمك، ويقع فيه، والشصّ في أيري، فإذا مرّت به السمكة أحسستُ بها، فأخرجتها.

[عبث]

قال: وكان المتوكّل يرمي به في المنجنيق إلى الماء، وعليه قميص حرير، فإذا علا في الهواء صاح: الطريق الطريق، ثم يقع في الماء، فتخرجه السباح، قال: وكان المتوكّل يجلسه على الزلافة، فينحدر فيها، حتى يقع في البركة، ثم يطرح الشبكة، فيخرجه كما يُخرج السمك،

1 الجلاّح: بندق يرمى به.

2 دوشاب: عصير عنب.

3 الوهق: حبل يرمى به في أنشوطة للدبّة، مفرد أوهاق.

ففي ذلك يقول في بعض حماقاته :

[من مجزوء الرجز]

ويأمر بي المَلِكُ فيطرْحُني في البِرْكِ
ويصطادُني بالشَّبِكِ كأني من السَّمِكِ
ويضحك كك كك كك كك كك كك كك كك

[عنه مع إسحاق]

وحدثني جعفر بن قدامة ، قال : قدم أبو العيرَ بغداد في أيام المستعين ، وجلس للناس ، فبعث إسحاق بن إبراهيم ، فأخذه ، وحبسه ، فصاح في الحبس ، لي نصيحة ، فأخرج ، ودعا به إسحاق ، فقال : هات نصيحتك ، قال : على أن تؤمنني ؟ قال : نعم ، قال : الكشكية ، أصلحك الله ، لا تطيب إلا بالكشك ، فضحك إسحاق وقال : هو ، فيما أرى ، مجنون ، قال : لا ، هو أمتخط حوت ، قال : أيش هو أمتخط حوت ؟ ففهم ما قاله ، وتبسّم ثم قال : أظنُّ أني فيك مأثوم ، قال : لا ، ولكنك في ماء يصل ، فقال : أخرجوه عني إلى لعنة الله ، ولا يقيم ببغداد ، فأردّه إلى الحبس ، فعاد إلى سرٌّ من رأى .

[من شعره في غلام]

وله أشعار ملاح في الجِدِّ ، منها ما أنشدنيهِ الأَخفش له يخاطب غلاماً أمردَ : [من الخفيف]

أيّها الأمردُ المولعُ بالهَجِ سرُّ أفيق ما كذا سبيلُ الرِشادِ
فكأنّي بحُسن وجهك قد أَلَّ بس في عارضيك ثوبَ جِدادِ
وكأنّي بعاشقيك وقد بُدِّدُ تَ فيهم من خُطْطَةِ بِيعادِ
حين تنبو العيونُ عنكَ كما ينقب ضُ السَّمْعُ عن حديثِ مُعادِ
فاغتمم قبل أن تصيرَ إلى كا نَ وتُضحِي في جُملة الأُضدادِ

وأنشدني محمد بن داود بن الجراح له ، وفيه رَمَلٌ طُبوريّ محدثٌ أظنّه لجحظة .

[من غزله المستملح]

صوت

[من السريع]

داء دفينٌ وهوىٌ بادي أظلمَ فجازيك بمرصادِ
يا واحدَ الأُمَّةِ في حُسنه أشمتَ بي صدك حُسادي

قد كدتُ مما نال مني الهوى أخفى على أعين عوادي
عبدك يحيي موته قبلة تجعلها خاتمة الزاد

[الحماقة أنفق]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدثني أحمد بن عليّ الأنباري : قال : كنا يوماً في مجلس يزيد بن محمد المهلبيّ بسرّ من رأى ، فجرى ذكر أبي العبر ، فجعّلوا يذكرون حماقاته وسقوطه ، فقلت ليزيد : كيف كان عندك ، فقد رأيتُه ؟ فقال : ما كان إلاّ أديباً فاضلاً ، ولكنه رأى الحماقة أنفق وأنفع له ، فتحامق .

[يهجو قاضين أعورين]

فقلت له : أنشدك أبياتاً له أنشدنيها ، فانظر لو أراد دِعيل ، فإنه أهجى أهل زماننا ، أن يقول في معناها ما قدر على أن يزيد على ما قال ، قال : أنشدنيها ، فأنشدته قوله : [من الوافر]

رأيتُ من العجائبِ قاضيين هما أحذوثه في الخافقين
هما اقتسما العمى نصفين فذاً كما اقتسما قضاء الجائنين
هما فالُ الزمانِ بهلك يحيى إذا افتتح القضاء بأعورين¹
وتحسب منهما من هز رأساً لينظرَ في مواريثٍ ودنين
كانك قد جعلتَ عليه ذناً فتحت بزأله من فرد عين²

فجعل يضحك من قوله ، ويعجب منه ، ثم كتب الأبيات .

[نصيحة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا محمد بن مهرويه : قال : حدثني ابن أبي أحمد ، قال : قال لي أبو العبر : إذا حدثك إنسان بحديث لا تشتهي أن تسمعه فاشتغل عنه بتنف إبطك ، حتى يكون هو في عمل وأنت في عمل .

[بغضه لعل قتله]

وقال محمد بن داود : حدثني أبو عبد الله الدوادبي ، قال : كان أبو العبر شديد البغض لعلّي بن أبي طالب ، صلوات الله عليه ، وله في العلويين هجاء قبيح ، وكان سبب ميته

1 الأعوران : حيان بن بشر وسوار بن عبد الله .

2 الزبال : موضع ثقب الدف .

أنه خرج إلى الكوفة ليرمي بالبندق مع الرماة من أهلها في آجامهم ، فسمعه بعض الكوفيين يقول في عليّ ، صلوات الله عليه ، قولاً قبيحاً استحلّ به دمه ، فقتله في بعض الآجام ، وغرّقه فيها .

صوت

[من الطويل]

لقد طال عهدي بالإمام محمدٍ وما كنت أخشى أن يطولَ به عهدي
فأصبحتُ ذا بُعدٍ وداري قريبةٌ فواعجبا من قُرب داري ومن بُعدي
فيا ليت أن العيْدَ لي عادَ مرّةً فإنّي رأيت العيْدَ وجهك لي يُندي
رأيتك في بُردِ النبيّ محمد كبدر الدُّجى بين العِمامةِ والبُردِ
الشعر لمروان بن أبي حفصة الأصغر ، والغناء لبنان خفيف رمل بالبصر .

[520] - أخبار مروان بن أبي حفصة الأصغر

[كتيبه]

هو مروان بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر بن أبي حفصة . قد تقدّم خبره ونسبه ، ويكنى مروان الأصغر أبا السَّمط ، وكان يتشبهه بجده في شعره .

[كان يتقرب إلى المتوكل بهجاء آل أبي طالب]

ويمدح المتوكل ، ويتقرب إليه بهجاء آل أبي طالب ، فتمكّن منه وقرب إليه ، وكسب معه مالاً كثيراً ، فلما أفضت الخلافة إلى المنتصر تجنّب مذهب أبيه في كل أمر ، فطرده وحلف ألا يدخل إليه أبداً لما كان يسمعه منه في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه .

فأخبرني محمد بن عمران الصيرفي وعمي قال : حدّثنا الحسن بن عُليل العنزي قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن آدم العبدي قال : دخل مروان بن أبي الجنوب على المتوكل فأنشده قوله :

سلام على جُملي وهيئات من جُملي ويا حبّذا جُملي وإن صرمت حَبلي
وهي من مشهور شعره ، وفيها يقول :

أبوكم عليّ كان أفضلَ منكم أباه ذوو الشورى وكانوا ذوي عدلٍ
وساء رسولَ الله إذ ساء بنته بخِطْبته بنتَ اللعينِ أبي جهلٍ
أراد عليّ بنتَ النبيّ تزوّجاً بينت عدوّ الله ، يا لك من فعلٍ
فدّم رسولُ الله صِهراً أيبكم على منبرِ الإسلامِ بالناطقِ الفصلِ
وحكّم فيها حاكمينِ أبوكم هما خلعاها خلَع ذي النعلِ للنعلِ
وقد باعها من بعده الحسنُ ابنه فقد أبطلا دعواكُم الرئّةَ الحبلِ
وخلّيتُموها وهيّ في غير أهلها وطالبتُموها حيث صارتُ إلى الأهلِ

فوهب له المتوكل مائة ألف درهم .

وقال محمد بن داود بن الجراح : حدثني محمد بن القاسم قال : حدثني أبو هاشم الجبائي ،
قال : دخل أبو السمط على المتوكل فأنشده قوله : [من مجزوء الكامل]

الصَّهْرُ ليس بوارثٍ والبنْتُ لا تَرِثُ الإمامَةَ
لو كان حَقِّكُمُ لهمُ قامت على النَّاسِ القيامةُ
أصبحت بين مُحبِّكُمُ والمبغِضينَ لكمُ علامَةَ

فحشا المتوكل فمه بجوهر لا يُدرى ما قيمته .

وحدثني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال : أنشد أبو السمط المتوكل قوله : [من الكامل]

إنِّي نزلتُ بساحة المتوكل ونزلتُ في أقصى ديارِ الموصِلِ

فقال الفتح بن خاقان : فإذا كانا متباعدين هكذا فمن كان الرسول ؟

[أبو العنيس ينقد شعره]

فقال أبو العنيس الصيمري : كانت له طيورٌ هُدًى¹ تحمل إليه كتبه ، فضحك المتوكل
حتى ضرب برجله الأرض وأجزل صلة الصيمري ولم يعط أبا السمط شيئاً ، فماتا
متهاجرين .

[مدح المتوكل وولادة عهده]

أخبرني عمي والحسن بن علي قالا : حدثنا محمد بن القاسم بن مهزوبه قال : حدثنا حماد بن
أحمد البتي قال : أخبرني أبو السمط مروان بن أبي الجنوب قال : لما صرتُ إلى المتوكل على الله
ومدحته ومدحت ولاة العهود الثلاثة ، وأنشدته ذلك في قولي : [من الطويل]

سقى الله نجداً والسَّلامُ على نجدِ ويا حَبْذا نجدًا على النَّسْأِ والبعدِ
نظرتُ إلى نجدٍ وبغدادُ دونها لعلِّي أرى نجدًا وهيئاتَ من نجدِ
بلادُ بها قومٌ هواهُمُ زيارتي ولا شيءٌ أشهى من زيارتهم عندي

فلما استتممتها أمر لي بمائة ألف درهم وخمسين ثوباً من خاص ثيابه .

[بين المتوكل وخالد بن يزيد الكاتب]

أخبرني علي بن أبي العباس بن أبي طلحة قال : حدثني إبراهيم بن محمد أبو إسحاق قال :
حدثني خالد بن يزيد الكاتب قال : دعاني المتوكل ليلة وقد غنى بين يديه عمر الطنبوري في

1 الحمام الهداء : ضرب من الحمام يدرّب على السفر من مكان إلى مكان .

قولي :

[من مجزوء الكامل]

يا مقلتي قتلتماني فبقيتُ رحمةً منَ يراني
منَ ذا السومِ وأتما بيدِ الهوى أسلمتُماني

قال : ولم يغنه البيت الثالث ، وهو :

لعبت بنا أيدي الخطوب ب وغالنا ريبَ الزمانِ

كراهةً أن يتطيرَ منه ، فجعل ينظر إليَّ وأنا واقف ، ثم قال لي : وبيك يا خالد ،
تهرب منَّا ونحن نطلبك ، وأنت في غياباتِ صبواتك وعزلك . يا غلام اسقه ثلاثة أقداح
في القدح المُبرم ، وهو الذي لا قرار له ، فإذا أخذته الإنسان لم يقدر أن يضعه من يده ،
فقلت :

[من مجزوء الرمل]

سيدي لا تسقني أكثر من رطل نبيذٍ
إن شربي للذي يؤلمني غير لذيذٍ

فقال : يا غلام ، إن لم يشرب فاصفعه ، فقلت :

[من مجزوء الرمل]

سيدي حوصلتي ضيِّب سيقه عن شربِ رطلٍ
فمتى زدتُ عليه خفت أن يذهب عقلي

فقال الفتح : هو كما قال يا سيدي لا يطيق الشرب .

وحضر ابن أبي حفصة ، فقال لنا المتوكل ، قولاً على البديهة ، فقلت له : هو يا سيدي
شيخ الشعراء ومادحك ، وآبأوه مداح آبائك ، فأنشأ يقول :

[من المحدث]

يا ليت [لي] ألفت عينٍ عيناى لا تكفيان

فقلت له : سخنت عينك ، أنا لي عين واحدة أَدعو الله عليها بالعمى منذ ستين سنة ،

أقول :

[من مجزوء الكامل]

يا عين أنت بليتي فأراحي الرحمن منك

وأنت تمنى ألفت عين . ثم قال لي المتوكل : اهجه ، فقلت : إن الرجل لم يعرض لي ، فأقبل
هو عليَّ وقال : قل ما شئت ، وما عسى أن تقول ؟ فقلت :

[من الهزج]

زاد البردُ يومين فقال الناس : ما القصَّة

فقلنا : أنشدونا شع - ر مروان بن أبي حفصه
فتى من شهوة النيك مجلقوم استه غصه
ولو يُرمى بِبَطِيخٍ لوفى دبره رصه

قال : فضحك المتوكل حتى صفق برجليه الأرض ، وأفحم مروان ، ثم أمر لي بجائزة فأخذتها وانصرفت .

[يستدعيه المتوكل من اليمامة]

قال ابن أبي طاهر : حدّثني مروان بن أبي الجنوب قال : لما استخلف المتوكل بعثت إلى ابن أبي دؤاد بقصيدة مدحته فيها وذكرته فيها ابن الزيات بيتين وهما : [من الطويل]

وقيل لي : الزيات لاقى حيمامه فقلت : أتاني الله بالفتح والنصر
لقد حفر الزيات بالبغي حفرة فألقاه فيها الله بالكفر والغدر

قال : فذكرني ابن أبي دؤاد للمتوكل ، فأمر بإحضاري ، فقبل له : نفاه الوثائق إلى اليمامة ، وذلك لميله إليك . فقال : يُحْمَل ، فقال له ابن أبي دؤاد : عليه ستة آلاف دينار دين ، فقال : يكتب له بها إلى عامل اليمامة ، فكتب لي بها وبالحملان والمعونة ، فقدمت عليه وأنشدته قولي : [من الكامل]

صوت

رحل الشباب وليته لم يرحل والشيب حل وليته لم يحل
فلما بلغت إلى هذا البيت :

كانت خلافة جعفر كنبة جاءت بلا طلب ولا بتمحل
وهب الإله لك الخلافة مثل ما وهب النبوة للنبي المرسل

فأمر لي بخمسين ألف درهم .

وفي أول هذه القصيدة لعريب ثاني ثقيل بالوسطى .

والصوت المذكور في أول هذه الأخبار من قصيدة قالها أبو السمط في المنتصر لما ولي

الخلافة .

[يستأذن على المنتصر فلا يؤذن له]

أخبرني بخبره فيها جماعة من أصحابنا ، منهم محمد بن جعفر النحوي صهر المبرّد ،

والحسن بن عليّ قالاً : حدّثنا محمد بن موسى قال : حدّثني القاسم بن محمد الكاتب قال : حدّثني المرزيان بن الفروران حاجب المنتصر قال : إن مروان بن أبي حفصة الأصغر المكنى أبا السمط استأذن على المنتصر لما ولي الخلافة ، فقال : والله لا أذنت للكافر ابن الزانية ، أليس هو القائل :

وحكّم فيها حاكمين أبوكم هما خلعاها خلع ذي النعل للنعل

قولوا له : والله لا وصلت إليّ أبداً ، فلمّا بلغه هذا القول عمّل هذا الشعر : [من الطويل]
لقد طال عهدي بالإمام محمد وما كنت أخشى أن يطول به عهدي
وذكر الأبيات كلّها .

قال : وسأل بنان بن عمرو ، فصنع فيه لحناً وغنّى به المنتصر ، فلمّا سمعه سأل عن قائلها ، فأخبرته ، فقال : أما الوصول إليّ فلا سبيل إليه ، ولكن أعطوه عشرة آلاف درهم يتحمل بها إلى اليمامة .

[حرّضه المتوكّل على علي بن الجهم فأعنته وهجاه]

أخبرني عليّ بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال : حدّثني جعفر بن هارون بن زياد قال : حدّثني أحمد بن الفضل الكاتب قال : لما قال عليّ بن الجهم هذه القصيدة في المتوكّل :

اغتنم جدّة الزمان الجديد واجعل المهرجان أيمن عيد

أنشدها وأبو السمط بن أبي حفصة حاضر ، فغمزه المتوكّل على عليّ بن الجهم وأمره أن يُعنته . فقال له : يا عليّ ، أخبرني عن قولك :

واجعل المهرجان أيمن عيد

المهرجان عيد أمّ يومٍ هو ، إنّما العيد ما تعبّد الله به الناس مثل الفطر والأضحى والجمعة وأيام التشريق . فأما المهرجان والنيروز فإنّما هما أعياد المجوس ، لا يجوز أن يقال لخليفة الله في عباده وخليفة رسول الله في أمته : اجعل المهرجان عيداً .

فلم يلتفت إليه وأنشد حتى بلغ قوله :

نحن أشياعكم من آل خراسا ن أولو قوّة وبأسٍ شديد

[من الخفيف]

نحن أبناء هذه الخرق السو د وأهل التشيع المحمود

فقال له مروان : لو كنتم من أهل التشيع المحمود ما قتل قحطبة جدك وصلبه في عداوة بني العباس . فقال له المتوكل : ويلك ، أقتل قحطبة جدك ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين . فأقبل على محمد بن عبد الله بن طاهر ، فقال له : بحياتي الأمر كما قال مروان ؟ فقال له محمد : وإن كان كما قال ، فأبي ذنب لعلي بن الجهم ؟ قد قتل الله أعداءكم وأبقى أولياءكم . فضحك المتوكل وقال : شهدت والله بها عليه ، فقال مروان في ذلك : [من الرمل]

غَضِبَ ابْنُ الْجَهْمِ مِنْ قَوْلِي لَهُ	إِنَّ فِي الْحَقِّ لِقَوْمٍ مَغْضَبَةٌ
يَا ابْنَ جَهْمٍ كَيْفَ تَهْوَى مَعْشَرًا	صَلَبُوا جَدَّكَ فَوْقَ الْخَشْبَةِ
يَا إِمَامَ الْعَدْلِ نَصَحِي لَكُمْ	نُصَحُ حَقًّا غَيْرَ نُصَحِ الْكَذْبَةِ
إِنْ جَدِّي مِنْ رَفَعْتُمْ ذِكْرَهُ	بِكِرَامَاتٍ لَشُكْرِي مُوجِبَةٌ
وَإِبْنُ جَهْمٍ مَنْ قَتَلْتُمْ جَدَّهُ	وَتَوَلَّى ذَاكَ مِنْهُ قَحْطَبَةٌ
فَخِرَاسَانُ رَأَتْ شِيْعَتَكُمْ	أَنَّهُ أَهْلٌ لَضَرْبِ الرَّقْبَةِ
أَتْرَاهُ بَعْدَهَا يَنْصَحُكُمْ	لَا وَرَبُّ الْكَعْبَةِ الْمُحْتَجِبَةُ

[هجا علي بن الجهم فلم يجبه]

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال : حدثني جعفر بن هارون قال : حدثني أحمد بن حمدون بن إسماعيل قال : بلغ المتوكل أن علي بن الجهم خطب امرأة من قريش فلم يزوجوه ، فسأل عن السبب في ذلك وعن قصته ، وعن نسب سامة بن لؤي ، فحدث بها ، ثم انتهى حديثهم بأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يدخلهما في قريش ، وأن عثمان رضي الله عنه أدخلهم فيه ، وأن علياً رضي الله عنه أخرجهم منه ، فارتدوا مع الحارث ، وأنه قتل من ارتد منهم ، وسبى بقيتهم ، وباعهم من مصقلة بن هبيرة ، فضحك المتوكل ، وبعث إلى علي بن الجهم فأخبره بما قال القوم فأنكر ذلك وقال . هذه الدعوى من الرافضة ، وشتم القوم . وكان منهم أبو السمط فقال له : [من المديد]

إِنَّ جَهْمًا حِينَ تَنْسِبُهُ	لَيْسَ مِنْ عُجْمٍ وَلَا عَرَبٍ
لَجَّ فِي شَتْمِي بِلا سَبَبٍ	سَارِقٌ لِلشَّعْرِ وَالنَّسَبِ

من أناسٍ يدعونُ أباً ماله في الأرض من عقبٍ

فغضب عليّ بن الجهم ولم يجبه ؛ لأنه كان يحتقره ويستركه¹ ، وأوماً إليه المتوكل أن

يزيده فقال : [من الوافر]

أنتم من قريش يا ابن جهم وقد باعوكم في من يزيد

أترجون أن تكاثرنا جهاراً بنسبتكم وقد بيع الجدود

قال : وما زال مروان يهجو عليّ بن الجهم فما أجابه عن شيء من شعره أنفة منه .

[مدح ابن أبي دواد]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا إسحاق بن محمد النخعي قال : حدثني

الجمّاز أبو عبد الله قال : دخل مروان الأصغر على أحمد بن أبي دواد وقد أصابه الفالج وتمائل

قليلاً ، فأنشده : [من البسيط]

لسانُ أحمد سيفٌ مسّه طبعٌ من علةٍ فجلاه عنه جاليها²

ما ضرَّ أحمدَ باقي علةٍ درستُ واللهُ يُذهبُ عنه رسمَ باقيها

قد كان موسى على علاتٍ منطقه رسائلُ الله إذ جاءت يُودّيها

موسى بن عمران لم ينقص نبوته ضعفُ اللسانِ وقدماً كان يُمضيها

فوصله أحمد رحمه الله تعالى واعتذر إليه .

[رثى ذا اليمين]

أخبرني عمي قال : حدثني متوج قال : قال أبو السمط : دخلت على عبد الله بن

طاهر فقال : إنني تذكرت في ليلتي هذه ذا اليمين ، فبت أرقاً حزيناً باكياً ، فارثه في

مقامك هذا بأبيات تجعل لي طريقاً إلى شفاء علتني ولك حكمك ، ففكرت هنيهة ثم

قلت : [من الكامل]

إنّ المكارم إذ تولّى طاهرٌ قطع الزمانُ يمينها وشمالها

لو كافحتهُ يدُ المنون مُجاهراً لاقت لوقع سيفه آجالها

1 يستركه : يستضعفه .

2 الطبع : الدنس وغيره ولل سيف الصدا .

أرسي عمادَ خليفَةٍ في هاشم ورمي عمادَ خلافةٍ فأزالها
 بكت الأعينُ والأسِنَّةَ طاهراً ولطالما روى النجيعُ نihalها
 لبت المنون تجانبت عن طاهرٍ ولوت بذروةٍ من تشاء حبالها
 ما كنت لو سلّمتَ يمينا طاهرٍ أدري ولا أسلُ الحوادث مالها

فقال : أحسنت والله فاحتكم ، فقلت له : خمسون ألف درهم أقضي منها ديناً ، وأصلح حالي ، وأبتاع ضيعة تلاصق ضيعتي . فأمر لي بها وقال : ربنا وخسرت ، ولو لم تحتكم لزدتك ، ولك عندنا عدٌّ وعدٌّ بعد عدٌّ .

صوت

[من مجزوء الخفيف]

لا تلمني أن أجزعا سيدي قد تمنعا
 وابلائي إن كان ما بيننا قد تقطعا
 إن موسى بفضله جمع الفضل أجمعا

الشعر ليوسف بن الصيقل والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبِنْصَر .

[521] - أخبار يوسف بن الحجاج ونسبه

[نسبه]

هو يوسف بن الحجاج الصَّيقل ، يقال : إنه من ثَقِيف ، ويقال : إنه مولى لهم ، وذكر محمد بن داود بن الجراح أنه كان يلقب لَقوة¹ وأنه كان يصحب أبا نواس ، ويأخذ عنه ، ويروي له ، وأبوه الحجاج بن يوسف محدث ثقة ، وروى عنه جماعة من شيوخنا ، منهم ابن منيع ، والحسن بن الطيب الشجاع ، وابن عفير الأنصاري ، وكان يوسف بن الصيقل كاتباً ، ومولده ومنشؤه بالكوفة .

[قصة هذا الصوت]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشَّيعي ، عن ابن شَبَّه ، قال : قال أحمد بن صالح الهشامي : قال لنا يوسف بن الصَّيقل يوماً ، ورأى الشعراء بأيديهم الرِّقاع يطوفون بها ، فقال : صنع الله لكم ، ثم أقبل على إبراهيم الموصلي ، فقال له : كنا نهزل ، فنأخذ الرغائب ، وهؤلاء المساكين الآن يجدون ، فلا يُعطون شيئاً ، ثم قال لإبراهيم : أتذكر ونحن بجرجان مع موسى الهادي ، وقد شرب على مستشرف عالٍ جداً وأنت تُغنيهِ هذا الصوت :

[من مجزوء الخفيف]

واستدارت رحالهم بالرُّدَيْنِيِّ شُرْعَا

فقال : هذا لحن مليح ، ولكنني أريد له شعراً غير هذا ، فإن هذا شعر بارد ، والتفت إليّ

فقال : اصنع في هذا الوزن شعراً ، فقلتُ :

[من مجزوء الخفيف]

لا تلمني أن أجزعا سيدي قد تمنعا

فغنيته فيه بذلك اللحن ، ومررت به إبل يُنقل عليها ، فقال أوقروها لهما مالا ، فأوقرت

مالأ وحمل إلينا ، فاقسمناه ، فقال إبراهيم : نعم ، وأصاب كل واحد منا ستين ألف درهم .

1 اللقوة : داء يعوج منه الوجه . ومن معانيها لعقاب أيضاً .

نسبة هذا الصوت الذي غناه صوت

[من مجزوء الخفيف]

فارسٌ يضربُ الكنتَ ييةٌ حتّى تصدّعا
في الوغى حينَ لا يرى صاحبُ القوسِ منزعا
واستدارتُ رجالهمُ بالرّدينيِّ شرّعا
ثم ثارتُ عجاجةٌ تحتها الموتُ مُنّعا

في هذه الأبيات رَمَل ينسب إلى ابن سُرَيْج وإلى سِيَاط ، وفيه لابن جامع خفيف رَمَل

بالنصر .

[الهادي أم الرشيد]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، عن محمد بن عبد الله العبديّ ، فذكر مثل هذه القصّة إلاّ أنّه حكى أنّها كانت بالرّقة ، لا بجرجان ، وأنّ الرشيد كان صاحبها لا موسى .

[يفاجيء الرشيد بمدحه فيجيزه]

أخبرني الحسن بن عليّ العنزّيّ ، عن محمد بن يونس الربيعيّ ، قال : حدّثني أبو سعيد الجنديسابوريّ ، قال : لما ورد الرشيد الرّقة خرج يوسف بن الصيّقل ، وكمن له في نهر جافّ على طريقه ، وكان لهارون خدم صغارٌ يسميهم النمل يتقدّمونه ، بأيديهم قسيّ البندق ، يرمون بها من يعارضه في طريقه ، فلم يتحرّك يوسف ، حتى وافته قبّة هارون على ناقة ، فوثب إليه يوسف ، وأقبل الخدم الصغارُ يرمونه ، فصاح بهم الرشيد : كُفّوا عنه ، فكفّوا ، وصاح به يوسف يقول :

[من الهرج]

صوت

أغيثاً تحملُ النا قةٌ أم تحملُ هرونا
أم الشمسُ أم البدرُ أم الدّنيا أم الدّينا
ألا كلّ الذي عدّد تٌ قد أصبحَ مقرونا

على مفرقِ هارون فِداه الأدميونا

فمدَّ الرشيدُ يده إليه ، وقال له : مرحباً بك يا يوسفُ ، كيف كنتَ بعدي ؟ اذنُ مني ، فدننا ، وأمر له بفرسٍ ، فركبه ، وسار إلى جانب قبته يُنشدُه ، ويحدِّثُه ، والرشيدُ يضحكُ ، وكان طيِّبَ الحديثِ ، ثم أمر له بجمال ، وأمر بأن يُغنى في الأبيات : الغناء في هذه الأبيات لابن جامع خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي :

[نواصي المذهب]

وقال محمد بن دواد : كان يوسف فاسقاً مجاهراً باللواطِ ، وله فيه أشعار ، فمنها قوله :

[من مجزوء الكامل]

لا تَبَخَلْنَ على الندي	م برِّدْ ذِي كَشْحِ هَضِيمِ
تعلُّو وينظُر حَسْرَةً	نَظَرَ الحِمَارِ إلى القَضِيمِ ¹
وإذا فرغْتَ فلا تقم	حتى تُصَوِّتَ بالنَّديمِ
فإذا أجابَ فقلْ هُـ	مَّ إلى شهادَةِ ذِي الغريمِ
واتبعْ للذِّتِكَ الهوى	ودعِ الملامَةَ للمُليَمِ

قال : وهذا الشعر يقوله لصديق له رآه قد علا غلاماً له ، فخاطبه به .
ومن مشهور قوله في هذا المعنى :

لا تَتَيْكَنَّ ما حييتَ	غُلاماً مكابِرةً
لا تمرَّنْ باسته	دُون دَفْعِ المؤامِرةِ
إنَّ هذا اللّواطَ دينٌ	تراه الأساورة ²
وهمُ فيه منصفو	ن بحُسنِ المعاشِرةِ

ومن قوله في هذا المعنى أيضاً هذه الأبيات :

[من الرمل]

ضع كذا صدرك لي يا سيدي وأتخذُ عندي إلى الحشرِ يدا

1 القضييم : شعير الدابة .

2 الأساورة : جمع إسوار وأسوار من الفرس وهو الفارس المقاتل أو القائد أو جيّد الرمي بالسهم .

إِنَّمَا رَدْفَكَ سَرْجٌ مُذْهَبٌ كُشِفَ الْبَزِيونُ عَنْهُ فَبَدَأَ¹
فَاعْرِنِيهِ وَلَا تَبْخُلْ بِهِ لَيْسَ يُبْلِيهِ رُكُوبِي أَبَدًا
بَلْ يَصْفِيهِ وَيَجْلُوهُ وَلَا أَثْرٌ تَرَاهُ فِيهِ أَبَدًا
فَاذْنُ يَا حَبُّ وَطْبٌ نَفْسًا بِهِ إِنَّ ذَاكَ الدَّيْنَ تَقْضَاهُ غَدَا

[لا يحب القيان]

أخبرني إسماعيل بن يونس ، قال : حدثني عمر بن شبة عن أحمد بن صالح الهاشمي ،
قال : هجا يوسف بن الصيقل القيان ، فقال :

احذر فديتك ما حيي ست حائل المتساكلات
فلهنَّ يُفْلِسُنَّ الفتى وكفى بهنَّ مُفْلِسَاتِ
وبل امرئٍ غيرٌ تجي ه رقاهنَّ مُحْتَمَاتِ
ورقاهنَّ إليهم بُرقي القحَابِ مُسْطَرَاتِ
وعلى القيادة رسلهُ نَّ إذا بُعِثْنَ مدرَّباتِ
يهدمنَّ أكياسَ الغني من المئونة والهيآتِ
حفر العلوج سواقياً للماء في الأرض المواتِ
فيصيرُ من إفلاسه ومن الندامة في سباتِ

قال : وشاعت هذه الأبيات وتهادها الناس ، وصارت عبئاً بالقيان لكلِّ أحد ، فكانت
المغنية إذا عثرت قالت : تعس يوسف !
[الموالي يتعصبون له]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : أخبرني عيسى بن الحسن الآدمي : قال : حدثني
أحمد بن أبي فتن ، قال : أحضر الرشيد عشرة آلاف دينار من ضرب السنة ففرقتها ، حتى
بقيت منها ثلاثة آلاف دينار ، فقال : اتتوني شاعراً أهبها له ، فوجدوا منصوراً النمرى
ببابه ، فأدخل إليه ، فأنشده ، وكان قبيح الإنشاد ، فقال له الرشيد : أعانك الله على
نفسك ، انصرف ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد دخلت إليك دختين ، لم تعطني فيهما
شيئاً ، وهذه الثالثة ، ووالله لئن حرمتني لا رفعت رأسي بين الشعراء أبداً . فضحك

الرشيد ، وقال : خذها ، فأخذها ، ونظر الرشيد إلى الموالي ينظر بعضهم بعضاً ، فقال : كائني قد عرفت ما أردتم إنما أردتم : أن تكون هذه الدنانير ليوسف بن الصيقل ، وكان يوسف منقطعاً إلى الموالي يناديهم ، ويمدحهم ، فكانوا يتعصبون له ، فقالوا : إي والله يا أمير المؤمنين ، فقال : هاتوا ثلاثة آلاف دينار ، فأحضرت ، فأقبل على يوسف ، فقال : هات ، أنشدنا ، فأنشده يوسف :

[من الطويل]

تصدت له يوم الرصافة زينب
فقال له : كأنك امتدحتنا فيها ، فقال : أجل ، والله يا أمير المؤمنين فقال : أنت ممن يوثق
بنيته ، ولا تتهم موالاته ، هات من ملحك ، ودع المديح ، فأنشده أفره : [من المجت]

صوت

العفو يا غضبان ما هكذا الخيلان
هبتني ابتليت بذنب أما له غفران
وإن تعاطم ذنب ففوقه الهجران
كم قد تقررت جهدي لو ينفع القران
يا رب أنت على ما قد حل بي المستعان
ويلى ألت تراني أهذي بها يا فلان

فقال الرشيد : ومن فلان هذا وملك ؟ فقال له الفضل بن الربيع : هو أبان مولاك يا أمير المؤمنين ، فقال له الرشيد : ولم لم تشدني كما قلت يا نبطي ؟ فقال : لأنني غضبان عليه . قال : وما أغضبك ؟ قال : مدت دجلة ، فهدمت داري وداره ، فبنى داره ، وعلاها ، حتى سترت الهواء عني ، قال : لا جرم ، ليعطينك الماص بظراً أمه عشرة آلاف درهم ، حتى تبني بناءً يعلو على بنائه ، فتستر أنت الهواء عنه ، ثم قال له : خذ في شعرك ، فأنشده نحواً من هذا الشعر ، فقال للفضل بن الربيع : يا عباسي ، ليس هذا بشعر ما هو إلا لعب ، أعطوه ثلاثة آلاف درهم مكان الثلاثة الآلاف الدينار ، فانصرف الموالي إلى صالح الخازن ، فقالوا له : أعطه ثلاثة آلاف دينار كما أمر له أولاً ، فقال : أستأمره ، ثم أفعل ، فقالوا له : أعطه إياها بضمنا ، فإن أمضيت له وإلا كانت في أموالنا ، فدفعها إليه بضمناهم ، فأمضيت له ، فكان يوسف يقول بعد ذلك : كنا نلعب ، فنأخذ مثل هذه الأموال ، وأنتم تقتلون أنفسكم ، فلا تأخذون شيئاً !

صوت

[من الكامل]

هَبَّتْ قُبَيْلُ تَبْلُجِ الْفَجْرِ هِنْدٌ تَقُولُ وَدَمْعُهَا يَجْرِي
أَنْتَى اعْتَرَاكَ وَكُنْتَ فِي عَهْدِي لَا سَرِبَ الدَّمُوعَ وَكُنْتَ ذَا صَبْرٍ

الشعرُ لرجل من الشُّرَاة يقال له : عمرو بن الحصين مولى بني تميم ، يقوله في عبد الله بن يحيى الذي تسميه الخوارجُ طالبَ الحقِّ ، ومن قُتِلَ من أصحابه معه يرثيهم . والغناء لعبد الله بن أبي العلاء ثاني ثقليل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن الهشامي .

[522] - خبر عبد الله بن يحيى وخروجه ومقتله

[كان مجتهداً عابداً]

أخبرني بذلك الحسن بن عليّ الخفاف ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني عن محمد بن أبي محمد الخرامي ، وخلاد بن يزيد ، وعبد الله بن مصعب ، وعمرو بن هشام ، وعبد الله بن محمد الثقفي ، ويعقوب بن داود الثقفي ، وحريم بن أبي يحيى : أن عبد الله بن يحيى الكندي أحد بني عمرو بن معاوية كان من حضر موت ، وكان مجتهداً عابداً ، وكان يقول قبل أن يخرج : لقيني رجل ، فأطال النظر إليّ ، وقال : ممن أنت ؟ فقلت : من كندة ، فقال : من أيّهم ؟ فقلت : من بني شيطان ، قال : والله لتملكنّ ، وتبلغنّ خيلك وادي القرى¹ ، وذلك بعد أن تذهب إحدى عينيك .

[إلى حضر موت]

فذهبت أتخوف ما قال ، وأستخير الله ، فرأى باليمن جوراً ظاهراً ، وعسفاً شديداً ، وسيرة في الناس قبيحة ، فقال لأصحابه : ما يحلّ لنا المقام على ما نرى ، ولا يسعنا الصبر عليه ، وكتب إلى غبيدة بن مسلم بن أبي كريمة الذي يقال له : كودين مولى بني تميم ، وكان ينزل في الأزدي ، وإلى غيره من الإباضية بالبصرة يُشاورهم في الخروج ، فكتبوا إليه : إن استطعت ألا تقيم يوماً واحداً فافعل ، فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل ، ولست تدري متى يأتي عليك أجلك ؟ والله خيرة من عباده يبعثهم إذا شاء لنصرة دينه ، ويخصّ بالشهادة منهم من يشاء . وشخص إليه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي أحد بني سلمة ، وبلغ بن عقبة السقوري في رجال من الإباضية ، فقدموا عليه حضر موت ، فحثوه على الخروج ، وأتوه بكتب أصحابه : إذا خرجتم فلا تغلوا ، ولا تغدروا ، واقتدوا

1 وادي القرى : بين المدينة والشام من أعمال المدينة .

بسلفكم الصالحين ، وسيروا سيرتهم ، فقد علمتم أنّ الذي أخرجهم على السلطان العيث لأعمالهم .

فدعا أصحابه ، فبايعوه ، فقصدوا دار الإمارة ، وعلى حَضْرَمَوْتِ إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي ، فأخذوه ، فحبسوه يوماً ، ثم أطلقوه ، فأتى صنعاء ، وأقام عبد الله بن يحيى بحَضْرَمَوْتِ ، وكثُر جمعهم ، وسموه «طالب الحق» .

[ثم إلى صنعاء]

فكتب إلى مَنْ كان من أصحابه بصنعاء : إني قادمٌ عليكم ، ثم استخلف على حَضْرَمَوْتِ عبد الله بن سعيد الحضرمي ، وتوجه إلى صنعاء سنة تسع وعشرين ومائة في ألفين ، وبلغ القاسم بن عمر أخا يوسف بن عمر ، وهو عامل مروان بن محمد على صنعاء ، مسير عبد الله بن يحيى ، فاستخلف على صنعاء الضحّاك بن زمل ، وخرج يريد الإباضية في سلاح ظاهر وعدّة وجمع كثير ، فعسكر على مسيرة يوم من أبين¹ وخلف فيها الأثقال ، وتقدّمت المقاتلة ، فلقيه عبد الله بن يحيى بلحج ، قرية من أبين ، قريباً من الليل ، فقال الناس للقاسم : أيها الأمير ، لا تقاتل الخوارج ليلاً ، فأبى ، وقاتلهم ، فقتلوا من أصحابه بشراً كثيراً ، وانهزموا ليلاً ، فمرّ بعسكره ، فأمرهم بالرحيل ، ومضى إلى صنعاء ، فأقام يوماً ، ثم خرج فعسكر قريباً من صنعاء ، وخذق وخلف بصنعاء الضحّاك بن زمل ، فأقبل عبد الله بن يحيى ، فنزل جوين² على ميلين من عسكر القاسم ، فوجه القاسم يزيد بن الفيض في ثلاثة آلاف من أهل الشام وأهل اليمن ، فكانت بينهم مناوشة ثم تجاوزوا ، فرجع يزيد إلى القاسم ، فاستأذنه في بيّتهم ، فأبى أن يأذن له ، فقال يزيد : والله لئن لم تُبيّتهم ليغمّك ، فأبى أن يأذن له ، وأقاموا يومين لا يلتقون ، فلما كان في الليلة الثالثة أقبل عبد الله بن يحيى ، فوافاه مع طلوع الفجر ، فقاتلهم الناس على الخندق ، فغلبتهم الخوارج عليه ، ودخلوا عسكرهم ، والقاسم يُصلي ، فركب ، وقاتلهم الصلّ بن يوسف ، فقتل في المعركة ، وقام بأمر الناس يزيد بن الفيض ، فقاتلهم ، حتى ارتفع النهار ، ثم انهزم أهل صنعاء فأراد أبرهة بن الصباح اتباعهم ،

1 أبين : مخلاف باليمن .

2 جوين : كورة على طريق القوافل من بسطام إلى نيسابور ، تسميها أهل خراسان كويان فعربت فقيل جوين .

فمنعه عبدُ الله بنُ يحيى ، وأتبع يزيدُ بن الفيض القاسمَ بن عمر ، فأخبره الخبر فقال للقاسم¹ :

ألا ليت شعري هل أذودنَّ بالقنا وبالهندونياتِ قبل مماتي
وهل أصبحنَّ الحارثينِ كليهما بطعنٍ وضربٍ يقطعُ اللهواتِ

قال : ودخل عبد الله بن يحيى صنعاء ، فأخذ الضحَّاك بن زمل وإبراهيم بن جبلة بن مخرمة ، فحبسهما ، وجمع الخزائن والأموال ، فأحرزها ، ثم أرسل إلى الضحَّاك وإبراهيم ، فأرسلهما ، وقال لهما : حبستكما خوفاً عليكما من العامة ، وليس عليكما مكروه ، فأقيما إن شئتما أو اشخصا ، فخرجا .

[خطبته بعد فتح اليمن]

فلما استولى عبد الله بن يحيى على بلاد اليمن خطب الناس ، فحمد الله جلَّ وعزَّ وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ، ووعظ ، وذكَّر ، وحذَّر ، ثم قال : إنا ندعوكم إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه وإجابة من دعا إليهما : الإسلامُ ديننا ، ومحمدُ نبينا ، والكعبةُ قبلتنا ، والقرآنُ إمامنا ، رضينا بالحلalِ حلالاً لا يبغي به بديلاً ، ولا نشترى به ثمناً قليلاً ، وحرَّمنا الحرامَ ، ونبذناه وراء ظهورنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإلى الله المشتكى ، وعليه المعول . من زنى فهو كافر ، ومن سرق فهو كافر ، ومن شرب الخمر فهو كافر ، ومن شك في أنه كافر فهو كافر ، ندعوكم إلى فرائض بينات ، وآياتٍ مُحكَّمات ، وآثارٍ مُقتدى بها ، ونشهد أن الله صادق فيما وعد ؛ عدلٌ فيما حكم وندعو إلى توحيد الربِّ ، واليقين بالوعيد والوعد ، وأداء الفرائض ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والولاية لأهل ولاية الله ، والعداوة لأعداء الله . أيها الناس إن من رحمة الله أن جعل في كلِّ فترة بقايا من أهل العلم يدعون من ضلَّ إلى الهدى ، ويصبرون على الألم في جنب الله تعالى ، يُقتلون على الحق في سالفِ الدهور شهداء ، فما نسيهم ربُّهم ، وما كان ربُّك نسيًّا . أوصيكم بتقوى الله ، وحسن القيام على ما وكلَّكم الله بالقيام به ، فأبلوا لله بلاءاً حسناً في أمره وزجره ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم .

1 ورد البيتان في معجم الشعراء على النحو الآتي :

ألا ليت شعري هل أذوسن بالقنا
وهل أصبحن الحارثين كليهما
تبالة أو نجران قبل مماتي
بسم زعاف يقطع اللهوات

[يوجه أتباعه إلى مكة]

قالوا : وأقام عبدُ الله بنُ يحيى بصنعاء أشهراً ، يُحسنُ السيرةَ فيهم ، ويُلينُ جانبَهُ لهم ، ويكفُّ عن الناس ، فكثُرَ جمعه ، وأتته الشُّرأة من كلِّ جانب ، فلَمَّا كان وقتُ الحجِّ وجَّهَ أبا حمزة المختار بن عوف ، وبلج بن عُقبة ، وأبرهة بن الصَّبَّاح إلى مكة في تسعمائة ، وقيل : بل في ألف ومائة ، وأمره أن يقيمَ بمكة إذا صدرَ الناسُ ، ويُوجِّهَ بلجاً إلى الشام ، وأقبلَ المختار إلى مكة ، فقدمها يومَ التَّروية ، وعليها عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وأمُّه بنتُ عبدِ الله بن خالد بن أسيد ، فكره قتالهم .

[هدنة بين المختار وعبد الواحد]

وحدَّثنا من هذا الموضوع بخير أبي حمزة محمد بن جرير الطَّبْرِيّ ، قال : حدَّثنا العباس بن عيسى العَقِيلِيّ ، قال : حدَّثنا هارون بن موسى العواري ، قال : حدَّثنا موسى بن كثير مولى الساعديّين ، قال : كان أولُ أمرِ أبي حمزة ، وهو المختار بن عوف الأزديّ ثم السُلَمِيّ من أهل البصرة أنّه كان يوافي في كلِّ سنة يدعو إلى خلافةِ مروان بن محمد وآل مروان ، فلم يزل يختلفُ كلَّ سنة حتى وافى عبدُ الله بنُ يحيى في آخر سنة ، وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة ، فقال له : يا رجل ، إني أسمع كلاماً حسناً ، وأراك تدعو إلى حق ، فانطلقْ معي ، فإني رجلٌ مطاعٌ في قومي ، فخرج به ، حتى ورد حَضْرَمَوْت ، فبايعه أبو حمزة على الخلافة ، قال : وقد كان مرّاً أبو حمزة بمعدن بني سليم ، وكثير بن عبد الله عامل على المعدن ، فسمع بعضَ كلامه ، فأمر به فجلدَ أربعين سوطاً ، فلَمَّا ظهر أبو حمزة بمكة تغيبَ كثيرٌ حتى كان من أمره ما كان ، ثم رجع إلى موضعه ، قال : فلَمَّا كان في العام المقبل تمامَ سنة تسع وعشرين لم يعلم الناس بعرفة إلا وقد طلعت أعلام عمائم سُودٍ حَرَمِيَّة في رؤوس الرِّماح ، وهم سبعمائة ، هكذا قال : هذا وذكر المدائنيّ أنّهم كانوا تسعمائة أو ألفاً ومائة ، ففزع الناسُ منهم حين رأوهم ، وقالوا لهم : ما لكم ؟ وما حالكم ؟ فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان والتبريّ منهم .

فراسلهم عبد الواحد بن سليمان ، وهو يومئذٍ على المدينة ومكة والموسم ، ودعاهم إلى الهدنة ، فقالوا : نحن بحجنا أضنَّ وعليه أشحُّ ، فصالحهم على أنّهم جميعاً آمنون بعضهم من بعض ، حتى ينفِرَ الناسُ النَّفْرَ الأخير ، وأصبحوا من غدي ، فوقفوا على حِدَّةِ بعرفة ، ودفع عبدُ الواحد بالناس ، فلَمَّا كانوا بمنى قالوا لعبد الواحد : إنك قد أخطأتَ فيهم ، ولو حملتَ عليهم

الحاجَّ ما كانوا إلاَّ أَكَلَةَ رَأْسٍ¹ ، فنزل أبو حمزة بقرن الثعالب من مِئى ، ونزل عبد الواحد منزلاً السلطان ، فبعثَ عبدُ الواحد إلى أبي حمزة عبدَ الله بنَ حسن بنَ حسن بنَ عليٍّ ، عليهم السلام ، ومحمدَ بنَ عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وعبدَ الرحمن بنَ القاسم بن محمد بن أبي بكر وعبيد الله بن عمرو بن حفص العمريِّ ، وربيعَةَ بنَ عبد الرحمن ، في رجال من أمثالهم ، فلما دَنَوْا من قرن الثعالب لقيتهم مسالحُ أبي حمزة ، فأخذوهم ، فدخِلَ بهم على أبي حمزة ، فوجدوه جالسا ، وعليه إزار قطواني² ، قد ربطه الحوِّرة في قفاه ، فلما دَنَوْا تقدَّم إليه عبدُ الله بنُ حسن ومحمدُ بن عبد الله بن عمرو ، فنسبهما ، فلما انتسبا له عبسَ في وجهيهما وبسَر ، وأظهر الكراهة لهما .

ثم تقدَّم إليه بعدهما البكريِّ والعمريِّ فنسبهما ، فلما انتسبا له هسَّ إليهما ، وتبسَّم في وجوههما ، وقال : والله ما خرجنا إلاَّ لنسيرَ بسيرة أبيكما ، فقال له عبدُ الله بن حسن بن حسن : والله ما جئناك لتفاضلَ بين آبائنا ، ولكن بعثنا إليك الأميرُ برسالة ، وهذا ربيعةٌ يخبركها ، فلما ذكر ربيعةً نقضَ العهد ، قال بلج وإبراهيم ، وكانا قائدين له : الساعة الساعة ، فأقبل عليهما أبو حمزة ، وقال : معاذ الله أن نقضَ العهد أو نخيسَ به ، والله لا أفعل ولو قُطِعَت رقبتي هذه ، ولكن تنقضي هذه الهدنة بيننا وبينكم . فلما أبى عليهم خرجوا ، فأبلغوا عبدَ الواحد .

[المختار يدخل مكة]

فلما كان النفرُ الأوَّلُ نَفَرَ عبد الواحد ، وخرلى مكة لأبي حمزة ، فدخلها بغير قتال . قال هارونُ : وأنشدني يعقوب بن طلحة الليثيُّ أبياتاً هجِّيَ بها عبد الواحد لشاعر لم نحفلُ به :

زار الحجيجَ عصابةً قد خالفوا	دينَ الإله ففرَّ عبدُ الواحدِ
ترك الإمارةَ والحلائلَ هارياً	ومضى يُخبطُ كالبعيرِ الشارِدِ
لو كان والدُه تخييراً أمَّه	لصَفَتْ خلائقُه بعرقِ الوالدِ
ترك القتالَ وما به من عِلَّةٍ	إلاَّ الوهونَ وعرفةً من خالدِ

1 مثل يضرب للقلة .

2 قطواني : نسبة إلى قطوان : موضع بالكوفة تتخذ منه الأكسية .

ثم مضى عبدُ الواحد حتى دخل المدينة ، فدعا بالديوان ، وضرب على الناس البعث ،
وزادهم في العطاء عشرةً عشرةً .
[انتصاره في قديد]

قال هارون : أخبرني بذلك أبو ضمرة أنسُ بنُ عياض أنه كان فيمن اكتتب ، قال : ثم
محوتُ اسمي .

قال هارون : وحدثنني غير واحد من أصحابنا أن عبد الواحد استعمل عبد العزيز بن
عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس ، فخرجوا ، فلما كانوا بالحرّة لقيتهم جُزراً
منحورة ، فمضوا ، فلما كانوا بالعقيق تعلّق لوائهم بسمرة ، فانكسر الرمح ، وتشاءم
الناسُ بالخروج ، ثم ساروا ، حتى نزلوا قديداً ، فنزلوها ليلاً ؛ وكانت قرية قديد من
ناحية القصر والمينر اليوم ، وكانت الحياضُ هناك ، فنزل قوم مغترّون ليسوا بأصحاب
حرب ، فلم يرُعهم إلاّ القومُ قد خرجوا عليهم من الفصل ، فزعم بعض الناس أن خزاعةً
دلّتُ أبا حمزة على عورتهم ؛ وأدخلوهم عليهم ، فقتلوهم ، وكانت المقتلة على قريش ،
وهم كانوا أكثر الناس ، وفيهم كانت الشوكة ، فأصيب منهم عدد كثير .
[اليمايون يشمتون بقريش]

قال العباس : قال هارون : فأخبرني بعضُ أصحابنا : أن رجلاً من قريش نظر إلى رجل
من أهل اليمن يقول : الحمد لله الذي أقرّ عيني بمقتل قريش ، فقال له ابنه : الحمد لله أذلّهم
بأيدينا ، فما كانت قريش تظنُّ أن من نزل على عمان من الأزد عربيّ ، قال : وكان هذان
الرجلان مع أهل المدينة ، فقال القرشيّ لابنه : يا بني ، هلّمّ نبدأ بهذين الرجلين ، قال : نعم يا
أبت ، فحملا عليهما ، فقتلتهما ، ثم قال لابنه : أيُّ بُنيّ تقدّم ، فقاتلا . حتى قُتلا .

وقال المدائنيّ : القرشيّ كان عمارةً بن حمزة بن مصعب بن الزبير ، والمتكلم بالكلام مع
ابنه رجل من الأنصار . قال : ثم ورد فلان² الجيش المدينة ، وبكى الناس قتلاهم ، فكانت
المرأة تقيم على حميمها النواح ، فلا تزال المرأة يأتيها الخيرُ بمقتل حميمها ، فتنصرف ، حتى
ما يبقى عندها امرأة ، فأنشدني أبو ضمرة هذه الأبيات في قتلى قديد الذين أصيبوا من قومه
لبعض أصحابه :

1 قديد : موضع قرب المدينة .

2 فلان : جمع فل ، وهم المنهزمون ويجمع على فلول .

يا لهفَ نفسي ولهفٌ غير نافيةٍ على فوارسَ بالبطحاء أنجادٍ
عمرو وعمرو وعبدُ الله بينهما وابناهما خامسٌ والحارث السادي¹

[جيش من الأعمار يحارب الخوارج]

قال المدائني في خبره : كتب عبد الواحد بن سليمان إلى مروان يعتذر من إخراجه عن مكة ، فكتب مروان إلى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وهو عامله على المدينة ، يأمره بتوجيه الجيش إلى مكة ، فوجه ثمانية آلاف رجل من قريش والأنصار والتجار ، أعمار لا علم لهم بالحرب ، فخرجوا في الصبغات والثياب الناعمة واللهور ، لا يظنون أن للخوارج شوكة ولا يشكون أنهم في أيديهم .

[يبيع سبي الطائف فيهنزم]

وقال رجل من قريش : لو شاء أهلُ الطائف لكفونا أمرَ هؤلاء ، ولكنهم داهنوا في أمر الله تعالى ، والله إن ظفرنا لنسيرن إلى أهل الطائف ، فلنسيبهم ، ثم قال : من يشتري مني سبي أهل الطائف ؟ فلما انهزم الناس رجع ذلك الرجل القائل : من يشتري مني سبي أهل الطائف في أول المنهزمين ، فدخل منزله ، وأراد أن يقول لجاريته : أغلقي الباب ، فقال لها : غاقِ باقِ دهشا ، ولم تفهم الجارية قوله ، حتى أوما إليها بيده ، فأغلقت الباب ، فلقبه أهل المدينة بعد ذلك «غاقِ باقِ» .

[أموي وقريشي]

قال : وكان عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز يعرض الجيشَ بذِي الحليفة ، فمرَّ به أميةُ بن عَبَسَةَ بن سعيد بن العاص ، فرحَّب به ، وضجَّك إليه ، ومرَّ به عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير ، فلم يكلمه ، ولم يلتفت إليه ، فقال له عمران بن عبد الله بن مطيع ، وكان ابن خالته ، أمأها ابنتا عبد الله بن خالد بن أسيد : سبحان الله ! مرَّ بك شيخٌ من شيوخ قريش ، فلم تنظرْ إليه ، ولم تكلمه ، ومرَّ بك غلام من بني أمية ، فضجَّكَت إليه ولاطفته ! أما والله لو قد التقى الجمعان لعلمتَ أيُّهما أصبرُ ؟ قال : فكان أميةُ بن عَبَسَةَ أولَ مَنْ انهزم ، ونكَّب فرسه ومضى ، وقال لغلامه : يا مجيب ، أما والله لئن أحرزتُ نفسي هذه الأكلبَ من الشُّراةِ إنِّي لعاجز . وقاتلَ يومئذٍ عمارة بن حمزة بن

مصعب ، حتى قُتِل ، وتمثَّل :
 [من الطويل]
 وإنسي إذا ضنَّ الأميرُ بإذنه على الأذنِ من نفسي إذا شئتُ قادرُ
 والشعر للأغرَّ بنِ حمَّادِ اليشكرِيِّ .

[أبو حمزة يحمس أصحابه]

قال : ولما بلغَ أبا حمزة إقبالُ أهلِ المدينةِ إليه استخَلَفَ على مَكَّةَ إبراهيمُ بنُ الصَّبَّاحِ ،
 وشَخَّصَ إليهم ، وعلى مقدَّمته بلجُ بنُ عُقبة ، فلما كان في الليلة التي وافاهم في صَبِيحَتِهَا ،
 وأهلُ المدينةِ نَزولُ بَقْدِيدٍ ، قال لأصحابه : إنَّكم لأقو قومِكُم غداً ، وأميرهم ، فيما بلغني ،
 ابنُ عثمانِ أوَّلُ مَنْ خالفَ سيرةَ الخلفاءِ ، وبدَّلَ سنةَ رسولِ اللهِ ، ﷺ ، وقد وَضَحَ الصبْحُ
 لذي عَيْنَيْنِ ، فأكثروا ذَكَرَ اللهُ تعالى ، وتلاوةَ القرآنِ ، ووطنوا أنفُسَكم على الصَّبْرِ . وصَبَّحَهُم
 غداةَ الخميسِ لتسعٍ أو لسبعِ خلونَ من صفرِ سنةِ ثلاثينِ ومائةَ ، فقال عبدُ العزيزِ لغلَّامه :
 أبغنا غَلْفًا . قال : هو غَالٌ ، قال : ويحك ! البواكي علينا غداً أغلى .
 [رسولُ أبي حمزة إلى أهلِ المدينةِ]

وأرسل إليهم أبو حمزة بلجُ بنُ عُقبة ؛ ليدعوهم ، فأتاهم في ثلاثينِ راجعاً ، فذكَرَهُم
 اللهُ ؛ وسأَلَهُمْ أَنْ يَكْفُوا عَنْهُمْ ؛ وقال لَهُمْ : خَلُّوا لنا سبيلنا ؛ لنسيرَ إلى مَنْ ظلمَكُم ؛
 وجارِ في الحُكْمِ عليكم ؛ ولا تَجْعَلُوا حَدَّنَا بِكُمْ ؛ فإنَّا لا نريدُ قتالَكُم ؛ فشتَمَهُمُ أهلُ
 المدينةِ ، وقالوا : يا أعداءَ اللهِ ، أنحنُ نُخَلِّيكُم ونَدَعُكُم تُفسدونَ في الأرضِ ! فقالت
 الخوارجُ : يا أعداءَ اللهِ ، أنحنُ نُفسدُ في الأرضِ ! إنَّما خرجنا لنُكفَّ أهلَ الفسادِ ، ونقاتل
 مَنْ قاتلنا واستأثرَ بالفِيءِ ، فانظروا لأنفسِكُم ، واخلعوا مَنْ لا يجعلُ اللهُ له طاعةً ، فإنَّه
 لا طاعةَ لِمَنْ عَصَى اللهُ ، وادخلوا في السَّلْمِ ، وعاونوا أهلَ الحَقِّ ، فقال له عبدُ العزيزِ : ما
 تقولُ في عثمانَ ؟ قال : قد برىءَ المسلمونَ منه قبلي ، وأنا متَّبِعُ آثارَهُم ، ومقتدٍ بِهِم ،
 قال : فارجعْ إلى أصحابِك ، فليسَ بيننا وبينهم إلا السيفُ .

[الآن حلت لكم دماؤهم]

فرجع إلى أبي حمزة ، فأخبره ، فقال : كُفُّوا عَنْهُمْ ، ولا تقاتلوهم . حتى يبدهوكم
 بالقتالِ ، فواقفوهم ، ولم يُقاتلوهم . فرمى رَجُلٌ من أهلِ المدينةِ في عسكرِ أبي حمزة بسهمٍ ،
 فجرَحَ رجلاً ، فقال أبو حمزة : شأنكُم الآن بهم ، فقد حلَّ قتالُهُم ، فحملوا عليهم ، وثبت
 بعضهم لبعضٍ ، ورايةُ قريشٍ مع إبراهيمِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ مطيعٍ .

ثم اكشف أهل المدينة ، فلم يتبعوهم ، وكان على مُجَنَّبَتِهِمْ¹ ضميرُ بنِ صخر بن أبي الجهم بن حذيفة ، فكرّ وكرّ الناسُ معه ، فقاتلوا قليلاً ، ثم انهزموا ، فلم يُعدوا . حتى كروا ثالثةً ، وقاتلهم أبو حمزة ، فهزّمهم هزيمة لم تُبق منهم باقية ، فقال له عليّ بن الحُصَيْن : أتبع القوم . أو دَعْنِي أَتَبِعُهُمْ ، فَأَقْتَلَ المَذْبِرَ ، وَأَذْفَفَ² على الجريح ، فإن هؤلاء شرُّ علينا من أهل الشام ، فلو قد جاءوك غداً لرأيت من هؤلاء ما تكره ، فقال : لا أفعلُ ، ولا أخالفُ سيرةَ أسلافنا . وأخذ جماعةً منهم أسراء ، فأراد إطلاقهم ، فمنعه عليّ بن الحُصَيْن ، وقال له : إن لأهل كلِّ زمان سيرةً ، وهؤلاء لم يؤسروا وهم هُرَّابٌ ، وإنما أسروا وهم يقاتلون ، ولو قُتِلوا في ذلك الوقت لم يحرم قتلهم ، وكذلك الآن قتلهم حلال ، فدعا بهم ، فكان إذا رأى رجلاً من قريش قتله ، وإذا رأى رجلاً من الأنصار أطلقه ، فأُتِيَ بمحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فنسبه ، فقال : أنا رجل من الأنصار ، فسأل الأنصارَ عنه ، فشهدوا له ، فأطلقه ، فلما ولى قال : واللّهِ إني لأعلم أنّه قرشيّ وما حُداوة³ هذا حُداوةَ أنصاريّ ، ولكن قد أطلّقتُه .

قال : وبلغتُ قتلى قُديد ألفين ومائتين وثلاثين رجلاً ، منهم من قريش أربعمائة وخمسون رجلاً ، ومن الأنصار ثمانون ، ومن القبائل والموالي ألفٌ وسبعمائة ، قال : وكان في قتلى قريش من بني أسد بن عبد العزى أربعون رجلاً ، وقُتل يومئذٍ أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، خرج يومئذٍ مقنّعاً ، فما كلم أحداً ، وقاتل حتى قُتل ، وقُتل يومئذٍ سُمي مولى أبي بكر الذي يروي عنه مالك بن أنس ، ودخل بلجّ المدينة بغير حرب ، فدخلوا في طاعته ، وكفّ عنهم ، ورجع أبو حمزة إلى مكّة ، وكان على شُرطته أبو بكر بن عبد الله بن عمرو من آل سُراقة من بني عديّ ، فكان أهل المدينة يقولون : لعن الله السُّراقيّ ، ولعن بلجاً العراقيّ .

[نائحة المدينة تبكي قتلى قديد]

وقالت نائحة أهل المدينة تبكيهم :

[من مجزوء الكامل]

ما للزمان وما ليّه أفنت قُديدُ رجاليّه

1 ل : حاميتهم .

2 أذفف : أجهز .

3 حداوة : شبه .

فَلأَبْكَيْنَ سَرِيرَةً ولأَبْكَيْنَ عَلَانِيَةً
ولأَبْكَيْنَ إِذَا خَلَوُ تَ مع الكلابِ العَاوِيَةَ
ولأَثْنَيْنَ عَلَى قُدْبِي دَسُوءَ مَا أَبْلَانِيَةَ

في هذه الأبيات هزج قديم يشبه أن يكون لطويس أو بعض طبقته .

[عمرو بن الحسن يذكر وقعة قديد]

وقال عمرو بن الحسن الكوفي مولى بني تميم يذكر وقعة قديد وأمر مكة ودخولهم إياها ، وأنشدنيها الأخصش عن السُّكْرِيِّ والأحول وثعلب لعمري وهذا ، وكان يستجدها ويُفضِّلُها :

[من الكامل]

يَمْرِي سَوَابِقَ دَمْعِكَ الْمَتْسَاكِبِ	مَا بَالُ هَمِّكَ لَيْسَ عِنْدَكَ بِعَازِبِ
عَبْرِي تُسَرُّ بِكُلِّ نَجْمٍ دَائِبِ	وَتَبِيْتُ تَكْتَلِيءُ النُّجُومَ بِمَقْلَةٍ
لَمْ أَقْضِ مَنْ تَبَعَ الشُّرَاةَ مَارِي	حَذَرَ الْمَنِيَّةِ أَنْ تَجِيءَ بِدَاهَةِ
عَبَلُ الشَّوَى أُسْوَانُ ضَمْرِ الْحَالِبِ ¹	فَأَقُودُ فِيهِمْ لِلْعِدَا شَنْجَ النَّسَا
مَاءِ الْحَسِيكِ مَعَ الْحِلَالِ اللَّاتِبِ ²	مُتَحَدِّراً كَالسَّيِّدِ أَخْلَصَ لَوْنَهُ
بُورَا إِلَى جَبْرِيَّةٍ وَمَعَايِبِ	أَرْمِي بِهِ مِنْ جَمْعِ قَوْمِي مَعْشَرًا
لَفَّ الْقِدَاحَ يَدَ الْمُفِيضِ الضَّارِبِ	فِي فِتْيَةٍ صَبْرٍ أَلْفُهُمْ بِهِ
كَأْسُ الْمُنُونِ تَقُولُ : هَلْ مِنْ شَارِبِ	فَنَدُورُ نَحْنُ وَهُمْ وَفِي مَا بَيْنَنَا
سُمُرٍ وَمُرْهَفَةِ النُّصُولِ قَوَاضِبِ	فَنَظْلُ نَسْقِيهِمْ وَنَشْرَبُ مِنْ قَنَّا
نَجْلَاءِ بَيْنَ رُهَائِبِ وَتَرَائِبِ ³	بَيْنَا كَذَلِكَ نَحْنُ جَالَتْ طَعْنَةُ
ظُبَّتَا سِنَانِ كَالشَّهَابِ النَّاقِبِ ⁴	جَوْفَاءِ مَنَهْرَةٍ تَرَى تَامُورَهَا
حَفْضُ لَقَى تَحْتَ الْعَجَاجِ الْعَاصِبِ	أَهْوَى لَهَا شِقَّ الشَّمَالِ كَأَنَّي
نَفْسِي الْمُنُونِ لَدَى أَكْفٍ قَرَائِبِ	يَا رَبِّ أَوْجِبْهَا وَلَا تَتَعَلَّقَنَّ

1 شنج النسا : لم تسترخ رجلاه . وعبل الشوى : ضخم الأطراف .

2 اللاتب : اللازق مثل اللازب .

3 لعل رهايب جمع رهابة وهي عظيم في الصدر مشرف على البطن وقد ورد جمعها في لسان العرب على رهاب .

4 منهرة : واسعة . وتامور : الدم وله معنى الخمر والإبريق .

كم من أولى ثقةً صحبتهم شروا
 متأوهين كأن في أجوافهم
 تلقاهم فتراهم من راعع
 يتلو قوارع تمترى عبراته
 سير لجائفة الأمور أطبة
 ومبرئين من المعايب أحرزوا
 عروا صوارم للجلاد وباشروا
 ناطوا أمورهم بأمر أخ لهم
 متسريلي حلق الحديد كأنهم
 قيدت من أعلى حضرموت فلم تزل
 تحمي أعتتها وتحوي نهبيها
 حتى وردن حياض مكة قطننا
 ما إن أتين على أخي جبرية
 في كل معترك لها من هامهم
 سائل بيوم قديد عن وقعاتها
 فخذلتهم ولبس فعل صاحب
 نارا تسعرها أكف حواطب
 أو ساجد متضرع أو ناحب
 فيجودها مرّي المري الخالب
 للصدع ذي النبا الجليل مدائب
 خصل المكارم أتقياء أطايب
 حد الطباة بانف وحواب
 فرمى بهم لقم الطريق اللاحب¹
 أسد على لحق البطون سلاه²
 تنفي عداها جانباً عن جانب
 لله أكرم فتيه وأشائب
 يحكين واردة اليمام القارب³
 إلا تركنهم كأس الذهب
 فلق وأيد علقتم بمناكب
 تخيرك عن وقعاتها بعجائب

[خطبة أبي حمزة في أهل المدينة]

وقال هارون بن موسى في رواية محمد بن جرير الطبري عن العباس بن عيسى عنه :
 ثم دخل أبو حمزة المدينة سنة ثلاثين ومائة ، ومضى عبد الواحد بن سليمان إلى الشام ،
 فرقي المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه : وقال : يا أهل المدينة ، سألناكم عن ولاتكم هؤلاء ،
 فأسأتم ، لعمر الله ، فيهم القول ، وسألناكم : هل يقتلون بالظن ؟ فقلتم : نعم ، وسألناكم :
 هل يستحلون المال الحرام والفرج الحرام ؟ فقلتم : نعم ، فقلنا لكم : تعالوا نحن وأنتم ،
 فنناشدهم الله أن يتنحوا عنا وعنكم ، ليختار المسلمون لأنفسهم ؛ فقلتم : لا تفعلون ،

1 لقم الطريق : وسطه .

2 السلهب من الخيل : ما طالت عظامه .

3 القارب : طالب الماء ليلاً

فقلنا لكم : تعالوا نحن وأنتم نلقاهم ، فإن نظرهم نحنُ وأنتم نأتِ بمن يقيمُ فينا كتابَ الله وسنةَ نبيه ، وإن نظفَر نعدلُ في أحكامكم ، ونحملُكم على سنة نبيكم ، ونقسم فيكم بينكم ، فإن أبيتم ، وقاتلتُمونا دونهم ، فقاتلناكم ، فأبعدكم الله ، وأسحقكم يا أهل المدينة ، مررتُ بكم في زمان الأحول هشام بن عبد الملك ، وقد أصابتكم عاهة في ثماركم فركبتُم إليه تسألونه أن يضع خراجكم عنكم ، فكتب بوضعها عنكم ، فراد الغني غني ، وزاد الفقير فقراً ، فقلتم : جزاكم الله خيراً ، فلا جزاه الله خيراً ، ولا جزاكم .

[خطبة أخرى جامعة مانعة]

قال هارون : وأخبرني يحيى بن زكريا : أن أبا حمزة خطب بهذه الخطبة : رقى المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال : أتعلمون يا أهل المدينة ، أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشراً ولا بطراً ولا عبثاً ولا لهواً . ولا لدولة مُلك نريد أن نخوض فيه ، ولا ثارٍ قديم نيل منا ، ولكننا لما رأينا مصابيح الحق قد عطلت ، وعُتف القائل بالحق ، وقُتل القائم بالقسط ، ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وسَمِعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمن وحُكم القرآن ، فأجبت داعي الله ﴿وَمَنْ لَا يُجِبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾¹ فأقبلنا من قبائل شتى ، النفر منا على بعير واحد ، عليه زادهم وأنفسهم ، يتعاورون لحافاً واحداً ، قليلون مستضعفون في الأرض ، فأوانا الله ، وأيدنا بنصره ، وأصبحنا ، والله ، بنعمته إخواناً ، ثم لقينا رجالكم بقديد ، فدعوناهم إلى طاعة الرحمن ، وحُكم القرآن ودعونا إلى طاعة الشيطان ، وحُكم مروان ، وآل مروان ، شتان ، لعمركم الله ، ما بين الغي والرشد ، ثم أقبلوا يُهرعون ، ويترفون ، قد ضرب الشيطان فيهم بجرانه ، وغلت بدمائهم مراجله ، وصدق عليهم ظنه ، وأقبل أنصارُ الله عصاباً وكتائب بكل مهتد ذي رونق ، فدارت رحانا واستدارت رحاهم ، بضرب يرتاب منه المبتلون . وأنتم يا أهل المدينة ، إن تنصروا مروان وآل مروان يُسحتكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ويشف صدور قوم مؤمنين ، يا أهل المدينة : إن أولكم خير أول ، وآخركم شر آخر ، يا أهل المدينة ، الناس منا ونحن منهم إلا مشركاً عابداً وثن ، أو كافراً من أهل الكتاب ، أو إماماً جائراً ، يا أهل المدينة ، من زعم أن الله تعالى كلّف نفساً فوق طاقتها ، أو سألها عما لم يؤتها فهو لله عدو ، ولنا حرب . يا أهل المدينة ، أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله تعالى في

كتابه على القوي للضعيف فجاء التاسع ، وليس له منها ولا سهم واحد ، فأخذ جميعها لنفسه مكابراً مُحارِباً لربه ، ما تقولون فيه وفيمن عاونه على فعله ؟ يا أهل المدينة ، بلغني أنكم تنتقصون أصحابي ، قلتُم : هم شباب أحداث ، وأعراب جفاة ، ويحكم يا أهل المدينة ! وهل كان أصحابُ رسول الله ﷺ ، إلا شباباً أحداثاً ! شباب والله مكتهلون في شبابهم ، غَضِيضَةٌ عن الشرِّ أعينهم ، ثَقِيلَةٌ عن الباطل أقدامهم ، قد باعوا أنفُساً تَموتُ غداً بأنفسٍ لا تَموتُ أبداً ، قد خلطوا كَلالهم بكَلالهم ، وقيامٌ ليلهم بصيام نهارهم ، مُنحنية أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلُّما مرّوا بآيةٍ خوفٍ شَهَقوا خوفاً من النار ؛ وإذا مرّوا بآيةٍ شوقٍ شَهَقوا شوقاً إلى الجنة ، فلَمّا نظروا إلى السيوف قد أنضيتْ ؛ وإلى الرماح قد أُشرِعتْ وإلى السهام قد فُوقَتْ ؛ وأرعدت الكتيبةُ بصواعقِ الموت استخفّوا وعيد الكتيبة عند وعيد الله ، ولم يستخفّوا وعيد الله عند وعيد الكتيبة ؛ فَطُوبى لهم وحُسنُ مآب ! فكم من عينٍ في منقار طائر طالما بكى بها صاحبها من خشية الله ، وكم من يدٍ قد أُبينتْ عن ساعدها طالما اعتمدت عليها صاحبها راعياً وساجداً . أقول قولي هذا ، وأستغفرُ الله من تقصيرنا ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أُنِيب .

[مرتكب الكبيرة كافر]

قال هارون : وحَدَّثني جدِّي أبو عَلْقَمَةَ ، قال : سمعتُ أبا حمزة على منبر النبي ﷺ يقول : «مَنْ زَنَى فهو كافر» ، وَمَنْ سَرَقَ فهو كافر ، وَمَنْ شَكَّ أَنَّهُ كافر فهو كافر : [من الكامل]

بَرِحَ الخَفَاءُ فَأَيْنَ ما بَكَ يَذْهَبُ

[خطبة له في أهل المدينة]

قال هارونُ : قال جدِّي : كان أبو حمزة قد أحسن السيرة في أهل المدينة ، حتى استمال الناس ، وسمع بعضهم كلامه في قوله : مَنْ زَنَى فهو كافر ، قال هارون : قال جدِّي : وسمعتُ أبا حمزة يخطب بالمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهل المدينة ؛ ما لي رأيتُ رسمَ الدِّينِ فيكم عافياً ، وآثاره دارسة ! لا تَقبلون عليه عِظَةً ، ولا تَفقهون من أهله حُجَّةً ، قد بليت فيكم جدُّته ، وانطمست عنكم سننهُ ، ترون معروفه مُنكراً ، والمُنكر من غيره مَعروفاً ، إذا انكشفت لكم العِبر ، وأوضحت لكم النُدُر ، عميت عنها أبصاركم ، وصمّت عنها أَسماعكم ، ساهين في غمرة ، لاهين في غفلة ، تنبسط قلوبكم للباطل إذا نُشِر ، وتنقبض عن الحقِّ إذا ذُكِر ، مستوحشة من العلم ، مستأنسة بالجهل ، كلُّما وقعت عليها موعظةٌ زادتها

عن الحق نُفوراً ، تحمِلون منها في صدوركم كالحجارة أو أشدَّ قسوة من الحجارة ، أو لم تَلنْ لكتاب الله الذي لو أنزلَ على جَبَلٍ لرأيته خاشعاً مُتصدِّعاً من خشية الله ! يا أهلَ المدينة ، ما تُغني عنكم صحَّةُ أبدانِكُم إذا سَقِمت قلوبُكُم إن الله قد جعل لكلِّ شيءٍ غالباً يُفادُ له ، ويطيعُ أمره ، وجعل القلوبَ غالبَةً على الأبدانِ ، فإذا مالت القلوبُ ميلاً كانت الأبدانُ لها تبعاً ، وإن القلوبَ لا تَلين لأهلِها إلا بصِحَّتِها ، ولا يصحُّها إلا المعرفةُ باللهِ وقوَّةُ النِّيَّةِ ، ونفاذُ البصيرةِ . ولو استشعرتُ تقوى الله قلوبُكُم لاستعملتُ بطاعة الله أبدانِكُم . يا أهلَ المدينة ، دارُكم دارُ الهجرة ، ومثوى رسول الله ﷺ ، لما نَبَتْ به دارُه ، وضاق به قرارُه ، وآذاه الأعداءُ ، وتجهَّمتْ له ، فنقله إلى قوم ، لعمري لم يكونوا أمثالكم ، مُتوازرين مع الحقِّ على الباطلِ ، ومختارين للآجلِ على العاجلِ ، يصيرون للضراءِ رجاءً ثوابها ، فنصروا الله ، وجاهدوا في سبيله ، وآووا رسول الله ﷺ ، ونصروه ، واتبَعوا النورَ الذي أنزلَ معه ، وآثروا الله على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصةً ، قال الله تعالى لهم ولأمثالهم ولَمَن اهتدى بهُداهم : ﴿ وَمَنْ يُوَقِّ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾¹ وأنتم أبناؤهم ، ومَن بقي من خلفهم ، تتركون أن تقتدوا بهم ، أو تأخذوا بسببهم ، عُمي القلوبُ ، صَمَّ الآذانُ ، اتبعتم الهوى ، فأرداكم عن الهدى وأسهاكم ، فلا مواعظُ القرآن تزجرُكم فتزدجروا ، ولا تعظُكم فتعتبروا ، ولا تُوقظُكم فتستيقظوا ، لبئس الخلفُ أنتم من قوم مَضَوْا قبلكم ، ما سیرتم بسيرتهم ، ولا حَفِظْتُمْ وصيتهم ، ولا احتذيتُم مثالهم ، لو شَقَّتْ عنهم قبورُهم ، فَعُرِضَتْ عليهم أعمالُكم لعجبوا كيف صُرِفَ العذابُ عنكم . قال : ثم لعن أقواماً .

[خطبة أخرى]

قال هارون : وحدثني داود بن عبد الله بن أبي الكرام ، وأخرج إليَّ خطبُ ابن فضالة النحويِّ بهذا الخبر : أن أبا حمزة بلغه أن أهلَ المدينة يعيرون أصحابه لحدائث أسنانهم ، وخفة أحلامهم ، فبلغه ذلك عنهم ؛ فصعد المنبر ؛ وعليه كساء غليظٌ ؛ وهو متنكبٌ قوساً عربيَّةً فحمد الله ، وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ وآله ، ثم قال : يا أهلَ المدينة ، قد بلغنني مقاتلتكم في أصحابي ، ولولا معرفتي بضعف رأيكم وقلة عقولكم لأحسنتُ أدبكم ، ويحكم ! إن رسول الله ﷺ أنزلَ عليه الكتابُ ، وبيِّنَ له فيه السننَ ، وشرع له فيه الشرائعَ ، وبيِّنَ له فيه ما

يأتي وما يذر ، فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله ، ولا يُحجم إلا عن أمر الله ، حتى قبضه الله إليه ، وقد أذى الذي عليه ، لم يدعكم من أمركم في شبهة ، ثم قام من بعده أبو بكر ؛ فأخذ بسنته ، وقاتل أهل الردة ؛ وشمّر في أمر الله ؛ حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضون ، رحمة الله عليه ومغفرته ؛ ثم ولي بعده عُمر ، فأخذ بسنة صاحبيه ، وجند الأجناد ؛ ومصر الأمصار ؛ وجبى الفياء ؛ فقسّمه بين أهله ؛ وشمّر عن ساقه ، وحسّر عن ذراعه ، وضرب في الخمر ثمانين ، وقام في شهر رمضان ، وغزا العدو في بلادهم ؛ وفتح المدائن والحصون ؛ حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضون ، رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرته ، ثم ولي من بعده عثمان بن عفان فعَمِلَ في ستّ سنين بسنة صاحبيه ؛ ثم أحدث أحداثاً أبطل آخر منها أولاً ، واضطرب جبل الدين بعدها ، فطلبها كل امرئ لنفسه ، وأسر كل رجل منهم سريرة أباها الله عنه ؛ حتى مضوا على ذلك ، ثم ولي علي بن أبي طالب ، فلم يبلغ من الحق قصداً ؛ ولم يرفع له مناراً ومضى ؛ ثم ولي معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله ﷺ وابن لعينه ، وجلف من الأعراب ، وبقية من الأحزاب ، مؤلف طليق ، فسفك الدم الحرام ، وأخذ عباد الله خولاً ، ومال الله دولا ، وبغى دينه عوجاً ودغلاً¹ ، وأحلّ الفرج الحرام ، وعَمِلَ بما يشتهيهِ ؛ حتى مضى لسبيله ، فعل الله به وفعل ، ثم ولي بعده ابنه يزيد ؛ يزيدُ الخُمور ، ويزيدُ الصقور ، ويزيدُ الفهود ، ويزيدُ الصيود ، ويزيدُ القُرود ، فخالف القرآن ، وأتبع الكهان ، ونادم القرد ، وعَمِلَ بما يشتهيهِ حتى مضى على ذلك لعنه الله ، وفعل به وفعل ، ثم ولي مروان بن الحكم طريد لعين رسول الله ﷺ وآله ، وابن لعينه ؛ فاسق في بطنه وفرجه ، فالتنوه والعنوا آباءه ثم تداولها بنو مروان بعده ؛ أهل بيت اللعنة ، طرداء رسول الله ﷺ وآله ، وقوم من الطلقاء ليسوا من المهاجرين والأنصار ولا التابعين لهم بإحسان ، فأكلوا مال الله أكلاً ، ولعبوا بدين الله لعباً ، وأخذوا عباد الله عبيداً ، يُورث ذلك الأكبر منهم الأصغر . فيا لها أمة ، ما أضعفها وأضعفها ! والحمد لله رب العالمين ، ثم مضوا على ذلك من أعمالهم واستخفافهم بكتاب الله تعالى ؛ قد نبذوه وراء ظهورهم ، لعنهم الله ؛ فالعنوهم كما يستحقون ؛ وقد ولي منهم عمر بن عبد العزيز ؛ فبلغ ؛ ولم يكذ ؛ وعجز عن الذي أظهره ، حتى مضى لسبيله ، ولم يذكره بخير ولا شر ، ثم ولي يزيد بن عبد الملك ، غلام ضعيف

سفيه غير مأمون على شيء من أمور المسلمين ، لم يبلغ أشده ، ولم يؤانسُ رُشدَهُ ، وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَإِن آتَيْتُم مِّنْهُم رُّشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾¹ فأمرُ أمةٍ محمدٍ في أحكامها وفروجها ودمائها أعظمُ من ذلك كله ، وإن كان ذلك عند الله عظيماً ، مأبونٌ في بطنه وفرجه ، يشربُ الحرام ، ويأكلُ الحرام ، ويلبسُ الحرام ، ويلبسُ بردتين قد جيكتا له ، وقومتا على أهلها بألف دينار وأكثر وأقل ، قد أخذت من غير حلها وصُرفت في غير وجهها ، بعد أن ضُربت فيها الأبشار² ، وحُلقت فيها الأشعار ، واستحلَّ ما لم يُحلُّ اللهُ لعبدٍ صالح ، ولا لنبيِّ مرسل ، ثم يُجلسُ حِبابة عن يمينه ، وسلامته عن شماله تغنيانه بمزامير الشيطان ، ويشربُ الخمر الصُّراح المحرمة نصّاً بعينها ، حتى إذا أخذت مأخذها فيه ، وخالطت روحه ولحمه ودمه ، وغلبت سورتها على عقله مزق حُلتيه ، ثم التفت إليهما فقال : أتأذنان لي أن أُطيرَ؟ نعم ، فطير إلى النار ، إلى لعنة الله وناره حيث لا يردك الله .

ثم ذكر بني أمية وأعمالهم وسيرهم فقال : أصابوا إمرة ضائعة وقوماً طغاماً جهالاً ، لا يقومون لله بحق ، ولا يفرقون بين الضلالة والهدى ، ويرون أن بني أمية أرباب لهم ، فملكوا الأمر ، وتسلطوا فيه تسلطَ رُبيبة ، بطشهم بطش الجابرة ، يحكمون بالهوى ، ويقتلون على الغضب ، ويأخذون بالظن ، ويعطلون الحدود بالشفاعات ، ويؤمنون الخونة ويُقصون ذوي الأمانة ، ويأخذون الصدقة في غير وقتها على غير فرضها ، ويضعونها في غير موضعها ، فتلك الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله ، فالعنوهم ، لعنهم الله !

وأما إخواننا من هذه الشيعة فليسوا بإخواننا في الدين ، لكن سمعتُ الله عزَّ وجلَّ قال في كتابه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾³ شيعةً ظهرت بكتاب الله ، وأعلنت الفرية على الله لا يرجعون إلى نظر نافذ في القرآن ، ولا عقلٍ بالغ في الفقه ، ولا تفتيشٍ عن حقيقة الصواب ، قد قلدوا أمرهم أهواءهم ، وجعلوا دينهم عصبيةً لحزبٍ لزموه ، وأطاعوه في جميع ما يقوله لهم ، غياً كان أو رُشداً ، أو صلالةً أو هُدًى ، ينتظرون الدؤل في رجعة الموتى ، ويؤمنون بالبعث قبل الساعة ، ويدعون علم الغيب

1 سورة النساء ، الآية : 6 .

2 الأبشار : الجلود .

3 سورة الحجرات ، الآية : 13 .

لمخلوق ، لا يعلم أحدُهم ما في داخل بيته ، بل لا يعلم ما ينطوي عليه ثوبُه أو يحويه جسمه ، يتقنون المعاصيَ على أهلها ، ويُعلِّمُون إذا ظهرُوا بها ، ولا يعرفون المخرجَ منها ، جُفأة في الدِّين ، قليلةٌ عقولُهم ، قد قلدوا أهل بيتٍ من العرب دينهم ، وزعموا أنَّ مواليتهم لهم تُغنيهم عن الأعمال الصالحة ، وتُنجيهم من عقاب الأعمال السيئة ﴿قاتلهم الله أنى يُؤفكون﴾¹ فأَيُّ هؤلاء الفرق يا أهل المدينة تتبعون ؟ أو بأيِّ مذاهبهم تتقدون ؟ وقد بلغني مقاتلكم في أصحابي ، وما عبتموه من حدائث أسنانهم ، وبحكمكم ! وهل كان أصحابُ رسول الله ، ﷺ وآله ، المذكورون في الخير إلاَّ أحداثاً شاباً . شبابٌ والله مكتهلون في شبابهم ، غَضِيضَةٌ عن الشرِّ أعينُهم ، ثقيلةٌ عن الباطل أرجلُهم ، أنصاءُ عبادةٍ قد² نظر الله إليهم في جَوْف الليل مُنحنيةٌ أصلابُهم على أجزاء القرآن ، كلما مرَّ أحدُهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقاً ، وكلما مرَّ بآية من ذكر النار شهِق خَوْفاً ، كأنَّ زفيرَ جهنمَ بين أذنيه ، قد أَكَلت الأرضُ جباههم ورُكبتهم ، ووصلوا كلالَ الليل بكلال النَّهار مصفرةً ألوانهم ، ناحلةً أجسامهم من طول القيام وكثرة الصيام ، أنصاءُ عبادةٍ ، موفون بعهد الله ، مُتَجِرِّون لوعد الله ، وقد شَرَوْا أنفسهم ، حتى إذا التقت الكتبتانِ وأبرقت سُيوفُها وفُوت³ سهامُها ، وأشرعت رماحُها لقوا شبا الأسنَّة ، وشائك السهام ، وطباقَ السيوفِ بُنحورهم ووجوههم وصدورهم ، فمضى الشابُّ منهم قدماً حتى اختلفت رجلاه على عُتق فرسه ، واختضبت محاسنُ وجهه بالدماء ، وغُفر جبينه بالثرى ، وانحطت عليه الطير من السماء ، وتمزقت سباعُ الأرض ، فكم من عين في منقار طائر ، طالما بكى بها صاحبُها في جَوْف الليل من خوف الله ! وكم من وجهٍ رقيق وجبين عتيق قد فُلقَ يعمد الحديد . ثم بكى وقال : آه آه على فراق الإخوان ! رحمةُ الله على تلك الأبدان ، وأدخل الله أرواحهم الجنان .

[مروان يغزوهم]

قال هارون : بلغني أنَّه بايعه بالمدينة ناسٌ منهم إنسان هُدلي ، وإنسان سُراقِي ويشكستُ الذي كان معلِّمَ النحو ، ثم خرج ، وخلف بالمدينة بعض أصحابه ، فسار حتى نزل الوادي ، وكان مروان قد بعث ابن عطية .

1 سورة التوبة ، الآية : 30 .

2 بهم نخافة وهزال من العبادة ، والنضو في الأصل : البعير المهزول .

3 الفوق : موضع السهم من الوتر .

قال هارون : حَدَّثَنِي أَبُو يَحْيَى الزُّهْرِيُّ أَنَّ مَرَوَانَ انْتَخَبَ مِنْ عَسْكَرِهِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمُ ابْنَ عَطِيَّةَ ، فَأَمَرَهُ بِالْجَدِّ فِي السَّيْرِ ، وَأَعْطَى كُلَّ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ مِائَةَ دِينَارٍ وَفِرْسًا عَرَبِيًّا ، وَبِعْلًا لِثِقَلِهِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَمْضِيَ ، فَيَقَاتِلَهُمْ .

[ينفاهل بـغلام]

وقال المدائني : بعث عبد الملك بن عطية السعدي ، أحد بني سعد بن بكر في أربعة آلاف ، معه فرسان من أهل الشام ووجوههم ، منهم شعيب البارقي ، ورومي بن ماعز المرّي ، وقيل : بل هو كلابي ، وفيهم ألف من أهل الجزيرة ، وشرطوا على مروان أنهم إذا قتلوا عبد الله بن يحيى وأصحابه ، رجعوا إلى الجزيرة ، ولم يقيموا بالحجاز ، فأجابهم إلى ذلك ؛ قالوا : فخرج ؛ حتى إذا نزل بالمعلّى . فكان رجل من أهل المدينة يقال له : العلاء بن أفلح مولى أبي الغيث يقول : لقيني وأنا غلام في ذلك اليوم رجل من أصحاب ابن عطية ؛ فسألني : ما اسمك يا غلام ؟ فقلت : العلاء ، فقال : ابن من ؟ فقلت : ابن أفلح ، قال : أعربي أم مولى ؟ قلت : بل مولى ، قال : مولى من . قلت : مولى أبي الغيث ، قال : فأين نحن ؟ قلت : بالمعلّى ، قال : فأين نحن غداً ؟ قلت : بغالب ، قال : فما كلمني ، حتى أردفني خلفه ، ثم مضى بي ، حتى أدخلني على ابن عطية ، فقال : سل هذا الغلام : ما اسمه ؟ فسألني ، فرددت عليه القول الذي قلت ، فسُرَّ بذلك ؛ ووهب لي دراهم .

[أبو صخر الذهلي يستبشر بابن عطية]

وقال أبو صخر الذهلي حين بلغه قدوم ابن عطية :

[من الرجز]

قُلْ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لَا تَعْجَلُوا	أَتَاكُمْ النَّصْرُ وَجَيْشٌ جَحْفَلُ
عَشْرُونَ أَلْفًا كُلَّهُمْ مُسْرَبِلٌ	يَقْدُمُهُمْ جَلْدُ الْقَوَى مُسْتَبِيلٌ
دُونَكُمْ ذَا يَمَنِ فَأَقْبِلُوا	وَوَاجِهُوا الْقَوْمَ وَلَا تَسْتَخْجِلُوا
عَبْدُ الْمَلِكِ الْقَلْبِيُّ الْحَوْلُ	أَقْسَمَ لَا يُفْلَى وَلَا يُرَجَلُ
حَتَّى يَبِيدَ الْأَعْوُرُ الْمُضَلَّلُ	وَيَقْتَلَ الصَّبَّاحَ وَالْمَفْضَلُ

الأعور عبد الله بن يحيى رئيسهم .

[ابن عطية ينتصر على بلج]

قال المدائني عن رجاله : وبعث أبو حمزة بلج بن عقبة في ستمائة رجل ليقاتل عبد الملك بن

عطية ، فلقية بوادي القرى لأيام خلت من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة فتواقفوا ، ودعاهم بلجج إلى الكتاب والسنة ، وذكر بني أمية وظلمهم ، فشتمهم أهل الشام ، وقالوا : أتم يا أعداء الله أحق بهذا ممن ذكرتم وقاتم ، فحمل عليهم بلجج وأصحابه ، فانكشف طائفة من أهل الشام ، وثبت ابن عطية في عصبية صبروا معه ، ونادى يا أهل الشام يا أهل الحفاظ ناضلوا عن دينكم وأميركم ، فكروا ، وصبروا صبراً حسناً ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، فقتل بلجج وأكثر أصحابه ، وانحازت قطعة من أصحابه نحو المائة إلى جبل اعتصموا به ، فقاتلهم ابن عطية ثلاثة أيام فقتل منهم سبعين رجلاً ونجا ثلاثون ، فرجعوا إلى أبي حمزة ، ونصب ابن عطية رأس بلجج على رُحج ، قال : واغتم الذين رجعوا إلى أبي حمزة من وادي القرى إلى المدينة ، وهم الثلاثون ، ورجعوا وجزعوا من انهزامهم ، وقالوا : ما فررنا من الزحف ، فقال لهم أبو حمزة : لا تجزعوا ، فأننا لكم فئة وإلي انصرفتم .

[أهل المدينة يتقصون على الخوارج]

قال المدائني : وخرج أبو حمزة من المدينة إلى مكة ، واستخلف رجلاً يقال له : المفضل عليها ، فدعا عمر بن عبد الرحمن بن أسيد بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطاب الناس إلى قتالهم ، فلم يجد كبير أمر ؛ لأنَّ القتل قد كان شاع في الناس ، وخرج وجوه أهل البلد عنه ؛ فاجتمع إلى عمر البربر والزنج وأهل السوق والعبيد ، فقاتل بهم الشراة ؛ فقتل المفضل وعامة أصحابه ؛ وهرب الباقيون ؛ فلم يبق في المدينة منهم أحد ؛ فقال في ذلك سهيل أبو البيضاء مولى زينب بنت الحكم بن العاصي :

ليت مروان رأنا يوم الاثنين عشيّة
إذ غسلنا العار عنا وانتضينا المشرقيّة

قال : فلما قدم ابن عطية المدينة أتاه عمر بن عبد الرحمن بن أسيد ؛ فقال له : أصلحك الله ! إني جمعت قضي وقضيي¹ ؛ فقاتلت هؤلاء ؛ فقتلنا من امتنع من الخروج عن المدينة وأخرجنا الباقيين ، فلقية أهل المدينة بقضيتهم وقضيتهم .

[مصرع أبي حمزة وزوجته]

قال : وأقام ابن عطية بالمدينة شهراً ؛ وأبو حمزة مقيم بمكة ؛ ثم توجه إليه فقال له علي بن

1 مثل : يقال إذا جاء القوم كلهم «جاءوا قضيتهم بقضيتهم» ، فصل المقال 198 .

حُصَيْنِ العَنَبَرِيِّ : إِنِّي قَد كُنْتُ أَشْرْتُ عَلَيْكَ يَوْمَ قُدَيْدٍ وَقَبْلَهُ أَنْ تَقْتُلَ هَؤُلاءِ الأَسْرَى كُلَّهُمْ ، فلم تَفْعَلْ ، وَعَرَفْتُكَ أَنَّهُمْ سَيَغْدِرُونَ فلم تَقْبِلْ ؛ حَتَّى قَتَلُوا المَفْضَلُ وَأَصْحَابَنَا المَقِيمِينَ بالمَدِينَةِ ؛ وَأَنَا أُشِيرُ عَلَيْكَ اليَوْمَ أَنْ تَضَعَ السِّيفَ فِي هَؤُلاءِ ؛ فَإِنَّهُمْ كَفَرَةُ فَجْرَةَ ؛ وَلَوْ قَدِمَ عَلَيْكَ ابْنُ عَطِيَّةٍ لَكَانُوا أَشَدَّ عَلَيْكَ مِنْهُ ؛ فَقَالَ : لَا أَرَى ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُمْ قَد دَخَلُوا فِي الطَّاعَةِ ؛ وَأَقْرَأُوا بِالْحُكْمِ ؛ وَوَجِبَ لَهُمْ حَقُّ الوَلَايَةِ ؛ قَالَ : إِنَّهُمْ سَيَغْدِرُونَ ؛ فَقَالَ : أْبَعْدَهُمُ اللهُ ، ﴿فَمَنْ نَكثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾¹ . قَالَ : وَقَدِمَ عَبْدُ المَلِكِ بْنِ عَطِيَّةٍ مَكَّةَ ، فَصَيَّرَ أَصْحَابَهُ فِرْقَتَيْنِ ، وَلَقِيَ الخَوَارِجَ مِنْ وَجْهَيْنِ ؛ فَصَيَّرَ طَائِفَةً بِالأَبْطَحِ ؛ وَصَارَ هُوَ فِي الطَّائِفَةِ الأُخْرَى بِإِزَاءِ أَبِي حَمْزَةَ ؛ فَصَارَ أَبُو حَمْزَةَ أُسْفَلَ مَكَّةَ ؛ وَصَيَّرَ أُبْرَهَةَ بْنَ الصَّبَّاحِ بِالأَبْطَحِ فِي ثَمَانِينَ فَارِسًا ، فَقَاتَلَهُمْ أُبْرَهَةُ : فَانْهَزَمَ أَهْلُ الشَّامِ إِلَى عَقَبَةِ مِثْنَى ؛ فَوَقَفُوا عَلَيْهَا ؛ ثُمَّ كَرُّوا ؛ وَقَاتَلَهُمْ ؛ فَقُتِلَ أُبْرَهَةُ ؛ كَمَنْ لَهُ هَبَّارُ القُرَشِيِّ ؛ وَهُوَ عَلَى خَيْلِ دِمَشْقَ عِنْدَ بئرِ مَيْمُونِ ؛ فَقَتَلَهُ ؛ وَتَفَرَّقَ الخَوَارِجُ ؛ وَتَبِعَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ يَقْتُلُونَهُمْ ؛ حَتَّى دَخَلُوا المَسْجِدَ ، وَالتَقَى أَبُو حَمْزَةَ وَابْنَ عَطِيَّةَ بِأُسْفَلَ مَكَّةَ ؛ فَخَرَجَ أَهْلُ مَكَّةَ مَعَ ابْنِ عَطِيَّةٍ ؛ فَقُتِلَ أَبُو حَمْزَةَ عَلَى فَمِّ الشَّعْبِ وَقُتِلَتْ مَعَهُ امْرَأَتُهُ ؛ وَهِيَ تَرْتَجِزُ وَتَقُولُ :

أَنَا الجُعَيْدَاءُ وَبِنْتُ الأَعْلَمِ مِنْ سَالٍ عَنِ إِسْمِي فِإِسْمِي مَرِيْمٍ
بَعْتُ سَوَارِيَّ بِسَيْفٍ مِخْذَمٍ²

[صَلَبُ أَبِي حَمْزَةَ وَأُبْرَهَةَ]

قَالَ : وَتَفَرَّقَتِ الخَوَارِجُ فَاسْرَ أَهْلُ الشَّامِ مِنْهُمْ أَرْبَعُمِائَةٍ ؛ فَدَعَا بِهِمْ ابْنُ عَطِيَّةٍ ؛ فَقَالَ : وَيْلَكُمْ ! مَا دَعَاكُمْ إِلَى الخُرُوجِ مَعَ هَذَا ؟ قَالُوا : ضَمِنَ لَنَا الكِنَّةُ : يَرِيدُونَ الجَنَّةَ ، وَهِيَ لَعْنَتُهُمْ ، فَقَاتَلَهُمْ ، وَصَلَبَ أَبَا حَمْزَةَ وَأُبْرَهَةَ بْنَ الصَّبَّاحِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِمْ عَلَى فَمِّ الشَّعْبِ : شَيْبِ الخَيْفِ ، وَدَخَلَ عَلِيُّ بْنُ الحَصِينِ دَارًا مِنْ دُورِ قَرِيشٍ ، فَأَحْدَقَ أَهْلَ الشَّامِ بِالدَّارِ فَأَحْرَقَهَا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَمَى بِنَفْسِهِ مِنَ الدَّارِ ، فَقَاتَلَهُمْ وَأَسِيرَ فَقُتِلَ ، وَصَلِبَ مَعَ أَبِي حَمْزَةَ ، وَلَمْ يَزَالُوا مُصَلِّبِينَ حَتَّى أَفْضَى الأَمْرُ إِلَى بَنِي العَبَّاسِ ، وَحَجَّ مَهْلَهْلِ الهُجَيْمِيِّ فِي خِلَافَةِ أَبِي العَبَّاسِ ، فَانزَلَ أَبَا حَمْزَةَ لَيْلًا ، وَدَفَنَهُ ، وَدَفَنَ خَشْبَتَهُ .

1 سورة الفتح ، الآية : 10 .

2 مخذم : قاطع .

[مصرع مخنثين]

قال المدائني: وكان بمكة مُخَنَّثان ، يقال لأحدهما : سبكت ، وللآخر : صقرة ، فكان صقرة يرجف بأهل الشام ، وكان سبكت يرجف بالإباضية ، فعرف الخوارج أمرهما ، فوجهوا إلى سبكت ، فأخذوه فقتلوه ، فقال صقرة : يا ويله هو والله أيضاً مقتول ، وإنما كنتُ أنا وسبكت نتكايد ونتكاذب ، فقتلوه ، وغداً يجيء أهل الشام ، فيقتلونني ، فلما دخل ابن عطية مكة عرف خيرهما ، فأخذ صقرة ، فقتله .

[مذهب ابن عطية]

وقال هارون في خبره : أخبرني عبد الملك بن الماجشون ، قال : لما التقى أبو حمزة وابن عطية قال أبو حمزة : لا تقاتلوهم حتى تختبروهم فصاح بهم : ما تقولون في القرآن والعمل به ؟ فصاح ابن عطية : نضعه في جرف الجوالق¹ ، قال : فما تقولون في مال اليتيم ؟ قال : نأكل ماله ؛ ونفجر بأمه ، [ثم أجاب] في أشياء بلغني أنه سأله عنها ؛ فلما سمعوا كلامهم قاتلوهم ؛ حتى أمسوا ؛ فصاحت الشراة : ويحك ، يا ابن عطية ! إن الله ، جلّ وعزّ ، قد جعل الليل سكناً ؛ فاسكن ونسكن ؛ فأبى وقاتلهم ؛ حتى قتلهم جميعاً .

[أهل المدينة يجهزون على من بقي منهم]

قال هارون : أخبرني موسى بن كثير أنّ أبا حمزة خطب أهل المدينة ؛ وودّعهم ؛ ليخرج إلى الحرب ؛ فقال : يا أهل المدينة ؛ إنا خارجون لحرب مروان ؛ فإن نظهر نعدل في أحكامكم ؛ ونحملكم على سنة نبيكم ، ونقسّم بينكم ، وإن يكن ما تمنون لنا فسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون ، قال : ووثب الناس على أصحابه حين جاءهم قتله ، فقتلوه ، فكان بشكست ممن قتلوا ، طلبوه فرقى في درجة كانت في دار أذينة ، فلحقوه فأنزلوه منها ، وهو يصيح : يا عباد الله ، فيم تقتلونني ؟

قال : وأنشدني بعض أصحابنا :

[من المتقارب]

لقد كان بشكستُ عبد العزيز من أهل القراءة والمسجدِ
فبعداً لبشكستِ عبد العزيز وأما القرآنُ فلا يبعدِ

[القتل للشاري والشامي معاً]

قال هارون : وأخبرني بعض أصحابنا أنه رأى رجلاً واقفاً على سطح يرمي بالحجارة فقيل : ويلك ! أتدري من ترمي مع اختلاط الناس ؟ قال : والله ما أبالي من رميت ؟ إنما هو شامٍ وشارٍ ، والله ما أبالي أيهما قتلتُ !
[مصراع طالب الحق]

وقال المدائني : لما قتلَ ابنُ عطيةَ أبا حمزة بعث برأسه مع عروة بن زيد بن عطية إلى مروان ، وخرج إلى الطائف ، فأقام بها شهرين ، وتزوج بنتَ محمد بن عبد الله بن أبي سويد الثقفي ؛ واستعمل على مكة روميَّ بن عامر المرِّي . وأتى فلُ أبي حمزة إلى عبد الله بن يحيى بصنعاء . فأقبل معه أصحابه . وقد لقبوه طالبَ الحق ، يريد قتالَ ابن عطية ، وبلغ ابن عطية خبره ، فشخصَ إليه ، فالتقوا بكسة ، فأكثر أهل الشام القتلَ فيهم ، وأخذوا أتلأهم وأموالهم ، وتشاغلو بالنهب ، فركب عبد الله بن يحيى فكشفهم ، فقتل منهم نحو مائة رجل ، وقتل قائداً من قوادهم يقال له : يزيد بن حمل القشيري من أهل قنسرين ، فذمرهم¹ ابن عطية ، فكروا ، وانضمَّ بعضهم إلى بعض . وقاتلوا حتى أمسوا ، فكفَّ بعضهم عن بعض ، ثم التقوا من غد في موضع كثيرِ الشجر والكرم والحيطان ، فطال القتالُ بينهم ، واستحرقَ القتلُ في الشراة ، فترجلَ عبدُ الله بنُ يحيى في ألف فارس ؛ فقاتلوا ، حتى قتلوا جميعاً عن آخرهم ؛ وانهزم الباقون ؛ فتفرقوا في كلِّ وجه . ولحقَّ من نجا منهم بصنعاء ؛ وولوا عليهم حمامة فقال أبو صخر الهذلي :

[من الطويل]

قتلنا دُعيساً والذي يكتني الكُني	أبا حمزة الغاوي المضلَّ اليمانيا
وأبرهة الكِندي خاضتُ رماحنا	وبلجاً صبحناه الحُتوفَ القواضيا
وما تركتُ أسيفنا منذ جُرُدتُ	لمروانَ جبَّاراً على الأرض عاديا

[مطولة في رثاء الشراة]

قال المدائني : وبعثَ عبدُ الملك بن عطيةَ رأسَ عبدِ الله بن يحيى مع ابنه يزيد بن عبد الملك إلى مروان . وقال عمرو بن الحصين ، ويقال : الحسن العنبري ، مولى لهم يرثي عبد الله بن يحيى وأبا حمزة . وهذه القصيدة التي في أولها الغناء المذكور أول هذه الأخبار : [من الكامل]

1 ذمرهم : عتفهم .

هَبَّتْ قُبَيْلَ تَبْلُجِ الْفَجْرِ
 أَنْ أَبْصَرْتُ عَيْنِي مَدَامِعَهَا
 أَنْتَى اعْتِرَاكَ وَكُنْتَ عَهْدِي لَا
 أَقْدَى بَعِينِكَ مَا يُفَارِقُهَا
 أَمْ ذِكْرُ أَخْوَانٍ فُجِعَتْ بِهِمْ
 فَأَجَبْتُهَا بَلْ ذَكَرُ مَصْرَعِهِمْ
 يَا رَبِّ أَسْلِكْنِي سَبِيلَهُمْ
 فِي فِتْنَةٍ صَبَرُوا نَفْسَهُمْ
 تَاللَّهِ أَلْقَى الدَّهْرَ مِثْلَهُمْ
 أَوْفَى بِذَمَّتِهِمْ إِذَا عَقَدُوا
 مَتَاهِلِينَ لِكُلِّ صَالِحَةٍ
 صُمْتُ إِذَا احْتَضَرُوا مَجَالِسَهُمْ
 إِلَّا تَجِيهِهُمْ فَإِنَّهُمْ
 مَتَأَوْهُونَ كَأَنَّ جَمْرَ غَضًا
 تَلْقَاهُمْ إِلَّا كَانَتْهُمْ
 فَهْمٌ كَأَنَّ بِهِمْ جَوَى مَرَضٍ
 لَا لِيْلُهُمْ لَيْلٌ فَيَلْبَسُهُمْ
 إِلَّا كَذَا خُلْسًا وَأَوْنَةً
 كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ قَدْ فُجِعْتَ بِهِ
 مَتَأَوَّهُ يَتَلَوُّ قَوَارِعَ مِنْ
 نَصَبٍ تَجِيشُ بِنَاتٍ مُهْجَتَهُ
 ظَمَانَ وَقَدَةَ كُلِّ هَاجِرَةٍ

هِنْدٌ تَقُولُ وَدَمْعُهَا يَجْرِي
 يَنْهَلُ وَكَيْفُهَا عَلَى النَّحْرِ
 سَرَبَ الدَّمْعِ وَكُنْتَ ذَا صَبْرٍ
 أَمْ عَائِرٌ أَمْ مَا لَهَا تُذَرِّي¹
 سَلَكُوا سَبِيلَهُمْ عَلَى خُبْرٍ
 لَا غَيْرُهُ عِبْرَاتُهَا تَمْرِي
 ذَا الْعَرْشِ وَاشْتَدَّ بِالتَّقَى أَرْزِي
 لِلْمَشْرِفِيَّةِ وَالْقَنَا السُّمْرِ
 حَتَّى أَكُونَ رَهِينَةَ الْقَبْرِ
 وَأَعِيفَ عِنْدَ الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
 نَاهِينَ مَنْ لَاقَوْا عَنِ النَّكْرِ
 وَزُنْ لِقَوْلِ خَطِيْبِهِمْ وَفَرٍ
 رُجُفَ الْقُلُوبِ بِحَضْرَةِ الذُّكْرِ
 لِلخَوْفِ بَيْنَ ضُلُوعِهِمْ يَسْرِي
 لَخْشَوْعِهِمْ صَدَرُوا عَنِ الْحَشْرِ
 أَوْ مَسَّهُمْ طَرْفٌ مِنَ السَّحْرِ
 فِيهِ غَوَاشِي النُّومِ بِالسُّكْرِ
 حَذَرَ الْعِقَابِ وَهَمَّ عَلَى ذُعْرِ
 قَوَامٍ لَيْلَتِهِ إِلَى الْفَجْرِ
 آيَ الْقُرْآنِ مَفْرَعِ الصَّدْرِ
 بِالْمَوْتِ جَيْشُ مُشَاشَةِ الْقَدْرِ²
 تَرَكَ لَذَّتَهُ عَلَى قَدْرِ

1 عائر: ما أعل العين كالعوار.

2 مشاشة القدر: العظم الهش في أطراف المفاصل.

تَرَكَ ما تهوى النفوسُ إذا رُغِبُ النفوسِ دَعَتْ إلى النَّذْرِ
 ومبرأً من كلِّ سيئةٍ عَفَّ الهوى ذي مِرَّةٍ شَرِّرٍ¹
 والمصطلي بالحربِ يسعُرُها بغيارها وبفتيةٍ سَعُرِ
 يجتاحها بأفلِّ ذي شُطْبِ عَضِبِ المضاربِ قاطِعِ البَتْرِ²
 لا شيءٌ يلقاه أسراً له من طعنةٍ في نُفْرَةِ النَّحْرِ
 نجلاء مُنْهَرَةٍ تَجِيشُ بما كانت عواصي جَوْفِهِ تَجْرِي
 كخليلك المختارِ أذكِ به من مقتدٍ في الله أو مُشْرِ
 خواص غمرة كلِّ متلفةٍ في الله تحت العِثْرِ الكُدْرِ³
 تَرَكَ ذي النَّخواتِ مُخْتَضِباً بنجيعه بالطَّعنةِ الشَّرِّ
 وابن الحصين وهل له شَبَّةٌ في العرفِ أنَّى كان والنُّكْرِ
 بسامةٍ لم تُحَنِّ أضلعه لذوي أُخْوَتِهِ على غِمْرِ
 طلق اللسانِ بكلِّ مُحكمةٍ رآبُ صدعِ العَظْمِ ذي الوَقْرِ
 لم ينفِكَ في جوفه حَزَنٌ تغلي حرارته وتَسْتَشْرِي
 ترقى وآونةٌ يُخَفِّضُها بتنفِّسِ الصَّعْداءِ والزَّفْرِ
 ومُخالِطِي بَلَجٍ وخالِصتي سُمُّ العَدُوِّ وجابرِ الكَسْرِ
 نكلِ الخصومِ إذا هُمُ شَعَبُوا وسِدادِ ثَلْمَةِ عورةِ الثَّغْرِ
 والخائِضُ الغمراتِ يخطرُ في وسطِ الأَعادي أَيْما خَطْرِ
 بمشطِّبٍ أو غيرِ ذي شُطْبِ هامِ العِدا بِذُبَابِهِ يَفْرِ
 وأخيكَ أبرهةَ الهجانِ أخي الـ حَرَبِ العَوانِ مُلقِحِ الجَمْرِ
 بِمِرْشَتِهِ فَرَعٌ تُنْجُ دَمًا ثَجَّ الغويُّ سُلَافَةَ الخَمْرِ
 والضاربِ الأُخدودِ ليس لها حَدٌّ يَنْهِنُها عن السَّحْرِ

1 الشَّرِّ: من القتل وتعني القوة والشدة .

2 العَضِبِ: القاطع .

3 العِثْرِ: الغبار .

ووليُّ حكمهم فجِعتُ به
 قَوَالٌ مُحْكَمَةٌ وَذِي فَهَمٍ
 وَمَسِيبٍ فَادْكُرْ وَصَيْتَهُ
 فَكَلَاهُمَا قَدْ كَانَ مُحْتَسِبًا
 فِي مُخْبِتِينَ وَلَمْ أُسْمِهِمْ
 وَهُمْ مَسَاعِرُ فِي الْوَعَى رُجُحٌ
 حَتَّى وَفَوْا لِلَّهِ حَيْثُ لَقُوا
 فَتَخَالَسُوا مُهْجَاتِ أَنْفُسِهِمْ
 وَأَسْنَةَ أُثْبِتَنَ فِي لُدُنٍ
 تَحْتَ الْعَجَاجِ وَفَوْقَهُمْ خِرْقٌ
 فَتَفَرَّجَتْ عَنْهُمْ كَاتِبُهُمْ
 فَشَعَارُهُمْ زِيرَانُ حَرِبِهِمْ
 صَرَعَى فَحَاجِلَةٌ تَنُوشُهُمْ

[ابن عطية يتوجه إلى صنعاء]

قال المدائني: وكتب مروان إلى ابن عطية يأمره بالمسير إلى صنعاء، ليقاتل من بها من
 الخوارج، فاستخلف ابنه محمد بن عبد الملك على مكة، وعلى المدينة الوليد بن عروة بن
 عطية، وتوجه إلى صنعاء، ورجع أهل الجزيرة جميعاً إلى بلدهم، وكذلك كان مروان شرط
 لهم، فلما قرب من صنعاء هرب عامل عبد الله بن يحيى عنها، فأخذ أهل صنعاء أثقاله وحملين
 من مال كان معه، فسلكوا ذلك إلى ابن عطية، وتتبع أصحاب عبد الله بن يحيى في كل موضع
 يقتلهم، وأقام بصنعاء شهراً، ثم خرج عليه رجل من أصحاب عبد الله بن يحيى في آل ذي
 الكلاع، يقال له يحيى بن عبد الله بن عمر بن السباق في جمع كثير بالجند، فبعث إليه ابن
 عطية بن أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية، فلقه بالحرب، فهزمه، وقتل عامة أصحابه،

1 الغفر: التراب.

2 الحجر: بلد بأعلى المدينة.

3 فحاجلة: جمع فحجل وهو الأفحج. خوامع: ضباغ جمع خامعة.

وهرب منه فنجا ، وخرج عليه يحيى بن كُرب الحميري بساحل البحر ، وانضمت إليه شذاذُ الإباضية ، فبعث إليه أبا أمية الكِندي في الوضاحية ، فالتقوا بالساحل ، فقتل من الإباضية نحو مائة رجل ، وتجاوزوا عند المساء فهربت الإباضية إلى حَضْرَمَوْت ، وبها عامل لعبد الله بن يحيى يقال له : عبد الله بن معبد الجرْمي ، فصار في جيش كثير ، واستفحل أمره ، وبلغ ابن عطية الخبر ، فاستخلف ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية على صنعاء ، وشخص إلى حضرموت وبلغ عبد الله بن معبد مسيرُ عبد الملك إليهم ، فجمعوا الطعامَ وكلَّ ما يحتاجون إليه في مدينة شبام . وهي حصن حضرموت مخافة الحِصار . ثم عزموا على لقاء ابن عطية في الفلاة ، فخرجوا حتى نزلوا على أربع مراحل من حضرموت ، في عدد كثير في فلاة . وأتاهم ابن عطية ، فقاتلهم يومه كله ، فلما أمسى وقد بلغه ما جمعوا في شبام حذرَ عسكريه في بطن حضرموت إلى شبام ليلاً . ثم أصبح ، فقاتلهم حتى انتصف النهار . ثم تجاوزوا ، فلما أمسوا ، تبع عسكريه . وأصبح الخوارج ، فلم يروا للقوم أثراً . فأتبعوهم وقد سبقوهم إلى الحصن ، فأخذوا جميع ما فيه وملكوه ، ونصب ابن عطية عليهم المسالِح ، وقطع عنهم المادَّة والميرة ، وجعل يقتل من يقدر عليه ويسبي ويأخذ الأموال .

[مصرع ابن عطية]

ثم ورد عليه كتابُ مروان بن محمد يأمره بالتعجُّل إلى مكَّة ، ليحجَّ بالنَّاس ، فصالح أهل حضرموت على أن يرَدَّ عليهم ما عرفوا من أموالهم . ويولي عليهم من يختارون ، وسألموه ، فرضي بذلك ، وسألهم وشخص إلى مكَّة متعجِّلاً مُخفِّاً . ولما نفدَ كتابُ مروان نديمَ بعد ذلك بأيام ، وقال : إنا لله ! قتلت والله ابن عطية ؛ هو الآن يخرج مُخفِّاً متعجِّلاً ، ليلحق الحجَّ ، فيقتله الخوارجُ . فكان كما قال : تعجَّل في بضعة عشر رجلاً ، فلما كان بأرض مُراد تَلَفَّت عليه جماعةٌ ، فمن كان من تلك الجماعة إباضياً عرفه ، فقال : ما تنتظر بهذا أن ندرك ثار إخواننا فيه ، ومن لم يكن إباضياً ظنَّه من الإباضية ، وانه منهزم ، فلما علم أنهم يريدونه قال لهم : ويحكم ! أنا عاملُ أمير المؤمنين على الحجِّ ، فلم يلتفتوا إلى ذلك . وقتلوه ، ونصبت الإباضية رأسه ، فلما فتشوا متاعه ، وجدوا فيه الكتابَ بولايته على الحجِّ ، فأخذوا من الإباضية رأسه ، ودفنوه مع جسده .

قال المدائني : خرج إليه جُماعة وسعيد ابنا الأحنس ، في جماعة من قومهما من كِنْدَة ، وعرفه جُماعة لما لقيَه ، فحمل عليه هو وأخوه ورجل آخر من همدان ، يقال له : رُمَّانة .

وثلاثة من مُراد ، وخمسة من كِنْدَة ، وقد توجّه في طريق مع أربعة نفر من أصحابه . وتوجّه باقيهم في طريق آخر ، فقصدوا حيث توجّه ابن عطية ، ووجهوا في آثار أصحابه نحو أربعين رجلاً منهم ، فأدركوهم فقتلوهم ، وأدرك سعيدٌ وجُمَانَة وأصحابُهما ابنَ عطية ، فعطف عبد الملك على سعيد ، فضربه وطعنه جُمَانَة ، فصرعه عن فرسه ، ونزل إليه سعيد ، فقعده على صدره ، فقال له ابنُ عطية : هل لك يا سعيدُ في أن تكون أكرم العرب أسيراً ؟ فقال : يا عدوَّ الله ، أتري الله كان يمهلك ؟ أو تطمع في الحياة وقد قتلتَ طالبَ الحقِّ وأبا حمزة وبلجاء وأبرهة ! فقتله وقتل أصحابه جميعاً . وبعثوا برأسه إلى حضرموت ، وبلغ ابن أخيه ، وهو بصنعاء ، خبره . فأرسل شعيباً البارقي في الخيل . فقتل الرجال والصبيان . وبقربطون النساء ، وأخذ الأموال ، وأخرب القرى ، وجعل يتبع البريء والنطف¹ . حتى لم يبق أحدٌ من قتل ابن عطية ولا من الإباضية إلا قتله ، ولم يزل مقيماً باليمن إلى أن أفضى الأمر إلى بني هاشم ، وقام بالأمر أبو العباس السفاح .

* * * *

الفهرس

- [497] - أخبار صخر الغيّ ونسبه 5
- [498] - نسب عمرو ذي الكلب وأخباره 9
- [499] - خير لقيط ونسبه والسبب في قوله الشعر 12
- [500] - أخبار نُصَيْب الأصغر 16
- [501] - أخبار أبي شراعة ونسبه 33
- [502] - أخبار ابن البوّاب 46
- [503] - أخبار محمد بن عبد الملك الزيات ونسبه 52
- [504] - أخبار أبي حشيشة 76
- [505] - أخبار عنان 84
- [506] - أخبار الحسن بن وهب 92
- [507] - أخبار أحمد بن يوسف 111
- [508] - أخبار العطوي 115
- [509] - أخبار مرّة ونسبه 120
- [510] - أخبار علي بن أمية 123
- [511] - أخبار عمر الميداني 128
- [512] - أخبار سليمان بن وهب وجمل من أحاديثه تصلح لهذا الكتاب 130
- [513] - أخبار أبان بن عبد الحميد ونسبه 139
- [514] - أخبار تويت ونسبه 150
- [515] - أخبار محمد بن الحارث 155

- [516] - أخبار ماني الموسوس 159
- [517] - أخبار بكر بن خارجة 165
- [518] - أخبار إسماعيل القراطيسي 168
- [519] - أخبار أبي العبر ونسبه 170
- [520] - أخبار مروان بن أبي حفصة الأصغر 177
- [521] - أخبار يوسف بن الحجاج ونسبه 185
- [522] - خبر عبد الله بن يحيى وخروجه ومقتله 191